الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 372 - من الثلاثاء 5 إلى الاثنين 11 سبتمبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الوزير الأكبر الصّموت يُؤدّي قَسَمَ السّكوتِ

النهضة : انطلقت مرحلة ما بعد الغنوشي

المنذر الونيسي — عبد الكريم الهاروني

يحتاج إلى درس في التاريخ والجغرافيا :
وزير الخارجيّة الجزائري لا يعرف تونس!

موقف الاسبوع

انتفاضة الشعوب الافريقية وحتمية فتح ملف الشراكات بين تونس والاتحاد الأوروبي

بقلم : جمال الدين العويديدي

افتتاحية

يقولون ما لا يفعلون...

بقلم : العميد الصادق بلعيد

يقولـون ما لا يفعلـون...

بقلم : العميد الصادق بلعيد

أصدرت وزارة الخارجية التونسية بلاغا بتاريخ 31 أوت الفارط تعبر فيه عن 'بالغ اهتمامها بالتطورات السياسية والامنية المتلاحقة التي يشهدها البلد الشقيق' (الغابون) وتدعو فيه الى العمل على معالجة الوضع بالطرق التي تتناسب مع المصالح الوطنية العليا، وتوصي كل الأطراف "بضبط النفس" و"بالحفاظ على امن واستقرار وسلامة بلادهم بما يستجيب لتطلعات الشعب الغابُوني الشقيق".

على العموم، لا جدال ان هذه النصائح وجيهة ومحبذة، وان اسداء النصائح والعبر الحكيمة معمول به في المجتمعات البشرية ومرغوب فيه؛ لكن التمعن في نص هذا البلاغ، من حيث مصدره ومضمونه وتاريخه والأطراف المقصودة بمحتواه يثير تساؤلات عديدة ومحرجة في آن واحد، نتعرض الى أبرزها فيما يلي:

1 - خرق تسلسل الصلاحيات في مجال السياسة الخارجية: لننظر في المصدر: إن هذا البلاغ صادر عن وزارة الشؤون الخارجية والهجرة والتونسيين في الخارج، بدون أية إضافة او تدقيق حول مرجعه: وهذا ما يدفع الى الاستغراب باعتبار ان الأعراف المعمول بها تقتضي ان يُذكر ولو بإشارة عرضية، تعليمات رئيس الدولة في الشأن او على الأقل اطلاعه عليه؛

2 - المعاملة الغريبة للدولة المعنية: أي دولة الغابون الافريقية بالذات: لماذا هذا التدخل التونسي في هذه الأزمة 'الغابونية'؟ - صحيح ان دولا كبرى تدخلت في شؤون هذا البلد لما لها من مصالح من واجبها حمايتها؛ لكن تونس ليست في مثل هذه الحال، وما تقدمت به لا يفهم الا على سبيل النصيحة والوصية، ليس إلا. - وهنا مربط الفرس: ليس من عادة الدول اسداء النصائح بصورة علنية واعتباطية، حيث قد يعتبر ذلك ضربا من التطفل والاحراج غير المحبذ ولا المرغوب فيه؛ وان هذا التهافت المجاني غريب عن الأعراف الدولية، بل هو عادة 'تونسية' بحتة وحديثة العهد ما يخشاه المرء هو ان يأتي رد "الغابُون الشقيق" كرد وزير خارجية أوكرانا الذي رفض الانتقادات الخارجية ودعا البلاد المنتقدة الى الالتزام بالصمت رغم مليارات الدولارات التي كانت قد أغدقتها على بلده؛

3 - التناقضات والاختلالات في الرسالة التونسية: الرسالة الموجهة الى "الغابُون الشقيق" تثير العديد من الاحترازات وتتضمن تناقضات واختلالات عديدة تونس في غنى عنها اليوم:

4 - "لا تنهى عن خلق وتأتي مثله، عار عليك عظيم": البلاغ يضرب عرض الحائط هذا المثل المحمود؛ وإذ جاء ليؤكد على "اهمية الاحتكام الى القانون واستعادة النظام الدستوري"، فإن هذا هو عين التدخل السافر في الشؤون الداخلية للغابُون؛ وحيث ان البلاغ يطالب بـ"الاحتكام الى القانون"، عموما، و"باستعادة النظام الدستوري" القائم خصوصا، فإن هذا يمثل تناقضا سافرا في المواقف التونسية يجب ان يندى له جبين حكامنا، باعتبار انهم قاموا في ماض غير بعيد بعملية انقلابية وتنكروا من خلالها لكل التنظيمات والمؤسسات الدستورية التي كانت قائمة في بلادنا قبل 25 جويلية 2021؛

5 - ما المقصود بـ "إعلاء المصلحة الوطنية العليا" في البلاغ؟: معنى هذه العبارات مبهم تماما ولا يفي بشيء.

6 - اللغة الخشبية: ما الفائدة من هذه اللغة الخشبية الفضفاضة؟ - بل، أليست هي مجرد نقل وتقليد للخطاب الطاغي في أغلب الوسائل الإعلامية؟ - وما الفائدة من تصدير بضاعة خام من بلد الى بلد آخر دون التعمق في خاصيات ذلك البلد؟ - لدينا كذلك احترازات إزاء عبارات اخرى كـ "أمن واستقرار وسلامة " هذا البلد؛

7 - "الاستجابة لتطلعات الشعب الغابُوني الشقيق": وأكثر من كل ما سبق، فإنه من الواضح ان هذه العبارة العزيزة على حكامنا اليوم تنطوي على نبرة 'شعوبية' واضحة، لم تحض الى حد اليوم بأي تعريف او تدقيق في بلادنا، فكيف ندعو اليها ونقوم بتصديرها الى غيرنا؟ ...

الشارع المغاربي

تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي - رافع الطبيب - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - فوزية ضيف الله - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي- رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

إغراق قبل الإغلاق

في ظل تهاطل سلع مهربة بمختلف انواعها على السوق المحلية وبالنظر لتزايد ارتدادات الاقتصاد الموازي على عديد القطاعات يتهيأ بعض الصناعيين للقيام بتحركات لمطالبة السلطة باتخاذ اجراءات حمائية لانقاذ آلاف الشركات من الافلاس جراء المنافسة غير المتكافئة مع بضائع مجهولة المصدر وفاقدة للجودة وبخسة الاثمان.

احد الصناعيين اكد ان سيل التهريب لم يترك قطاعا الا وأتى عليه وان عديد الشركات المختصة في الصناعات التجميلية باتت مهددة بالإغلاق جراء اغراق السوق بمواد تجميل مهرّبة ومهدّدة لصحة المستهلك.

المصدر تحدث عن وقوف مجموعات منظمة وراء ترويج مواد تجميل وحتى اطعمة ومشروبات غازية مهرّبة مطالبا الدولة بمعاينة ما يتم بيعه في عديد الاسواق وبمنصات التواصل الاجتماعي وحتى على شاشات بعض التلفزات للتثبت في مصدرها ومدى مطابقتها شروط حفظ الصحة.

9 بنود

يتضمن جدول أعمال أشغال مجلس جامعة الدول العربية التي انطلقت يوم أمس 9 بنود رئيسية حسب ما أفادت وكالة انباء الشرق الأوسط.

من أهمّ البنوك التسعة العمل العربي المشترك وقضية فلسطين والأمن القومي العربي والتدخلات الإيرانية في الشؤون الداخلية للدول العربية والتعاون بين جامعة الدول العربية ومجلس الأمن الدولي وحقوق الانسان وتفاعل الدول العربية مع قضايا المناخ العالمية ومكافحة الإرهاب.

حبس

مساء اول امس الاحد 3 سبتمبر الجاري أمرت النيابة العامة بليبيا بايداع القائم باعمال بعثة بلده لدى الارجنتين السجن بتهمة "اخلاله بمقتضيات مراجعة العمليات المالية نتيجة تفرده بإدارة الحسابات البنكية واستمراره على هذا النحو بعد انتهاء صفته الوظيفية".

ووفقا لموقع "بوابة الوسط" الليبي أمر المحقق بعد الانتهاء من استجواب المتهم بحبسه على ذمة التحقيق مع الشروع في اجراء تدقيق في أوجه انفاق البعثة.

وكان قد تم سابقا الإعلان عن إيقاف القائم السابق بأعمال بعثة ليبيا لدى جمهورية التشيك بتهمة "إساءة استعمال سلطاته الوظيفية لغرض تحقيق نفع غير مشروع لغيره عبر صرف مئات الالاف من العملة الأجنبية في مخالفة لقواعد وضوابط إدارة المال العام".

كما تم حبس القائم السابق بأعمال بعثة ليبيا لدى مصر بتهمة "التسبب في ضرر جسيم بالمال العام ومخالفة قواعد وضوابط ادارته".

زووم

تقرير دولي:

اتحاد الشغل هو أكبر المستفيدين من "الإسراف" الذي موّلته مديونية الدولة

كريمة السعداوي

بيّن مركز مالكوم كير- كارنيغي وهو مؤسسة دولية بحثية في تقرير أصدره يوم 29 أوت الفارط انه لا شكّ في أن إصلاح اقتصادات تونس ومصر ولبنان على وجه التحديد لإخراجها من دوّامة مشاكلها الراهنة هو المسار الأكثر حكمة وأنه قد يكون مع ذلك محفوفًا بالتحديات على المستوى السياسي.

واكد التقرير على ان مجموعات مختلفة جدًّا استفادت في هذه البلدان من "الإسراف" الذي موّلته الديون وعلى أن هذه المجموعات تمثّلت في الاتحاد العام التونسي للشغل واصحاب البنوك في حالة لبنان والمؤسسة العسكرية في ما يتعلق بمصر.

واكدت المؤسسة الدولية البحثية على انه يتعيّن على السياسيين من أصحاب التوجّه الإصلاحي لتحقيق نمو أكبر في اقتصادات هذه الدول تحييد معارضة الإصلاحات وتشكيل ائتلاف من أجل التغيير.

كما تمت الاشارة الى ان مصر وتونس ولبنان واجهت على غرار دول نامية أخرى سلسلة من الصدمات الخارجية السلبية منذ عام 2019 كانت أوّلها تفشّي وباء كوفيد19- خلال عامَيْ 2020 و2021 حين ارتفع العجز المالي في كل منها. وأضافت أن الحرب المستمرة بين روسيا وأوكرانيا أسفرت هي الاخرى عن ارتفاع أسعار الوقود والمواد الغذائية في العالم.

وشهدت هذه الدول الثلاث حسب تقرير مركز مالكوم كير- كارنيغي زيادة الدعم للتخفيف من تأثير الحرب على العائلات مما فاقم العجز الداخلي والخارجي. وأوضح التقرير انه بعد تشديد شروط الاقراض العالمية سنة 2022 عَقب محاولات الدول الغنية الحدّ من التضخم عبر رفع معدّلات الفائدة عُزلت مصر وتونس عن الأسواق المالية العالمية وباتتا تواجهان محنةً من المديونية في حين تخلّف لبنان عن سداد ديونه في عام 2020.

وابرز تقرير المركز ان أوجه الضعف الاقتصادية الهيكلية القائمة منذ فترة طويلة في هذه الدول الثلاث تسبّبت في اندلاع انتفاضات اجتماعية سنة 2011 عُرفت باسم الربيع العربي أدّت رغم ذلك إلى اضطرابات مالية متنامية تهدّد الاستقرار وتُخلّف معضلات سياسية حادة. وأشار التقرير الى أن عدم التعامل مع التوترات المتنامية سيُفاقم الأزمات المالية التي تثقل كاهل هذه الدول والى أن التعامل معها عبر سياسات تقشّفية فحسب قد يؤدي إلى اندلاع أزمات اجتماعية بهذه البلدان.

وجرى التذكير في ذات السياق بلجوء حكومات مصر وتونس ولبنان في السابق وببساطة إلى شدّ الأحزمة وخفض الإنفاق عند مواجهة الازمات المالية مع الملاحظة أن الاختلالات اليوم كبيرة الى درجة أن الاجراءات التقشّفية الشاملة قد تؤدي إلى ركود شديد بما يمكن ان يشعل بدوره شرارة الاضطرابات الاجتماعية وأن ذلك يتطلب إطلاق مبادرة وطنية يُعتدّ بها لتحقيق التعافي الاقتصادي بدلًا من الاكتفاء باتّخاذ اجراءات تقشّفية فحسب كتلك التي تم تطبيقها في ثمانينات القرن الماضي.

وختم التقرير بأنه رغم تفاقم عجز المالية العمومية وتراجع النمو الاقتصادي أدّى هذان العاملان معًا إلى ارتفاع حادّ في نسبة الدَّين العام بتونس مقارنة بإجمالي الناتج المحلي من 40 بالمائة في عام 2010 إلى 85 بالمائة في عام 2020 ومن 70 % إلى 95 بالمائة في مصر ومن 130 إلى 180 بالمائة في لبنان. وخلص التقرير الى أنه نتيجةً لمعدّلات الدَّين هذه المرتفعة للغاية استنادًا إلى المعايير العالمية باتت الدول الثلاث أكثر عرضةً للتأثّر بالصدمات (مثل وباء كوفيد19- والحرب الروسية الأوكرانية وتشديد شروط الائتمان العالمية) التي هزّت الاقتصاد العالمي.

انتفاضة الشعوب الافريقية وحتمية فتح ملف الشراكات بين تونس والاتحاد الأوروبي

بقلم : جمال الدين العويديدي - مختص في الاقتصاد والتنمية

تزامنت الأحداث الأخيرة المناهضة "للاستعمار الفرنسي" التي أدت إلى انقلابات متتالية في العديد من دول الغرب-الإفريقي مع صدور كتاب أكاديمي بحثي قيّم تحت عنوان صريح "أوروبا-إفريقيا: حول الأصول الاستعمارية للاتحاد الأوروبي" "Eurafrique: Aux origines coloniales de l'Union européenne ⁎ ". هذا الملف الهام حول حقيقة العلاقات الأوروبية الافريقية خاصة منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم تناوله كلاّ من "بيو هانسن" "Peo Hansen" و"ستيفن جونسن" "Stefan Jonsson" وهما تباعا أستاذ العلوم السياسية واستاذ الدراسات العرقية بمعهد البحوث في مجال الهجرة والعرق والمجتمع في جامعة "لينكوبينغ" "Linköping" بالسويد. (⁎Edition La Découverte)

وقد جاء في مقدمة الكتاب "أن أوروبا التي خرجت بعد الحرب العالمية الأولى مُدمّرة ومُفقّرة ومُنقسمة وقد كانت في أوج هيمنتها الامبريالية طيلة القرن التاسع عشر، سارعت في القيام بمراجعات ساهمت في بلورتها الأوساط الحاكمة والنخب الفكرية في القارة العجوز وتمحورت حول مفهوم واعد سُمّي "أوروبا-إفريقيا" "Eurafrique". تحت هذا المُسمّى تم التفكير لتحويل القارة الإفريقية كمُلهم الوحدة الأوروبية باعتبار أن طوق نجاتها يعتمد على قدرتها على الاستغلال المشترك للثروات المتواجدة في مستعمراتها الإفريقية". هذا الموقف يندرج في إطار ضمان وتعزيز الموقع الدولي للقارة الأوروبية بين القطبين الصاعدين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي.

كما ذكر الكتاب أن "مشروع أوروبا-إفريقيا" الذي استهوى الأنظمة الأوروبية الاستعمارية، بما فيها الأنظمة الفاشية بين الحربين العالميتين، طفح على السطح من جديد وبقوة بعد سنة 1945 مع انتهاء الحرب العالمية الثانية. وقد حفّز نخبة أوروبية ممن اعتُبروا من مُؤسّسي "الاتحاد الأوروبي" من بينهم "جون مُوني" "Jean Monnet" و"روبير شومان" "Robert Schuman" في فرنسا و"بول هنري سباك" "Paul Henri Spaak" في بلجيكا الذي ترأس حلف الناتو بعد تأسيسه سنة 1949، و"كونراد أدنهاور" "Konrad Adenauer" في ألمانيا الذي شغل منصب " نائب رئيس المستعمرات الألمانية" في الثلاثينات والذي أصبح رئيسا لألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. مع التذكير أنه تكونت جمعية تحمل اسمه وتنشط في كامل البلدان الإفريقية بما فيها تونس (تحصلت على ترخيص صدر بالرائد الرسمي التونسي سنة 1980,,,) والتي اشتهرت بعد الثورة في تونس بتمويل عدة جمعيات تونسية للدفاع عن المصالح الأوروبية وتنشيط عدة ندوات تسوق إلى التوقيع على مشروع اتفاق التبادل الحر الشامل والمعمق الذي عُرف باسم "الأليكا" "ALECA" والذي يهدف إلى إقحام قطاع الفلاحة والخدمات في المبادلات الحرة في خطوة غير متكافئة ومضرة بالاقتصاد الوطني.

كما جاء في تقديم الكتاب أن "فرنسا باعتبارها أهم قوة أوروبية استعمارية"، لعبت دورا أساسيا في موضوع بلورة مشروع " أوروبا-إفريقيا" خاصة وأنها تعرضت إلى هزيمة نكراء في كل من الهند الصينية إثر معركة "ديان بيان فو" في فيتنام سنة 1954 وفي حرب التحرير في الجزائر في المنطقة العربية. نتيجة لذلك تشبثت فرنسا بمستعمراتها الإفريقية وبمناطق تأثيرها في شمال القارة وجنوبها وجعلت من إدماجها في السوق الأوروبية المشتركة شرطا أساسيا لمشاركتها في البناء الأوروبي.

هذا الملف المهم الذي تم طمسه في البلدان الأوروبية وعدم أخذه بالعناية وبالدراسات المُعمّقة من طرف الجامعات التونسية والعربية تمّ تحليله بإطناب ودقة من طرف المؤلفين خاصة على مستوى المفاوضات التي أفضت إلى التوقيع على معاهدة روما في سنة 1957 التي أسست "المجموعة الأوروبية". كما كشفت طبيعة الأصول الاستعمارية للاتحاد الأوروبي من خلال إقحامها للبلدان الإفريقية داخل المجموعة الأوروبية مثل الجزائر قبل الاستقلال وبقية بلدان ما وراء البحار التابعة لها.

آليات "الهيمنة الاستعمارية" وتداعياتها في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء

احتدت المعارك في القارة الإفريقية إثر الحرب العالمية الثانية وانطلاق الحرب الباردة بدافع إيديولوجي بين الرأسمالية والاشتراكية بين الغربي الأطلسي والشرقي السوفييتي من أجل السيطرة السياسية في علاقة بما أصبح عليه العدد الكبير لبلدان حديثة العهد بالاستقلال متواجدة بالمحافل الدولية (الأمم المتحدة ومجلس الامن الدولي والمؤسسات المالية الدولية). وبدافع السيطرة الاقتصادية لما تمثله من ثروات طبيعية هامة في القطاعات الفلاحية والمنجمية المتوفرة في هذه المنطقة. فكانت في نفس الوقت حربا غربية-شرقية بالتوازي مع تطاحن داخل البلدان الغربية فيما بينها لعبت فيها فرنسا وبريطانيا الدور الريادي بحكم علاقاتهما السابقة بهذه المنطقة.

تعتمد آليات الهيمنة الاستعمارية بالدرجة الأولى على العمل للحد من النزعة التحررية التي بدأت تنتشر إثر الحرب العالمية الثانية عبر التدخل العسكري والاغتيالات بدعوى مقاومة الشيوعية. بالتوازي مع تشجيع وترشيح شخصيات ميدانية إفريقية تُمكنها من السلطة وما تدره من منافع مقابل إعلان الولاء التام لها والعمل على حفظ مصالحها. وهو ما قامت به فرنسا في كل من ساحل العاج مع الرئيس "هفوات بواني". وفي السنيغال مع الرئيس ليوبولد سدار سنغور ومع الرئيس "عمر بونغو" في الغابون الذي عمّر في السلطة أكثر من أربعين سنة ثم تم توريث ابنه "علي بونغو" الذي أُطيح به مؤخر. وكذلك الشأن في التشاد مع إدريس دبّي. كما يتم الحرص على الإطاحة بكل طرف يحظى بشعبية كبيرة ويرفع شعار التحرر أمثال "باتريس لومانبا" في الكونغو و"توماس سانكرا" في بوركينا فاسو ومعمر القذافي في علاقة بسعيه إلى بعث عملة مشتركة في القارة الإفريقية.

لقد سعت فرنسا إلى الانتقال من مفهوم "أوروبا-إفريقيا" إلى مفهوم ضيق سمي "فرنسا-إفريقيا"France-Afrique" الذي تم تعزيزه بمؤسسات وإمكانيات بشرية ومادية عسكرية منها واستخباراتية هامة لتحقيق أهدافها في القارة الإفريقية.

كما اختارت الاعتماد على علاقة قيصرية بين الفرنك الفرنسي (FF) والفرنك الإفريقي (CFA) أو ما أسمته بمنطقة الفرنك (La zone franc). لقد تم بعث الفرنك الإفريقي بتاريخ 26 ديسمبر 1945 إثر مصادقة فرنسا على اتفاقات "برتين وودس" " Bretton Woods" وصرحت بالتسمية الرسمية لهذه العملة "Franc des Colonies Françaises d'Afrique " (Franc CFA). ثم غيرت الاسم بعد استقلال هذه البلدان مع الإبقاء على نفس الحروف ""Franc de la Communauté Financière Africaine" بالنسبة لمنطقة الاتحاد المالي لبلدان غرب إفريقيا و""Franc de la Coopération Financière en Afrique Centrale" " بالنسبة لمنطقة الاتحاد المالي لبلدان إفريقيا الوسطى.

وقد أدى هذا التدخل إلى سحب السلطة النقدية من البلدان الأربعة عشر المعنية. ووصل الأمر إلى أن أصبحت هذه البلدان تقوم سنويا منذ عشرات السنين بإيداع 50% من رصيدها من العملة الأجنبية من التجارة الخارجية لدى البنك المركزي الفرنسي بدعوى ضمان قيمة الفرنك الإفريقي الذي يتم طبعه في فرنسا وتحت إشرافها. استصدار العملات المحلية شكل حاجزا للتنمية الاقتصادية لهذه البلدان. حيث نسبة القروض للاقتصاد المحلي قياسا بالناتج المحلي الإجمالي لا يمثل إلا 23% فقط في منطقة الفرنك الإفريقي حاليا بينما مقارنة يمثل 100% في منطقة اليورو؟

هذا طبعا زيادة على السيطرة المطلقة على الثروات الهائلة التي تُستغل من طرف الشركات الكبرى الأوروبية والفرنسية من طاقة ومناجم وموارد فلاحية (ذهب، أورانيوم، منغنيز، حديد، خشب، كاكاو، قطن وغيرها). هذه المنتوجات يتم تصديرها خاما وبأثمان بخسة لتحويلها وتثمينها صناعيا في البلدان الأوروبية ثم تسوق في العالم بقيمة إضافية عالية. وهو ما يعبر عنه بالتبادل غير المتكافئ (L'échange inégal) الذي يُكرّس تعميق التفاوت في التنمية وانتشار الفقر والخصاصة والبطالة وانسداد الأفق للشباب في البلدان الإفريقية. مما أدى إلى الهجرة السرية شأنهم شأن الشباب التونسي أين تلتقي شعوبنا وخاصة شبابنا في نفس الخندق الذي نعيشه اليوم

تلخيص الوضع في القارة الإفريقية مؤسف وصادم حيث تُصنف من أفقر بلدان العالم والحال أنها في نفس الوقت تُعتبر من أغنى البلدان من حيث احتياطاتها المنجمية والنفطية والزراعية مثل مالي والنيجر والغابون التي تسخر بمناجم الذهب واليورانيوم والبترول والغاز. مواد أساسية يتم استغلالها استغلالا فاحشا من طرف الشركات الأوروبية أمثال الشركة الفرنسية العالمية "أريفا" "AREVA" في ميدان اليورانيوم والشركات الكبرى التي تتعامل معها مثل

"ألستوم" "Alstom" و"سويس" "Suez" و"بويغ" "Bouygues" وشركات "طوطال إينرجي" "وآلف" في ميدان البترول.

في نفس الوقت ثلث الشعب المالي والنيجيري وغيرهما في إفريقيا يعانون من الجوع ومن عدم وفرة الماء الصالح للشراب. عشرة آلاف طفل يموتون سنويا نتيجة فقدان الماء الصالح للشراب حسب مصادر دولية. كذلك 30% من الأطفال لا يلتحون بالمدارس سنويا نتيجة الفقر والاحتياج. معدل سن العيش لا يتعدى 49 سنة في المنطقة؟؟؟

كيف يمكن تقييم الوضع في تونس في خضم "الأصول الاستعمارية للاتحاد الأوروبي" وتواجده المكثف

نذكر أن الوثيقة التأسيسية للمجموعة الأوروبية التي انبثقت عن معاهدة روما بتاريخ 25 مارس 1957 من طرف الست دول المعنية (بلجيكا وفرنسا وإيطاليا واللكسمبرغ وهولندا وألمانيا الغربية) قررت بطلب فرنسي ملح إدماج كلا من الجزائر، والحال أنها كانت تخوض حرب تحرير ضروس، وكذلك ما يسمى بالمناطق الفرنسية ما وراء البحار وهي أربع جزر، بصفتها أعضاء كاملة العضوية في المجموعة الأوروبية. كما نصت الوثيقة على ترك المجال مفتوحا لإدماج "منطقة الفرنك" الفرنسي في إطار شراكات. وقامت فرنسا بإدماج حضوري لعشرين مستعمرة إفريقية بالأساس بعنوان الشراكات مع المجموعة الأوروبية. وأضيف إليهم ثلاث مستعمرات بلجيكية وهي الكنغو البلجيكي ورواندا وبورندي بالإضافة إلى الصوماليلاند التابع للاستعمار الإيطالي وغينيا الجديدة التابعة للاستعمار الهولندي.

أما بالنسبة لتونس وغيرها من البلدان العربية الأخرى (المغرب وتونس ولبنان وسوريا وغيرها بصفتها مستعمرات سابقة) فقد تُرك المجال مفتوح للتربص بإدماجها في شراكات مع المجموعة الأوروبية حين تتوفر الفرص. حيث انطلقت الاتصالات للتسويق لهذه الشراكات منذ التوقيع على معاهدة روما.

حول هذا الموضوع لابد من التنويه بالقرارات الاستباقية التي اتخذتها حكومة الاستقلال في تونس للصد دون هذا الالتفاف الاستعماري الجديد. حيث سارعت الدولة التونسية في سنة 1958 بصك الدينار التونسي بصفته عملة وطنية والقطع مع الفرنك الفرنسي. كما قامت بتأسيس البنك المركزي التونسي في نفس السنة.

السياسة التي اعتمدتها فرنسا والاتحاد الأوروبي في تونس سعت منذ البداية لوضع حد لتجربة الآفاق العشرية التي انطلقت في بداية الستينات والتي قامت على تنفيذ مخططات تنموية هامة لتثمين الثروات الوطنية في الصناعة والفلاحة والخدمات مع الحرص على اجتناب المديونية المُفرطة والعمل على تونسة الاقتصاد الوطني والتركيز على تطوير المرافق العمومية مثل التعليم والصحة والنقل.

لتحقيق هذا الهدف تم فرنسا بالذات على شيطنة النخبة الحاكمة آنذاك التي يتزعمها الفقيد أحمد بن صالح بتهمة أنها سياسة اشتراكية. هذه الشيطنة وجدت لها صدى في الداخل مما أدى إلى الإطاحة بأحمد بن صالح. وللتاريخ فقد صرح أحمد بن صالح في عدة مناسبات "أن من أطاح به هو الاستعمار وليس الرئيس بورقيبة". من ذلك نلاحظ أن قرار الإطاحة بأحمد بن صالح في سبتمبر 1969 جاء إثر التوقيع على أول اتفاقية شراكة مع المجموعة الأوروبية بتاريخ 28 مارس 1969.

تزامنت هذه الخطوة مع بداية تنفيذ سياسة الانفتاح التي كانت تسوق للرأس مالية ولحرية السوق التي تعمل على وضع حد لكل مد وطني. وقد تم تطبيق هذه في مصر مع وصول السادات للسلطة وفي عديد البلدان الأخرى بما فيها تونس.

حيث ركز الاتحاد الأوروبي على قرب المسافة بين بلدان الجنوب الأوروبي (فرنسا وإيطاليا زيادة على ألمانيا وبلجيكا) وبلدان شمال إفريقيا ليجعل منها منطقة حرة غير خاضعة للضرائب لانتصاب مؤسساتها الصغرى والمتوسطة بالأساس للمناولة بأجور منخفضة. وهو ما تجسم بقانون سنة 1972 بدعوى أنه نشاط يوفر مواطن شغل. غير أنه لا يوفر قيمة مضافة وثروة ولا يعزز رصيد البلاد من العملة الاجنبية مثلما يسوق له باطلا إلى اليوم.

لقد بينت الدراسة التي قامت بها الباحثة الألمانية "كريستين كوش" "Kristina Kausch" حول السياسة التدريجية التي اعتمدها الاتحاد الأوروبي في شمال إفريقيا لتطويع البلدان عبر آليات عديدة ذكرت من أهمها:

- استقطاب اليد العاملة من بلدان شمال إفريقيا خاصة منذ بداية الستينات لإعادة الإعمار والبناء (في فرنسا وألمانيا بالخصوص) وانتصاب شركات المناولة في تونس والمغرب مثلا التي توفر فرص عمل رغم محدودية أجورها. وهو سكين ذو حدين حيث من جهة يوفر عائدات بالعملة الأجنبية ولكنها تعتبر وسيلة ضغط في يد الاتحاد الأوربي تستعمل متى شاء عبر قرار تحديد أو حتى إيقاف التحويلات بدواعي شتى. كما أن الشركات غير المقيمة لا تضمن الاستقرار.
- دفع السلطة المحلية للتعويل على القطاع السياحي وإيلائه دورا أكبر من حجمه رغم هشاشته ورغم الاستثمارات الضخمة التي تم تسخيرها على حساب القطاعات المنتجة وبديون خارجية عالية ومردودية ضعيفة جلها يتم تهريبها للخارج.
- تكوين نخب داخلية موالية للاتحاد الأوروبي ومناصرة له عبر العديد من الوسائل خاصة منها الجامعات وتمويل وسائل الإعلام غالبيتها ناطقة بالفرنسية.
- تجنيد الجاليات من الأجيال الثانية والثالثة التي نشأت في البلدان الأوروبية والتي أصبحت غالبا مزدوجة الجنسية.
- تجنيد الجمعيات المدنية غالبا ما تكون فروعا لجمعيات أوروبية وأمريكية انتشرت في كامل البلاد خاصة بعد الثورة.
- التغلغل داخل الإدارة الوطنية مركزيا وجهويا ومحليا وفي البلديات والجمعيات المدنية ولنا في وكالة التعاون الألمانية "ج.إي.زاد" "G.I.Z" أفظع مثال حيث أصبحت بدون مبالغة المسير الأول في البلاد.
- تدخل السفراء في الشأن السيادي داخل البلاد والحرص على تعيين مناصرين لهم على جميع المستويات.

حسب الباحثة الألمانية "هذا المخطط المُحكم جعل من تونس دولة تدور في فلك البلدان الأوروبية مسلوبة السيادة والاستقلال لا يمكنها القيام بأي إصلاح يتضارب مع مصالح الاتحاد الأوروبي. الشيء الذي أتاح له عملية السطو على مقدرات البلاد وثرواتها ومؤسساتها وفي مقدمتها القطاع المصرفي بما فيه البنك المركزي الذي يعتبر رمزا للسيادة النقدية الوطنية وباني المسيرة التنموية في البلاد.

كما تمكن الاتحاد الأوروبي من التغطية على اختلال التوازنات في المبادلات التجارية بين الطرفين بطريقة لا تخلو من نفاق وتدليس تم تمريره منذ عدة عقود عبر تواطئ غريب من الجهات الرسمية المعنية وكذلك من جميع المنظمات الاجتماعية وفي مقدمتها اتحاد الصناعة والتجارة والاتحاد العام التونسي للشغل خاصة على مستوى مركز الدراسات. وكذلك من المنظمات المهنية ذات الصلة ومن النخب الجامعية التي تورطت جميعها في هذا الموضوع المحوري. حيث لو تم كشف حقائق اختلال التوازنات لأقدمت البلاد على فرض مراجعات كبيرة وعميقة في المنوال التنموي لما فيه خير البلاد والعباد.

كما تم القضاء على النسيج الصناعي الذي تكون في العقود الثلاثة الأولى بعد الاستقلال بمفعول تطبيق اتفاق الشراكة الموقع سنة 1995 حيث تم إلغاء المعاليم الديوانية على المنتوجات الصناعية المتأتية من الاتحاد الأوروبي.

التداعيات الاقتصادية والاجتماعية الكارثية في تونس منذ عقود يحتم علينا اليوم فتح ملف الشراكة مع الاتحاد الأوروبي وتصويب المسار

لقد أطنب الاتحاد الأوروبي في عمليات التأقلم من أجل إحكام القبض على مستعمراته سواء عبر تنصيب دكتاتوريات يتم حمايتها وإغراؤها لتحافظ على مصالحه وقد تعددت الحالات في القارة الإفريقية منذ ستة عقود. كما تأقلمت مع بروز الثورات التي بشرت بالانتخابات الديمقراطية. حيث سرعان ما عملت على تطويع الأحزاب السياسية التي تبين أنها لا تملك مشروع إنقاذ وطني بقدر ما تراهن على السلطة ومنافعها مقابل تقديم خدمات مثل تمرير القوانين التي تخدم الاتحاد الأوروبي والعديد من البلدان الإقليمية الأخرى. مما جعل البلاد تتحول إلى وكر للتدخل الأجنبي لكل من هب ودب.

المؤشرات التي عددناها سابقا حول الوضع الاقتصادي والاجتماعي في البلدان الإفريقية جنوب الصحراء أصبح اليوم لا يختلف كثيرا على ما هو عليه الوضع في تونس. انتشار الفقر وغلاء المعيشة وانتشار البطالة والفساد وانتشار ظاهرة الفساد والهجرة السرية وهجرة الادمغة. مع انهيار لقيمة العملة الوطنية نتيجة استصدار مؤسسة البنك المركزي وتحويل لوجهة القطاع المصرفي عن تمويل الاقتصاد المنتج. وهي لعمري مسائل محورية لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق تعافي اقتصادي ودفع للاستثمار المحلي.

لذلك نرفع نداء ملح إلى رئاسة الجمهورية بصفتها المؤسسة المباشرة للسلطة في البلاد وإلى الشعب التونسي صاحب السلطة ومانحها بالوكالة وإلى كل المنظمات الوطنية والاحزاب السياسية والنخب الفكرية والثقافية وإلى كل اللوبيات المتنفذة في مفاصل الاقتصاد الوطني علينا أن نعلم جميعا أن الاستعمار وحش اكتوينا بويلاته منذ القرن التاسع عشر. أطردناه بدماء والدينا وأجدادنا وتسلل لنا من جديد. فهو لا يبالي بفقر الشعوب وبحرمانها ولا بانتحار شبابها ولا بانهيار اقتصادها وانتشار الفساد والإفساد والتهرب والتهريب لأن كل هذه العوارض التعيسة لنا هي مدخل ومكمن قوة له ليفتك بنا جميعا قدر ما امكن له وقدر ما مكناه من أنفسنا.

فهل من صحوة جماعية لطرده واسترداد وحدتنا وحقنا في تقرير مصيرنا لنشر العدالة والحقوق والازدهار لكل فئات شعبنا وفي كل ربوع بلانا. لا شيء مستحيل إذا توفرت العزيمة والإرادة ونبذ الأنانية وحب الذات.

الوزيرُ الأكبرُ الصّموتُ يُؤدّي قَسَمَ السّكوتِ

صالح مصباح

حَدّثَ أبو أُصَيبِعَةَ قالَ:
نَصّ هذا القولِ، هو ضَربٌ مِن التّخيّلِ، والصّوغ المُعدَّلِ، على مقتضى الإنشاء الطّليقِ، من روابط التعليقِ، بواقع حالٍ من الأحوالِ، أو بأيٍّ من النّساءِ والرِّجالِ. وإذا ظهر انطلاقٌ على أيِّ فَردٍ أو ظَرفٍ، فذاك مَحضُ صُدَفٍ، وقَدْرٌ مِن الإشتباهِ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

قال أبو أُصَيبِعةَ:
حَكَم إفريقيةَ، على أيام بني نَهقَةَ، السلطانُ ابنُ المُلوَّح الأوّلِ، القادمُ من هوامش النَّحَلِ، وقد بايَعُوهُ بالقولِ والفعلِ، بَعدِ عَقدٍ بينهم وبينه بالجَهرِ أو بالصَّمتِ، شَبيهٍ بقِصَّةِ الخالِ وابنِ الأختِ، إذْ ذَهبَ في ظنِّ الخالِ أنّ ابنّ الأختِ، سيرعَى لَهُ الغنمَ طيلة السَّنةِ، على وجه التّكرّم والفضلِ، وذهب في ظنّ ابن الأختِ في المُقابلِ، أنّ كرم الخالِ، سَيَنغَدِقُ عليه بعد رَعيِ الحَولِ،و سيُطلِّقُ الفقرَ، ويَنالُ اليُسرَ.
ولمّا هَمَّ بنو نَهقةَ في الحال، بوضع ابن الملوح الأوّلِ، في ركابهم المُعدّلِ، على مقاسهم ومَقاسهِ، وَجدُوه مُبَيتا وضعهم تحتَ مِراسِهِ، ودَمجِ حَجَرِهِم في حجَر أساسِهِ، تحت امرأةِ نِبرَاسِهِ، لا نِبرَاسَ مُوَقَّرِهِم، لأن مَقلَعَ حَجَرِهِ من مَقلَع حَجَرِهِم، وأصلَ فِكَرِهِ من أصلِ فِكَرِهِم، فكان لِفساد النّوايا، وتَباينِ الطَّوايا، أنْ جَمعَا أسباب المُخاصَمةِ، وفَتائلَ المُصادَمةِ، ممّا كان سَيُطوِّح بِهِ وبِهِم في الإبانِ، ويَطوي صفحةً مِن بؤس الزمانِ، وانفتاح أخرى باديةٍ للعيانِ.
لكنّ دولة المَنازِرَةِ، صاحبة الوصايةِ والمُناصرَةِ، كَرِهت أن تُجازف بالمُخاطرةِ، بطيِّ عَهدِه وعَهدِهِم، في خِتام عَقدِهِم، فأذِنَت له بإزاحة قُوّادِهِم، وتمديدِ عهدِهِم، ونِسبتِه إلى زمانِه، وحُكمه وسلطانِهِ، بتغيير ألوانِه، دَرءًا لِمَن اعتادُوا أن يُخلِصُوا لإفريقيةَ، فلا يُطيعُون المَنازِرَةَ.

قال أبو أصيبعة:
لمّا تلقّت مسامعُ السلطانِ، الإذن بالتّحرك في الإبانِ، لتغيير كفَتَيْ الميزانِ، مِن دُون تغييرٍ لِموازينِه، استدعى إلى مجلس ديوانِهِ، رؤوسَ عسكرِهِ وأمنِهِ، وأعلنَ ميثاقَ حُكمِهِ الأوحَدِ، وسلطانِه المُفرَدِ، في شؤون الحلّ والعَقدِ، والقول والفَصلِ، والتّدبيرِ والفعلِ، واصطفاءِ الأعضاءِ، والقُضاة والوُكَلاءِ، والوُلّاة والسّفراءِ، وتَخَيُّرِ الوزير الأكبَرِ، سَنَدِهِ الوفيّ المباشرِ، بِشرط صَمتِهِ كالمَقابِرِ.

قال أبو أُصَيبِعَةَ:
اصطفى السلطان في ذلك الحينِ، ابنةَ أبي الودنِ، وزيرةً له كبرى ذات شأنٍ، على أن تكون بِلاَ لِسنٍ، صَمُوتةً كَقِدحٍ بِلا دَنٍّ. فأمضَت على تلك الحالِ، سنَّةً وافيةَ الإكتمالِ، قبل أن يأمرَها السلطانُ بالترحَالِ، لِفَتح باب الإختِبارِ، والتدقيق والإختيارِ، لمن يتولّى عنها رأسَ الوزاراتِ، في عسيرِ الأوقاتِ ، عسى أن يتعاضد الرأسانِ، تحت إمامةِ السلطانِ، على درءِ المفاسدِ، وضربِ الأقاربِ والأباعدِ ، من المتآمرين على إفريقية الفالِسةِ، وعلى رعيتها البائسةِ، وعلى دولتها الحائرةِ، وقواها الخائرةِ.

قال أبو أصيبعة:
كان صاحبُ البريد المُبجَّل، يتّجهُ بعد مُنتَصف الليلِ، إلى من يَجِيءُ دَورُه في السِّجِلِّ، للإختبار والإمتحانِ، واستيفاء شرائط السلطانِ. وكانت فاتحةُ الإختبارِ على الدوامِ، هي تِلاوةُ نصِّ القَسمِ، وقد حبّرَته أنامِلُ السلطانِ، بريشةِ عَبد الحميد الثّاني، وبيانُه هو التّالي، يتلوه المترشّح في الحال:" أقسم بالله العلي العظيمِ، وبآي ذكره الحكيمِ، أن أقوم بالمهامِّ، صائما عن الكلامِ، مطيعا للسلطانِ، في احتكاره للبيانِ".

قال أبو أصَيبِعةَ:
صار الأمرُ مِرارًا، والإختبارُ تكرارًا، إذْ كلّما نفخ المترشحُ الصّدرَ، وشحذَ فيه الوتَرَ، وأحسَن القراءةَ والنَّبْرَ، وتلاوةَ القَسمِ، بصوتٍ جَهوَريّ النّغَمِ، مُجْلٍ مفاصلَ الكَلِمِ،أمَر السلطانُ بوقف اختبارِهِ، وبطردِهِ وإدبارِهِ، واستجلابِ أغيارِهِ، فكَرِهَ صاحبُ البريد كثرةَ الأتعابِ، في الذهاب والإيابِ، وإعادةَ الإستجلابِ، فَبَّيتَ ضربا من الحَلِّ، لِوقفِ التَّعب والمَلَلِ.

قال أبو أصيبعة:
جاء دورُ الإختبارِ، بعد البحث والإنتظارِ، على مُنحَدِر مِن الحُسَينيّة التّركيةِ، وسليلِ الفَرَنجيَّةِ،لا باعَ له في السياسةِ، ولا عِلمَ له بالرّئاسةِ، فَأَسَرَّ لَهُ صاحبُ البريدِ في الطريقِ، بما بِهِ يَنالُ حظوةَ التَّحقيقِ، لِمعيار السلطان الدّقيقِ، فَأومَأَ بالرأسِ، كنايةً عن فَهمِ الدَّرسِ.
وحالما وَصلَ المترشّحُ قصرَ الحُكمِ، تسلم نصَّ القَسَمِ، فأحكَمَ إغلاق الفَمِ، وأدمجَ الشّفتَينِ إلى الدِّغْمِ، وأمعنَ في النظرِ، إلى مَخطوطِ الأسطرِ، وأسدَلَ الرأسَ إلى الصّدرِ، وتَرجَمَ فحوَى القَسَمِ، بلغةِ الصُّمِّ، وإشارةِ البُكمِ، ثم انكَمش في تمام الإستحياءِ، وأرخى العنقَ وغالى في الإنحناء، وتَذَلَّلَ في كَسَلِ الإستِواءِ، كَديكِ الكَهرُباءِ، فتهلَّلَت أساريرُ السلطانِ، وأبدى علامات الإمتِنانِ، وقال هو ذا عَضُدِي، وعَوني وساعِدِي، وإني وإياه سنَمضِي قُدُمًا، وسنصونُ حُكمًا، وسنُحقِّق حُلمًا، تاقت إليه الرعيةُ المَكلومةُ، المَغبونَةُ المظلومةُ، من أرباب المالِ، وأصحاب الأعمالِ، فَلا مَالَ بَعدَ اليومِ في الجيوبِ، ولا رُجُوعَ إلى سابق الدُّرُوبِ، وإنه لَعَصرُ الشعوبِ، تلك التي يُمطِرُها سخاءُ السماءِ، بأسباب العيشِ والنّماءِ، وإنّ المالَ آتٍ مِن رُوما ذات السّخاءِ ، لأننا نَتَقبَّلُ مَطارِيدَها مِن"الدَّهمَاء".

قال أبو أصَيبِعَةَ:
تسللتُ بعد قَسَم السّكوتِ، إلى الوزيرِ الأكبرِ الصَّموتِ، فبادَرتُه بالتّهاني، فأومأ خُفيةً بالبَنانِ، بوجوب الحذرِ من الكلامِ، وإرجاع الردّ إلى قادم الأيامِ، بعيدا عن مَسامع اللّئامِ، من بطانةِ كلّ الحُكام، وها أنّي انتظرُ، وقد مَرَّ الشّهرُ.

يحتاج لدرس في التاريخ والجغرافيا :

وزير الخارجيّة الجزائري لا يعرف تونس!

معز زيّود

من مميّزات الأزمة الداخليّة الشاملة التي تشهدها تونس منذ سنوات أنّ القاصي والداني بات يُعاملها بخطاب أقلّ ما يُقال فيه إنّه يعكس نظرة تكبّر ضيّقة، لكنّها تُجسّد في الآن ذاته قصورًا في النظر وجهلا سياسيّا ماحقا. قضيّة الحال تتعلّق بالخطاب المريب لوزير الخارجيّة الجزائري إزاء تونس مؤخّرا. وهو ما يحتاج إلى إيقاظه من غفوة قد تطول...

وزير الخارجية الجزائري أحمد عطاف

معلوم أنّ العلاقة بين الشعبين التونسي والجزائري هي من الإخاء والتماسك ما لا يمكن لسياسيّي البلدين النيل منها، باستثناء قصار النظر والانتهازيّين والمتسلّقين العالقين في عباءة السلطة أو المعارضة هنا وهناك. وهو الحال نفسه تقريبا بالنسبة إلى العلاقات والوشائج الأخويّة القائمة بين الشعبين الجزائري والمغربي التي لا يمكن بدورها أن تعكّرها العداوة المُعلَنة بين نظامي البلدين... نقول هذا من باب المعرفة بالشيء وسدّا لذريعة سياسيّي الزمن الرديء المجرّمين لكلّ صوت مختلف. وتتمثّل حادثة الحال فيما تفوّه به وزير الخارجيّة الجزائري أحمد عطّاف خلال مؤتمر صحفي مؤخّرا. وهذا ما قاله حرفيّا: "ففي ما يخصّ تونس، استقبل رئيس الجمهوريّة مبعوثا خاصّا من تونس منذ أسبوعين، أظنّ، ورسالة من الرسائل التي حملها المبعوث التونسي هو أنّه فنّد تفنيدا قاطعا أيّ نيّة أو أيّ خطوة لتونس تُجاه التطبيع، هذا واحد. اثنين هوما راهم، قيل لي أنا شخصيّا من طرف زميلي أنّ في (هناك) قانون سيُسنّ في تونس لتجريم أو لتخوين، من الخيانة العظمى، للتطبيع مع إسرائيل".

قد يبدو هذا الطرح بالنسبة إلى البعض عاديّا، فما الإشكال الذي يختزنه؟!

أوّلا: سمح وزير الخارجيّة الجزائري لنفسه بأن يخوض خلال مؤتمر صحفيّ في قضيّة تتعلّق بشأن داخلي تونسي يخصّ قرارًا سياديّا ليس من شأن بلاده، ولو ظاهريا على الأقلّ، ولا يحتاج لأيّ مزايدات، باعتبار أنّ التونسيّين جميعهم ضدّ التطبيع مع الكيان المحتلّ، باستثناء قلّة قليلة جدّا لا وزن لها من مزدوجي الولاء والانتهازيّين التي لا تستطيع الجهر بمواقفها أصلا.

ثانيًا: إعلان الوزير عطّاف عن اعتزام تونس سنّ قانون لتجريم أو لتخوين التطبيع مع إسرائيل، والحال أنّ السلطات التونسيّة لم تُعلن بل ولم تُلمّح مطلقا لاعتزامها اتّخاذ ذلك الإجراء القانوني الذي أثار جدلا تحت قبّة البرلمان قبل سنوات، وكأنّه يتحدّث أصلا باسم تونس ونيابةً عنها. وحتّى إن أبلغه "زميله" وزير الخارجيّة التونسي فعلا بما ذهب إليه، فإنّه من المعيب دبلوماسيّا التصريح به قبل أولي الأمر.

ثالثا: المكابرة ونظرة الاستصغار وربّما الاحتقار التي تحدّث بها عطّاف عن نظيره الدبلوماسي الذي سمّاه بـ"المبعوث التونسي" دون أن يتفوّه باسمه (نبيل عمّار) ودون أن يذكر صفته وهي وزير خارجيّة مثله ويفترض أن يتعامل معه على هذا النحو من باب الاحترام المفترض لبلد الجوار ومسؤوليها...

إلام تعود هذه الرداءة الدبلوماسيّة إذن؟! والحال أنّ الدولة الجزائريّة طالما عُرفت بوزراء خارجيّة من طرازٍ عالٍ، لا فقط على مستوى الكفاءة الدبلوماسيّة وإنّما خصوصا على مستوى قوّة الخطاب ورصانته في الآن نفسه، فضلا عن الالتزام الصارم بقواعد التعامل الدبلوماسيّة وفي مقدّمتها عدم التدخّل في شؤون الدول الأخرى... فكيف ننسى مثلا حكمة كبار وزراء الخارجيّة الجزائريّين ورصانتهم الدبلوماسيّة؟، أمثال أحمد طالب الإبراهيمي أو كذلك الأخضر الإبراهيمي الذي جاب مشارق الدنيا ومغاربها مبعوثا للأمم المتحدة في هايتي وجنوب إفريقيا والزائير (سابقا) ثمّ تباعا في لبنان واليمن والعراق وأفغانستان وسوريا ومن قبلهم عبد العزيز بوتفليقة الذي مسك مقاليد خارجيّة بلاده سنة 1963، أي بعد عام من استقلال الجزائر إلى غاية آخر السبعينات، وسطّر خلالها قواعد السياسة الخارجيّة الجزائريّة. وهي مسيرة حافلة أتاحت له بعد عقدين بالضبط رئاسة البلاد ومواصلة النهج الدبلوماسي ذاته لبلاده.

الغريب في الأمر أنّ أحمد عطّاف ليس شخصيّة نكرة في الدبلوماسيّة الجزائريّة. فقد شغل منصب سفير لبلاده في أكثر من بلد (الهند، يوغسلافيا (سابقا)، بريطانيا). كما تقلّد منصب وزير الخارجيّة في مناسبة سابقة، وتحديدا عام 1996 ولم يرحل إلّا عام 1999، أي عند وصول بوتفليقة إلى رأس الحكم باعتباره كبير وزراء خارجيّة الجزائر السابقين، ويُميّز من دون شك بين الغثّ والسمين!، المقصود بذلك أنّ المسيرة الدبلوماسيّة لأحمد عطّاف تفترض أن يكون من الحصافة ألّا يقع في مثل تلك الرداءة عند الحديث عن تونس أو عن نظيره التونسي، لاسيما أنّه لم يكن يتحدّث عن عجلٍ يتسبّب في فقدانه البوصلة، بل بدَا وكأنّه يحفظ عن ظهر قلبٍ ما ردّده من عبارات بشأن تونس، أقلّ ما يُقال عنها أنّها تخلو من أيّ حسّ دبلوماسي رصين، إلّا في حالة تكليفه بذلك أو سقوطه في الفخّ المسموم للاستكبار والاستضعاف!. وهنا ينبغي التذكير بما لا ينبغي أن يُنسى، وهو أنّ تونس ليست مجرّد "ملف"، على خلاف ما تداوله الرئيس الجزائري عبد المجيد تبّون ذات اجتماع في روما. كما أنّ حوارها الوطني الذي يُفترض أن ينتظم ولو بعد حين ليس شأنا إلّا للتونسيّين ونُخبهم...

وبصرف النظر عن الأزمات التي تشهدها تونس، سياسيّة كانت أو اقتصاديّة، ومهما كانت حدّتها. فإنّه لا مجال بتاتًا للسكوت عن تمرير بعضهم مضامين تمسّ من استقلاليّة البلاد سواء كانوا عربًا أو غربًا أو كربًا. أمّا عن بعض التعبيرات الغريبة المتداولة بين الحين والآخر، على غرار نشر هيكل جزائري رسمي (وزارة المجاهدين) لافتة لأحد مؤتمراتها تُلغي حدود تونس في خريطة للقارّة الإفريقيّة وتجعلها جزءا من الجزائر، ثمّ تبرير نائب رئيس برلمانها بأنّ خارطة تونس ربّما سقطت "خطأ أو سهوا"، أو ادّعاء خبير اقتصادي جزائري مأبون نتعفّف عن ذكر اسمه بأنّ بلاده تعتبر تونس إحدى الولايات التابعة لها، فإنّ كلّ ذلك لا يُصنّف إلّا من ضمن الحماقات السياسيّة البذيئة التي لا تُسيء لتونس بقدر ما تُسيء لقائليها ممّن هم في حاجة لإعادة قراءة التاريخ والاطّلاع على خرائط المنطقة...

النهضة : انطلقت مرحلة ما بعد الغنوشي

مجلس الشورى كان سيناقش إعلان الشغور النهائي لمنصب الرئيس

المنذر الونيسي
عبد الكريم الهاروني

كوثر زنطور

كانت النهضة حتى نهاية الأسبوع المنقضي على بعد خطوات قليلة من غلق قوس مرحلة "قياداتها التاريخية". هذا التوجه كان مضمّنا بطريقة أو بأخرى في اللائحة التي كانت ستَطرح للنقاش التصويت في اجتماع مجلس الشورى وحال وضع رئيس المجلس عبد الكريم الهاروني في الإقامة الجبرية دون تمريره.

عادت حركة النهضة بخلافاتها الداخلية الى واجهة المشهد السياسي على خلفية تطوّرات الايام القليلة الماضية وعلى رأسها إحالة رئيس مجلس شوراها عبد الكريم الهاروني على الاقامة الجبرية علاوة على التسريبات المنسوبة الى رئيسها المؤقت المنذر الونيسي المعروف حتى وقت قريب في الأوساط النهضوية بالطبيب الخاص لرئيسها راشد الغنوشي.

وكان من المقرّر ان ينظر شورى النهضة خلال دورته الأخيرة في لائحة تهمّ المرحلة الانتقالية التي يعيشها الحزب. تقترح اللائحة آجالا محددة لمرحلة " الرئاسة المؤقتة" تُسقّف زمنيا بنصف سنة (6 اشهر) وتنطلق من تعيين رئيس مؤقت (منذر الونيسي). بعدها يمر الحزب إلى تنظيم مؤتمره الـ11 يحدّد موعده قبل نهاية شهر اكتوبر المنقضي وتكون من مخرجاته انتخاب قيادة جديدة. اللائحة كانت ستطرح اعلان حالة الشغور النهائي في منصب رئيس الحركة .اعلان يفسح المجال إلى تولي الهاروني رئاسة الحزب مؤقتا الى حين انعقاد مؤتمره وفق مقتضيات النظام الاساسي للحركة.

منعرج

الثنائي راشد الغنوشي ومنذر الونيسي في قلب النقاشات الداخلية للحركة اليوم. الأول بحاله ووضعه اليوم وبرمزيته داخل التنظيم وبمسؤوليات الامس القريب وبما حملت سنوات الـ5 عقود المنقضية في قيادة النهضة. والثاني بما يمثل اليوم كرئيس مؤقت للحزب قادم من رحم ترتيبات ذاتية فرضها الغنوشي على الجميع اياما قليلة قبل قرار ايقافه (17 افريل 2023) وكوافد على الصفوف الاولى للقيادة الحزبية تقذفه الطموحات وتلاحقه تهم التخوين والبحث عن صفقات مع السلطات القائمة.

كان اختيار الونيسي من قبل الغنوشي مفاجئا لكل أعضاء المكتب التنفيذي . يقول مصدر من المكتب لـ"الشارع المغاربي" ان اجتماعا عقد على عجل خلال شهر افريل الماضي وان الغنوشي خصّصه لتدارس سيناريو ايقافه. المصدر يؤكّد لـ" الشارع المغاربي" ان الغنوشي وضع تمشيا كاملا لإدارة الحركة في صورة ايقافه يضم تعيين منذر الونيسي كرئيس مؤقت لها.

الاكيد ان الغنوشي لم يختلف عن غيره في اختيار "رجل المرحلة" مثلما كان الحال عند اختيار الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي يوسف الشاهد او رئيس الجمهورية الحالي قيس سعيد مع هشام المشيشي. اختار الغنوشي " طبيبه الخاص" الذي خاض معه " معركة كوفيد المريرة مثلما تحدّث عنها الونيسي. فهو من الثقاة ومن المقربين وممن اصطفاهم الغنوشي لعضوية المكتب التنفيذي وهو خاصة ممن لا تتوفر فيهم شروط الزعامة وبلا نفوذ في التنظيم لتغيير موزاين القوة .

والاكيد ايضا ان النهضة لم تكن عند تسليم قيادتها الاولى للونيسي في افضل حالاتها داخليا وخارجيا. داخليا بلغت الانقسامات صلبها أشدها بما كان ينذر منذ انتخابات 2019 بتفككها. اما خارجيا فقد كانت الحركة في عزلة غير مسبوقة تلاحق قياداتها التاريخية قضايا ارهابية وفساد وتبييض اموال وتخابر مع الخارج والتآمر على امن الدولة. لذلك لم يكن لتعيين الونيسي أي وقع داخل حزب تعيش قياداته في خوف من تكرار ما يسمونه بمحنة التسعينات.

هذا الواقع الجديد افرز توجهين: الاول عنوانه "المقاومة" ويدعو الى مواصلة "النضال" الى حين الافراج عن "مساجين الحركة" واسقاط "سلطة الانقلاب". مؤيدو هذا التوجه يتهمون مخالفيهم بـ "الخيانة" وهم يشكّلون أغلبية ترى ان أي انحراف يعني تصفية شاملة قريبة تحت عنوان "التطهير" وان لا احد سيكون بمنآى عنها.

اما الخط الثاني "الأقلي" فهو من دعاة الانطلاق في مراجعات شاملة يكون فضاؤها المؤتمر 11 للحزب الذي طال انتظاره وتعطّل تنظيمه مرّات ومرّات. سيفسح المؤتمر المجال امام انتخاب قيادة جديدة بمهمة واضحة تتمثل في اعادة بناء التنظيم على قاعدة "التجديد " واستنادا الى قراءة "واقعية" لتجربة الحكم من جهة ولكيفية ادارة مرحلة ما بعد 25 جويلية من جهة اخرى.

الا ان النقاشات خرجت عن أطر الرأي والرأي المخالف وهذا ليس بجديد داخل النهضة. كما ان روايات الاختراقات والبحث عن " الخلاص الفردي" ليست بجديدة على الحزب عبر تسويات مع سلطة متّهمة اليوم بالتدخل في الانقسام الحاصل صلب الحزب بما يمكّنها من تحديد قياداته القادمة على غرار ما حدث في اتحاد الفلاحين الذي بات اليوم يثير مخاوف داخل النهضة وداخل عدة منظمات وطنية أبرزها قطعا اتحاد الشغل ومنظمة الأعراف .

فإحالة عبد الكريم الهاروني كانت الدليل بالنسبة لشق واسع داخل الحركة على هذا التوجه إذ أن الهاروني من مساندي تنظيم مؤتمر وانتخاب قيادة جديدة وهو لا يزال رغم وضعه الصحي الدقيق فاعلا داخل الحزب ومن المرشّحين الجدّيين لخلافة الغنوشي.

اللائحة والونيسي

عُقد اجتماع الشورى رغم وضع رئيسه الهاروني رهن الاقامة الجبرية مدة 45 يوما بما يعني ان المؤتمر لن يُعقد وفق ما أكد اعضاء من هذا المجلس خلال شهر اكتوبر القادم مثلما كان مقررا على الاقل في نقاشات الاسابيع الاخيرة. لم تقدّم السلطات الى حين كتابة هذه الاسطر الأسباب التي كانت وراء قرار الاحالة على الاقامة الجبرية بما عزز الروايات التي تدعم أنها على علاقة بالوضع الداخلي للحركة وبترتيبات ما يسمى بـ "مرحلة ما بعد الغنوشي".

كواليس الحزب تشير الى ان المجلس كان سيناقش لائحة سياسية كانت ستُطرح للتصويت وقد تُفضي إلى تفعيل الفصل 33 من النظام الاساسي للحركة اي اعلان حالة الشغور النهائي في منصب رئيس الحركة وتسليم القيادة لرئيس مجلس الشورى. هذا التمشي قد يكون الاسلم بالنسبة لشق داخل هذا الحزب يرى ان الهاروني هو الاقدر على قيادة الحزب في وضعه الحالي وهو الممنوع تقريبا من النشاط منذ يوم 18 افريل تاريخ اصدار وزير الداخلية كمال الفقي قرار غلق مقراته ومنع الاجتماعات صلبها مركزيا وجهويا (القرار شمل جبهة الخلاص).

بالتوازي مع ذلك تروج معطيات منسوبة لعدد من الموقوفين من الحركة منادية بـ "وحدة الصف" من خلال تأجيل عقد المؤتمر (الذي لم يكن مطروحا حتى نهاية شهر جوان المنقضي) بالاضافة الى مركزة الصراع مع "السلطات" وتأجيل كل الخلافات الى حين الافراج عن الموقوفين مع تكليف لجنة بمهمة التحقيق في حقيقة التسريبات المنسوبة الى الرئيس المؤقت منذر الونيسي. التسريبات كان قد نفاها الاخير جملة وتفصيلا في بث مباشر يوم امس عبر صفحته الرسمية بموقع "فايسبوك" وقال انها تهدف لضرب الحركة مشددا على انها تمثل استهدافا جديدة لها .

وتدعو اصوات داخل الحركة الونيسي الى الانسحاب وتقديم استقالته فورا من رئاسة الحركة بسبب "فداحة" مضمون التسريب وسوء ادارته الحزب. وإن ينفى البعض عن الونيسي التهم العديدة التي تلاحقه على غرار البحث عن "صفقة" مع السلطة و"الانقلاب" على "الشيخ" وخيانة "الاخوة" والـ"الطموحات المجنونة"، فإن اغلبية داخل الشورى وفي ما تبقى من هياكلها ترى ان سياسة الإنكار والدعوات للتهدئة ستضرّ الحركة ولن تنفعها وان الأفضل هو المواجهة والانطلاق في عملية الفرز.

الفوضى المعمّمة...

أنس الشابي

منذ قيام الجمهوريّة سنة 1956 وبناء الدولة الجديدة عمل المؤسّسون ومن تلاهم إلى سنة 2011 على احترام القوانين والمحافظة على هيبة الدولة ومصداقيّة رجالها. ولا نجانب الصواب إن قلنا إن السّمت العام للحكم في تسييره الشأن العام كان مُرضيا في الأغلب الأعمّ رغم وجود بعض الأخطاء خصوصا منها ما يتعلّق بالمنافسة على السلطة من طرف بعض التيارات السياسيّة التي كانت بالمناسبة معارضتها سلميّة لم تتجاوز حدود المنشور أو التظاهر باستثناء حركة النهضة التي شرّعت للعنف بكلّ مظاهره وهو ما جعل أجهزة الدولة المكلّفة بفرض احترام القانون على التعامل معها بما يحدّ من أعمالها. هذه الصورة التي رسخت في أذهاننا نحن جيل الاستقلال -صورة الدولة الحازمة والمعارضة السلميّة- تغيّرت تماما بعد سنة 2011 حيث سادت الفوضى وخُرقت القوانين وانقلبت المقاييس رأسا على عقب وديس على القيم وأُطردت الكفاءات ونُكّل برجال الدولة بعد افتعال قضايا برّأهم منها القضاء في ما بعد. ولكن "الثورجيّين" بقوا مصرّين على إعادة محاكمتهم مرّة ثانية الأمر الذي أحدث فراغا في أجهزة دولة خلت من كفاءاتها وعوّضت بجماعة العفو التشريعي العام ممّا أثّر سلبا على سير هياكلها كلها إذ لم تسلم أيّة إدارة من هذا الخور حتى في المؤسّسات الحسّاسة. فهل يعقل أن تسلّم شركة تونس الجوية التي هي وجه البلاد إلى من لا خبرة له بالتسيير ولا تجربة في التعامل مع الوضعيات غير العادية كحالات الانفلات الجماعي أو أن يسلّم الرصد الجوي في مطار المنستير لواحد من مرتكبي جريمة باب سويقة بعد أن قضى في السجن 20 سنة؟ هذه الفوضى المعمّمة قاومناها وكنّا نعتقد أن انتخابنا الباجي قائد السبسي سوف يضع لها حدّا ولكن تمّ الغدر بنا وأصرّ الباجي على تحالفه مع حركة النهضة وإبقاء الحال على ما هو عليه لتتعمّق بذلك الفوضى في 25 جويلية. وبعد قرار رئيس الجمهورية بإغلاق البرلمان اعتقدنا واهمين ثانية أن الحكم الجديد سيعمل على إعادة المياه إلى مجاريها بتقويم ما اعوجّ وإصلاح ما فسد ولكن يبدو أن الفتق اتسع وأنه لم يعد هناك راتق لأنّنا أصبحنا نعيش فوضى في كلّ شيء. ففي رئاسة الجمهورية لم يبق ثابت في موقعه سوى الرئيس نفسه. أمّا كبار معاونيه الذين اختارهم للعمل معه فقد خرجوا أو أُخرجوا والتحق بعضهم بالمعارضة ووصل الأمر بالبعض الآخر إلى حدود تجاوز كلّ الحدود في الإساءة. أمّا رئاسة الحكومة فقد عاشت منذ انتخابات 2019 الفوضى في عهد الفخفاخ الذي انتهى به الأمر معزولا ومتّهما. أمّا المشيشي فقد غدر برئيسه وخانه وارتمى في أحضان الغنوشي وكاد أن يحصل لقيس سعيد ما حصل للباجي مع الشاهد لو لا مسارعته إلى قلب الطاولة على الجميع والإمساك بكلّ السلطات بيديه. ثم جاءت تلك المرأة الصامتة وتلاها صامت آخر لا نعلم لهما رأيا ولا سمعنا لهما صوتا رغم أن أوضاع البلاد تحتاج إلى من يشرح ويوضّح ويبيّن والبلاد سائرة نحو الانهيار ولكنهما فضّلا الصمت فإذا كان الصمت زينة العقلاء فإنّه بشع وقبيح في حق الحكّام. أما عن الوزراء والولاة وما دونهم فحدّث ولا حرج إذ تحمل لنا الأخبار ما يشيب له الأصلع ولو أردنا تسويد الأوراق بما يفعل الولاة وغيرهم لما انتهى بنا الأمر ولتواصلت رحلتنا مع الفوضى المعمّمة حيث نشرت مؤخرا الصحفية شهرزاد عكاشة تسجيلات وأخبارا عن تصرّفات السلطة والمعارضة سويّة استعدادا لانتخابات 2024 وكيفيّة الاستفادة من الخزان الانتخابي لحركة النهضة حيث اقتُرح أسلوبان:

الأوّل: الاستحواذ على هياكل الحركة في عملية انقلابيّة من خلال إعداد مؤتمر وهمي تماما مثلما فعلت النهضة مع حزب النداء الذي زرعت فيه أعوانها وفجّرته من الداخل. غير أن الخلاف الوحيد في حالتنا هذه أن التفجير لن يطال سوى القيادة فقط. أمّا أصوات منظوري الحركة فستتمّ المحافظة عليها إلى يوم الانتخاب حتى وإن اقتضى الأمر جلب قيادات سابقة أعلنت استقالتها. هذا المخطّط تفطّن اليه الغنوشي الذي اشترط لتنظيم مؤتمر للحركة دعا إليه الونيسي إلى "تجديد تزكية القيادات التاريخيّة السجنيّة لمرحلة انتقاليّة" وفق ما ورد في نص نشره أقرب المقرّبين إليه صهره رفيق بوشلاكة وهو ما يعني إفساد المخطّط الذي يعدّ حاليا لإيجاد نهضة منزوعة الدسم أو بالتعبير المعاصر نهضة "لايت" بلا غنوشي. وما لم يتفطن اليه هؤلاء الذي يخطّطون لانتخابات 2024 هو أنّ حركة النهضة ليست حزبا يمكن تعويض قيادته وقتما يتأتى بل هي تنظيم ديني يقوده الغنوشي منذ نصف قرن تربّى منظوريه على أقواله وكتاباته وارتبطوا به ببيعة لا تنفصم إلا بالموت. وتأمّلوا مليا الذين أعلنوا عن استقالاتهم لتكتشفوا انهم سرعان ما يعودون إلى الحركة كلّما كانت هناك دعوة للنفير. حدث ذلك مع بؤرة القرضاوي لمّا اعتصمت أمامها عبير موسي وطالبت بإغلاقها قبل 25 جويلية. وحدث ذلك بعده في جبهة الخلاص التي جمعت العرجاء والنطيحة وما ترك السبع وما أُهلّ لغير الله من بقايا حكم النهضة وتُبّعها. فالمراهنة على تماسك الكتلة الانتخابية النهضويّة دون الغنوشي وبقيادة منصّبة حرث في البحر ودليل على جهل المخططين بطبيعة مكونات الحركة ونوعية العلاقات التي تحكم منظوريها وهي علاقات تقوم أساسا على الارتباط العائلي والجهوي.

الثاني: الاستنجاد بمن سبق لهم الانتماء إلى الساحة الإسلامية ودعوتهم إلى تكوين أحزاب إن لم توجد بعد حتى يأخذوا من الخزان الانتخابي لحركة النهضة ما تيسّر مثلما صنعت حركة النهضة التي شتّتت أصوات دعاة الدولة المدنيّة بالاستنجاد بدستورييها ويساروييها وقومييها في الانتخابات السابقة. هذه المراهنة مفلسة وحمقى لأن أحزابا كالتحرير وأشخاصا من نوع القوماني أو النيفر أو الوريمي وغيرهم لا يمتلكون مقوّمات تجميع ما تناثر من الإسلاميّين في الساحة السياسيّة. ولا أدلّ على ذلك من أن التنظيمات التي أنشئت أو كانت موجودة انتهت إلى بوار. فحزب التحرير لا يحتكم إلا على بعض المئات وكذا الشيعة وجماعة احميدة النيفر الذي يغيّر جلده كلّ عشر سنوات. فهو تارة يساريّ إسلامي وأخرى تقدمي وثالثة رابطة تونس للثقافة والتعدّد نفس الشيء ينطبق على السلفيّين وعلى الإسلاميّين المستقلين وغيرهما.

كشفت التسريبات حول الاستعدادات لانتخابات 2024 من طرف الحكم والمعارضة عن وجود حالة من الهوان والخفّة في تناول الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ناتج عن قراءة خاطئة لخارطة الطلبات والحاجات الشعبية إذ ذهب في ظنّ المخطّطين أنّ المسألة تنحصر في عدّ الأصوات وتجميعها والحال أنّ ما ينتظر البلاد إن بقي الحال على ما هو عليه عشناه سابقا وعرفنا شيئا منه في الخميس الأسود سنة 1978 وفي ثورة الخبز سنة 1984 في واحدة من إشراقات أحمد ابن أبي الضياف الذي قال في إتحافه: "يستدل على إدبار المُلك بخمسة أمور أحدها أن يستكفي الملك بالأحداث ومن لا خبرة له بالعواقب واستهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحنكة..." حمى الله تونس من كلّ مكروه.

/SAMA
CONCESSIONNAIRE VEHICULES INDUSTRIELS ET ENGINS DE TERRASSEMENT

SHACMAN

REMISE
ALLANT JUSQU'À
20 000 DT

Du 1er au 31 Mai

500 000 km
de garantie*

100 000 km
de vidanges gratuites*

X3000 Series

* ou 2 ans

70 130 010

alBaraka ATL Attijari Leasing BTK LEASING CIL Leasing Shell HELIX

في قطاع النفط :

ديون متفحّمة... اختلاسات... صفقات مشبوهة وتعيينات مريبة

محمد الجلالي

آخرها أمر رئاسي صدر يوم 1 سبتمبر الجاري لإنهاء مهام منصف الماطوسي من منصبه على رأس شركتين عموميتين تواترت في الفترة الأخيرة قرارات عزل أكثر من مسؤول في قطاع الطاقة دون تقديم اية ايضاحات عن أسباب الإعفاء أو تحميل المسؤوليات ووضع حد للإفلات من العقاب.

في المقابل تكشف معطيات وشهادات نفذت إليها أسبوعية "الشارع المغاربي" حصول جرائم مالية وادارية خلال اشراف ثلاثة مسؤولين اعفاهم رئيس الجمهورية قيس سعيد.

بالأمس القريب..

قبل تسليط الضوء على عدد من الاخلالات الخطيرة التي رافقت اشراف منصف الماطوسي المعفى مؤخرا من شركة انبوب الغاز وشركة الخدمات لانبوب الغاز وقبل ذلك من عجيل والمؤسسة التونسية للانشطة البترولية (إيتاب) مثله مثل نبيل صميدة المقال مؤخرا من عجيل لا مناص من التذكير باحد الملفات التي كبّدت الدولة خسائر بعشرات ملايين الدنانير.

الملف الذي سبق لـ "الشارع المغاربي" ان تطرقت اليه يوم 4 أفريل السابق يشير الى ان ادارة منجي الخماسي الرئيس المدير العام السابق لـ "إيتاب" صادقت على قرارات مسقطة من شركة بترولية أجنبية بما ورط الدولة في نفقات بقرابة 100 مليون دينار رغم ان الملف من أنظار التحكيم الدولي.

ويبدو حسب ما جاء في تقرير رقابي منجز في 2021 ان الخماسي وافق على طلبات متكررة من شركة OMV النمساوية لدفع تسبقات الى مقاولين وسداد نفقات أخرى في مشروع نوارة الطاقي الكائن بولاية تطاوين بما قد يكلف الدولة تعويضات هي في غنى عنها.

اللافت في الأمر ان خوض الجريدة في التجاوزات اثار حفيظة مقربين من الخماسي بما دفع مديرا سابقا بـ "ايتاب" محالا بدوره على القضاء في ملف آخر الى الاتصال بكاتب المقال للدفاع عن المسؤول الاول السابق عن المؤسسة. في الاثناء لم تصدر السلطة أية معطيات عن مآل الاعفاء أو عن أية اجراءات قضائية او ادارية في شأنه علها تبعث رسائل جدية لمن ينوون العبث بمقدرات الدولة.

تقصير وديون وسرقات

نأتي الآن الى ملف الماطوسي المُقال حديثا من شركتين عموميتين والذي سبق له أيضا الإشراف على شركة عجيل بين 2013 و2017. فترة شهدت خلالها المؤسسة تلاعبا على أكثر من صعيد.

فقد كشف موظف بوزارة الصناعة ان ادارة الماطوسي عند اشرافه على شركة عجيل تراخت عن استرجاع ديون بقرابة 20 مليون دينار نظير وقود كانت قد انتفعت به شركة "سيفاكس" للطيران التي كان قد بعثها محمد فريخة رجل الاعمال والنائب السابق بالبرلمان.

الموظف الذي فضل عدم الكشف عن هويته أوضح ان الديون تبخرت مع إعلان "سيفاكس افلاسها في 2017 وان الملف الذي احيل إلى القضاء كان قد شهد تهاونا في الدفاع عن مقدرات "عجيل" مبينا أن الإدارة العامة لم تقم بأي بحث أو تدقيق وأنها لم تتخذ أي إجراء إداري أو قانوني في حق من أضر بها.

وأبرز انه تمت في المقابل ترقية مدير الشؤون القانونية إلى منصب مدير عام لشركة فرعية بعجيل في مطار النفيضة، وتمتيع المديرة التي كانت مسؤولة آنذاك عن ادارة الطيران بعطلة طويلة خالصة الأجر.

وذكّر المصدر بأن الشركة كانت قد عرفت في السابق ملفا مماثلا مشددا على أن إدارة الطيران التابعة لها زوّدت شركة تركية بالكيروزان دون الحصول على ضمانات وان الديون بلغت 700 ألف دينار قبل ان تتبخر نتيجة تحيّل الشركة.

وأفاد بأنه تمت إحالة الملف إلى دائرة الزجر المالي التابعة لمحكمة المحاسبات وبأنها أقرت بمسؤولية المدير المسؤول آنذاك واتخذت إجراءات قانونية في شأنه.

في أواخر سنة 2017 تم التفطن الى وجود تلاعب واختلاس في خزينة مستودع الزيوت بحلق الوادي التابع لـ "عجيل" بقيمة تناهز 25 ألف دينار وفق تأكيد موظف بالشركة.

الموظف قال ان ادارة الشركة اكتفت باسترجاع قيمة المسروق عوض إعلام النيابة العمومية مع تمكين المتهم بالسرقة من قروض وتمتيعه بساعات عمل اضافية لسداد القرض عوض التوجه للقضاء لتحديد قيمة المسروق الحقيقية والكشف عن المشاركين في العملية.

المصدر تحدّث ايضا عن حصول اختلاس آخر في محطة وقود تابعة لـ "عجيل" باحدى مدن الشمال الغربي لافتا الى ان قيمة الاموال التي تم نهبها بلغت 350 ألف دينار والى ان القضاء تعهد بالملف.

ولاحظ ان الشركة كانت عادة ما تكتشف بصفة عرضية عمليات سرقة مشابهة مستغربا من صمت الادارة العامة حيال اغلبها او محاولة التستر عليها بدعوى الحفاظ على السلم الاجتماعية صلبها.

وذكر الموظف ان تدقيقا داخليا يعود الى سنة 2017 كان قد خلص إلى وجود "اختلاس متعمد" لأموال الشركة و"نقص غير مبرر" مع إخلالات "تنظيمية" و"عملية".

من جهته اعتبر مدير بعجيل في تصريح لـ "الشارع المغاربي" ان مسؤولية أي تجاوز صلب الشركة لا يتحملها الرئيس المدير العام بمفرده مثلما جرت العادة وان بعض المسؤولين الفاسدين من المحيطين به يتحملون النصيب الاوفر منها بتستّرهم على جرائم او مشاركتهم فيها او مغالطة الادارة العامة او حتى توريطها في صفقات واجراءات مشبوهة.

إعفاء وتعيين مريب

مسؤول آخر طالته الاعفاءات هو نبيل صميدة الرئيس المدير العام السابق لـ "عجيل" الذي اقاله الرئيس قيس سعيّد يوم 28 نوفمبر 2021 من منصبه دون الكشف عن الاسباب.

اللافت في ملف صميدة ان وزيرة الصناعة السابقة نايلة نويرة القنجي سارعت إلى تعيينه عضوا بمجلس ادارة الشركة التونسية لصناعات التكرير (ستير) مكلفا برئاسة لجنة الصفقات. تعيين تسبب حسب تأكيد موظفين بالوزارة في خلق ازمة حادة في التزويد بالمحروقات. المريب أنه تم تعيين صميدة في مجلس ادارة "ستير" بعد أن اقاله رئيس الجمهورية ورغم تردده على فرقة الابحاث للحرس الوطني بالعوينة للتحقيق معه في أكثر من قضية.

المصادر اوضحت ان لجنة الصفقات لم تحرك ساكنا ازاء تخلف احد مزودي "ستير" بالمحروقات عن توريد البترول اثر عجز الشركة عن خلاص ما تخلد بذمتها من ديون مؤكدة ان نفس اللجنة غيّرت مواصفات صفقة أخرى لتوريد البترول دون اعلام المدير العام بالنيابة عفيف المبروكي وان ذلك ساهم في شح المحروقات بمحطات الوقود آنذاك.

في شركة "عجيل" اختلاسات وتلاعب بالصفقات على مدى سنوات

صفقات مشبوهة..

وبالعودة الى فترة ترؤس صميدة شركة عجيل تشير معطيات وشهادات حصلت عليها صحيفة "الشارع المغاربي" الى ارتكاب ادارته عديد الإخلالات الجسيمة في أكثر من ملف.

مشروع مستودع خزن الغاز بقابس كان من بين اخطر الصفقات التي شهدت تلاعبا بالاموال العمومية وتعسفا على القانون وتنكيلا بالموظفين وفق تأكيد مصدر بوزارة الصناعة.

المصدر ابرز ان ادارة صميدة اعفت مقاولا فرنسيا كان قد اشرف على تشييد خزان قابس من غرامات تأخير بـ 5 ملايين دينار.

وأوضح ان الادارة لم تسحب مذكرة احتساب آجال التأخير التي انجزها مهندسون من خيرة الموظفين ولم تكتف باعتماد مذكرة جديدة تخلي ذمة المقاول من أية غرامات فحسب وانما عملت على هرسلة الموظفين الذين حاولوا التمسك بالقانون.

وأفاد بأن الادارة العامة اتخذت إجراءات عقابية تعسفية في حق الفريق الذي تمسك بحماية أموال الشركة بنُقلة افراده وتجميدهم وممارسة شتى انواع الهرسلة عليهم مع العلم ان أعوانا بالشركة حاولوا انذاك انصاف زملائهم عبر توجيه شكايات الى رئاستي الجمهورية والحكومة ووزارة الصناعة ومحكمة المحاسبات ومجلس نواب الشعب وهيئة مكافحة الفساد دون ان يتدخل أي طرف للضرب على ايدي العابثين بالاموال العمومية.

كما تحدث الموظف عن تغاضي ادارة صميدة عن تورط شركة خاصة كانت قد تعمّدت خلال مشاركتها في صفقة عمومية تقديم تصاريح ووثائق مفتعلة لمغالطة الشركة في تقييم مؤهلاتها متهما الادارة العامة بتمكين الشركة من صفقة عمومية رغم منعها من قبل لجنة إقصاء المتعاملين الاقتصاديين التابعة للهيئة العليا للطلب العمومي من المشاركة في الصفقات العمومية بين 24 ديسمبر 2018 و23 جوان 2020.

واكد الموظف ان "عجيل" واصلت التعامل مع الشركة الخاصة وأنها مكنتها من استعادة الضمان الوقتي واتخذت في المقابل إجراءات استثنائية لمعاقبة الأعوان الذين اكتشفوا الوثائق المفتعلة.

تجاوزات اخرى عديدة استعرضها الموظف مؤكدا انها طالت عديد الانشطة بـ "عجيل" مُحمّلا جزءا كبيرا منها لمدير مركزي سابق ولاطراف نقابية وادارية سنعود اليها لاحقا في مقالات قادمة. واللافت ان الادارة العامة الحالية لـ "عجيل" باشراف الرئيس المدير العام الحالي خالد بتين لم تتخذ ما يكفي من القرارات الجدية للضرب على ايدي الضالعين في التجاوزات.

يذكر ان الصحيفة ارسلت مؤخرا بريدا الكترونيا الى شركة "عجيل" لاستفسارها عما تم اقراره من اجراءات تصب في خانة تحميل المسؤولية ولم تحصل على أية اجابة الى حدود كتابة هذا المقال.

بلاغ رئاسة الجمهورية بخصوص إعفاء منصف الماطوسي من منصبه

حمل الدولة التونسية الثقيل:
الفلاحون الصغار...

مولدي الأحمر

منذ النهاية المأساوية لسياسة التعاضد في ستينيات القرن الماضي، التي حاولت خلالها النخبة السياسية التونسية إدخال تغييرات راديكالية على البنية الفلاحية، قررت هذه النخبة أن تنآى بنفسها عن التدخل المباشر والقوي في الأرياف لإحداث تحولات سريعة وكبيرة قد تهدد سلطتها وشرعية قيادتها في الأرياف. وبذلك اختارت الحفاظ على فئة الفلاحين الصغار والمتوسطين حليفا أو "محايدا" لها، توزع عليه الإعانات، وتسكن مطالبه الحياتية هنا وهناك ب"التدخلات العاجلة" و"الزيارات الفجئية"، آملة في أن ما تبذله من جهد بمشاريع "التنمية الريفية" أو ب "التنمية المندمجة" سيوفر بعض مستلزمات البنية التحتية الضرورية لجلب الاستثمار في الفلاحة (الطرقات والسدود وغيره)، تاركة للمدرسة والديمغرافيا والسوق عهدة إحداث تحول نوعي فارق في بنية الفلاحة التونسية. لكن حساب البيدر لم يكن دقيقا، فالبرامج التنموية ليست مجرد تحديثات تقنية وقانونية بل مضمخة بالسياسة وبالمصالح والمنافع، وكيفما توجهها تنتج عنها تحولات اجتماعية تعبر عن نفسها في المنعطفات التاريخية بلغة سياسية. وفي سنة 2011-2010 انفجرت في وجه النظام القائم كل سياسات-حسابات التنمية الريفية والتنمية المندمجة والديمغرافيا والمدرسة والبنية الفلاحية بأكملها: 48% من الذين خرجوا في مظاهرات سيدي بوزيد والقصرين يسكنون خارج المدينة، وقسم كبيرمن ال 52% الآخرين لهم علاقة مباشرة بالفلاحة.

والآن ظهر ثمن سكوت هذه النخبة عن الترهل الكبير الذي تعرفه الفلاحة التونسية كقطاع إقتصادي حيوي، وعن الأزمة العميقة التي يعرفها مجتمع الفلاحين الصغار والمتوسطين، الذين أصبحوا يشترون من الأسواق كل غذاءهم. وقد أنتجت هذه الأزمة الإقتصادية-البيروقراطية تضخما لا مثيل له لوزارة الفلاحة (ربما تفوق كلفة عدد موظفيها بأساطيلهم من السيارات والإدارات ما يكفي حاجة القطاع من موارد)، وارتباكا في بلورة مشروع إصلاحي عميق للإزمة، وجبن سياسي-بيروقراطي في مواجهة المسألة علنا، بوضوح ومسؤولية.

وهاكم التضاريس القاسية للأزمة العميقة والخطيرة المسكوت عنها: في سنة 1962 كان عدد المالكين المستغلين في تونس 326 ألفا، واليوم وعوض أن يتقلص عددهم لفائدة عدد أقل مع مستغلات أكبر يسهل تطويرها، أصبح عددهم أكثر من 516 ألفا! وفي الأثناء أصبحت نسبة الذين يملكون منهم أقل من 5 هك 54% مع تذرر للملكيات على أكثر من قطعة صغيرة (سنة 1962 كانت النسبة 41%). ومن مجموع هؤلاء المالكين هناك قرابة 300 ألف ، أي حوالي 60% ، لا يعيشون من فلاحتهم إلا جزئيا، أو أنهم لا يحصلون منها إلا على دخل صوري ضئيل جدا. وهكذا فإن نسبة كبيرة منهم تعيش من أعمال جانبية أخرى، أو من مساعدة أبنائها الذين غادروا المجال الفلاحي وأصبحوا موظفين أو عمالا أو هاجروا للعمل خارج البلاد، مع محافظتها على أملاكها دون استغلال مكثف. ومن ناحية أخرى 95% من جميع المالكين (كل الفئات مجتمعة) يستغلون أراضيهم (عندما يستغلونها) بشكل مباشر، ولا يؤجرونها ولا يسلمونها لغيرهم وفق عقود مزارعة، وهم بنسبة 80% لم يشتروها بل ورثوها عن أهلهم، أي وصلت إليهم من خارج السوق العقارية، وهذه النسبة لا تختلف أينما كنا في شمال البلاد أو وسطها أو جنوبها. وإضافة إلى كل هذه الخصائص فإن أكثر من 87% من مجموع المالكين لا يتعاملون مع البنوك. وإذا أضفنا لهذه المسائل حالة قطاع أراضي الدولة وسوء استغلالها والفساد الذي صاحب عمليات التفريط فيها ندرك أن الحالة مستعصية فعلا.

وتتشعب هذه القضايا أكثر عندما نعرف أن قوة العمل الفلاحية أصبحت تنحو أكثر فأكثر نحو تشغيل المرأة، وأن جزء كبيرا من الظاهرة غير مرئي، خاصة عندما تعمل المرأة في الحقل وفي تربية الماشية المنزلية معينة فلاحية للزوج أو الإبن، دون حصولها على أجر خاص، ودون تغطية صحية أو أمل في منحة تقاعد، ودون الوصول إلى المورد الأساسي في الفلاحة وهو ملكية الأرض (حوالي 7% فقط من النساء يملكن) .

وهناك خصائص أخرى لهؤلاء الفلاحين أخطر وأبعد تأثيرا في تعقيد الأزمة، وفي تكثيف ما تولده من قضايا اجتماعية وسياسية مسكوت عنها: في سنة 1962 كان عمر 33 % من جميع المالكين أقل من 40 سنة، أما سنة 2005 (والأمر زاد استفحالا منذ ذلك الوقت) فهم لا يتجاوزون نسبة 13% من المجموع. وفي المقابل تعيش بين الفلاحين، بما يتطلبه عملهم من مشقة وعناء، كتلة من 43 % من المالكين زاد عمرهم عن الستين سنة وضعفت همتهم وأدائهم. بل أكثر من ذلك، إذ أن 87% من المالكين المستغلين إما لا يكتبون ولا يقرؤون، أو أنهم لم يتجاوزوا مرحلة الدراسة الابتدائية.

كل هذا يحدث في مجال الفلاحة التونسية الذي من المفترض أنه قادر على تحصين البلاد غذائيا في هذه الفترة الحرجة من تاريخ العالم، ليس السياسي فحسب بل المناخي أيضا. ونحن اليوم نحصد ثمن الإهمال واللامهنية، وتقديم المنفعة الخاصة أو الفئوية على مصلحة الوطن، والجبن السياسي-البيروقراطي الذي شعاره "إذا أردت النجاح في منصبك فلا تفعل شيئا يغير من التوازنات ومن روتين العمل". وبهذا المنطق فإن أهم مخرجات الإدارة هو اتفاق الجميع في الدفاع عن الرداءة.

إن مشاكل الإنتاج والغذاء وتصدير المواد الفلاحية لا يمكن أن تختزل في معارك القط والفأر السياسية المعروفة للجميع، والتي يربحها دائما الشاطر بموارده الخفية وتجربته العريقة في إدارة معارك الباب الدوار. إنها مشاكل هيكلية لا تتزحزح إلا بالكشف عنها، وبتشخيصها، وبالتخطيط الدقيق لتفكيكها، وبجمع التوافق الشجاع حول العزم على حلها، فتكون سياسة طويلة النفس تتجاوز التداول على السلطة، وتلزم الدولة باتباعها حتى وإن تضمنت توجهات مؤلمة، قد تنتهي بتفكيك الارتباط بين مفهوم الملكية ومفهوم الشرف على المستوى الفردي، في سبيل تحقيق كرامة الوطن والمواطنين.

في الوقت الحاضر تسير الدولة التونسية بصعوبة في طريق وعر، حاملة بين ذراعيها كتلة من الفلاحين المزعومين الفقراء، الذين يعيشون من موارد أبنائهم الموظفين أوالعاملين في الخارج، لا تدري ماذا تفعل بهم أو لهم، ولا تجرؤ على أن تتكلم بشأنهم، وتكتفي بإرضاعهم واستغلالهم في ذات الوقت، تارة بالعفو عن متخلداتهم أو بمنحهم تعويضات، وتارة بطحنهم من خلال تثبيت أسعار منتجاتهم بما لا يجزيهم حقهم، وفي هذا الوقت تحترف التيارات السياسية، بمختلف أصنافها، الكذب عليهم واستدرار أصواتهم بالمقرونا أو بالأيديولوجيا... تماما مثلما كان يفعل التجمع الدستوري الديمقراطي.

في الوقت الحاضر تسير الدولة التونسية بصعوبة في طريق وعر، حاملة بين ذراعيها كتلة من الفلاحين المزعومين الفقراء لا تدري ماذا تفعل بهم أو لهم، ولا تجرؤ على أن تتكلم بشأنهم، وتكتفي بإرضاعهم واستغلالهم في ذات الوقت، تارة بالعفو عن ديونهم المتخلدة أو بمنحهم تعويضات، وتارة بطحنهم من خلال تثبيت أسعار منتجاتهم بما لا يجزيهم حقهم.

إنتاج الحليب في تونس:
مخاطر الانهيار وتحدّيات البقاء

كريمة السعداوي

شهدت صناعة الحليب في تونس تحديات كبيرة خلال السنوات الأخيرة إذ يعاني القطاع من تراجع واضح في الإنتاج. وتؤثر هذه الأزمة على توفير هذه المادة الغذائية الأساسية في البلاد.

غير أنّ أسباب هذه الأزمة تتنوّع بين ظرفية مرتبطة بالتقلبات المناخية والسياق العالمي وأخرى هيكلية صارت تهدد وجود القطاع.

أسباب الأزمة

يُرجع خبراء قطاع إنتاج الألبان أسباب هذه الأزمة إلى عدة عوامل منها ارتفاع أسعار الأعلاف التي أصبحت تشكل عبئًا ماليًا لا يطاق على مربيّي الأبقار بالإضافة إلى تراجع كبير في الإنتاجية مما أثر على كميات الحليب المنتجة وتوفرها في السوق. وأكد في هذا الاطار مدير عام ديوان تربية الماشية وتوفير المرعى عز الدين شلغاف أن قطاع تربية الأبقار يعاني من عديد الإشكاليات وأن ثمة مؤشرات تدل بصفة ملموسة على تراجع عدد الأبقار.

وقال على هامش ندوة عقدت ضمن فعاليات الدورة 14 للصالون الدولي للاستثمار الفلاحي والتكنولوجيا بعنوان "الموارد العلفية والرعوية في ظل التحديّات المناخية" في موفى أكتوبر 2022 إن قطيع الأغنام والماعز يعدّ 5 ملايين رأس أنثى في تونس وأن عدد قطيع الأبقار يبلغ 410 آلاف رأس أنثى. وصرح بأن عدة عوامل أثرت على قطاع تربية الماشية وتوفير المواد الغذائية للحيوانات أبرزها الجفاف. وشدد على أن العوامل المناخية أثرت على حالات المراعي وإنتاج الزراعات العلفية المرتبطة أساسا بتهاطل الامطار.

كما أفاد شلغاف بأن ظهور جائحة فيروس كورونا أثّر على مستوى ارتفاع أسعار الأعلاف عالميا وأن اندلاع الأزمة الروسية - الأوكرانية فاقم أزمة الأسعار إضافة إلى تشديد الرقابة على تصدير المواد الغذائية والذي تسبب في تعطيل سلاسل الإمداد الغذائية. وأوضح أن تونس تعيش عجزا هيكليا في الموارد العلفية والرعوية في ظل التحديات المناخية تتراوح نسبته بين 25 بالمائة و30 بالمائة مبرزا أن تونس تستورد 30 بالمائة من حاجات القطيع وخاصة حبوب الصوجا كمصدر للبروتين والذرة والشعير كمصدر للطاقة. واعتبر شلغاف أن ذلك يجعل تونس في ارتباط كلي بالخارج في ما يتعلق بالتغذية الحيوانية وأنه كان وراء الدفع إلى العمل على إيجاد بدائل من المصادر البروتينية والطاقة على المستويين المتوسط والبعيد.

تراجع عدد القطيع بـ 30 بالمائة

حسب مصادر رسمية يبلغ عدد رؤوس الأبقار في تونس حوالي 646.2 ألف رأس في عام 2021. وفي عام 2023 يقدر ديوان تربية الماشية وتوفير المرعى قطيع الأبقار بنحو 410 آلاف رأس أنثى في تونس. في الأثناء نقلت وكالة تونس افريقيا للانباء مؤخراً عن مصادر في وزارة الفلاحة قولها إن ظاهرة التهريب تُضعف سوق اللحوم المحلية مشيرة إلى أن عدد رؤوس الأبقار التي يتم تهريبها عبر ولاية جندوبة الحدودية

مع الجزائر يقدر بنحو 250 بقرة يومياً.

العلف النادر

تشير مصادر متطابقة إلى ان الفلاح كان يشتري قبل عشر سنوات كيس العلف البالغ وزنه 50 كيلوغراما بعشرة دنانير (حوالي 3,5 اورو) وذلك قبل أن يرتفع الثمن إلى 81 دينارا (حوالي 24 اورو).

ويوضح أنيس خرباش مساعد رئيس الاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري أنّه تم تسجيل "ارتفاع جنوني" في أسعار الأعلاف منذ أكثر من عام بمعدّل سنوي يتراوح بين 30 و40 بالمائة مرجعا الأمر الى تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا التي تمثل أهم مصدر استيراد حبوب بالنسبة الى تونس.

ولم يعد الفلاحون يعتمدون بشكل حصري كما كان الأمر في السابق على المراعي الطبيعية بسبب تراجع كميات الأمطار نتيجة التغيرات المناخية التي تؤثر بشكل مباشر على توفر العشب. وتشهد تونس موجة جفاف حادة منذ سنوات ولم تتجاوز نسبة امتلاء السدود عتبة 30 بالمئة وفق مصادر رسمية.

نتيجة نقص العلف تراجعت كميات الحليب التي تدرها الأبقار لأنها لا تحصل على تغذية كاملة وتراجع معدل الإدرار اليومي إلى النصف تقريبا (12 لترا) نظرا إلى أنّ الفلاح صار يقدم لها نصف كمية العلف والعشب السابقة. ويتكبّد بذلك الفلاح خسارة تقدر بثلاثين في المئة عن كلّ لتر حليب يبيعه لأحد المصنّعين الكبار في البلاد.

مطالب بزيادة سعر الإنتاج

يطالب منتجو الحليب بزيادة عاجلة في سعر الإنتاج بمقدار 500 مليم عن كل لتر بهدف تحقيق التوازن المالي. وتأتي هذه المطالب في سياق سعي الفلاحين لتعويض الارتفاعات الكبيرة في تكاليف الإنتاج والحفاظ على جودة المنتجات.

المخزونات الاستراتيجية وتأثيرها على السوق

شهدت المخزونات الاستراتيجية للحليب في تونس تدهورًا ملحوظًا خلال الفترة الماضية حيث انخفضت من 54 مليون لتر في جويلية 2021 إلى 29 مليون لتر في فيفري 2023.

ويلقي هذا الانخفاض بظلاله على قدرة السوق على تلبية احتياجات المستهلكين وقد يؤدي إلى مزيد من التوتر في السوق.

وفي موفى شهر ماي 2023 أكّد منوّر الصغيّر مدير وحدة الإنتاج الحيواني في الاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري أنّ توفّر الحليب في الأسواق لا يحجب الأزمة التي قد تعاود الظهور مع شهر أوت بتراجع الإنتاج مشيرا إلى أنّ أزمة قطاع الألبان ما زالت متواصلة وأنّه من الضروري معالجتها لتشجيع الفلاحين لمواصلة نشاطهم وذلك برفع سعر هذه المادة توقّيا من أيّة تداعيات محتملة.

وقال في تصريح صحفي إنّ مستوى الإنتاج الحالي لا يمكّن الدولة من توفير مخزون استراتيجي لتعديل العرض بالسوق في حال وجود نقص. مؤكّدا أنّ الكميات المتوفّرة حاليا والمقدّرة بـ 18 مليون لتر تمثّل مخزونا فنيا لا يلبي حاجات الاستهلاك سوى لمدّة 10 أيّام.

وأوضح الصغيّر أنّ منظومة الألبان توفّر عادة حوالي 40 مليون لتر بين مخزون فني ومخزون استراتيجي مبرزا أنّ المخزون الاستراتيجي هو كميّة الإنتاج من مادة معيّنة تقوم الدولة بتخزينها لاستهلاكها مدة معيّنة ويتمّ تجديدها بصفة دائمة مع توفّر الانتاج الجديد.

أمّا المخزون الفني فيتعلّق بكمية من مادة معيّنة لا يتم ترويجها في السوق إلاّ بعد التثبت من خلوها من أيّ إشكالات.

تداعيات نقص الحليب

يؤدي نقص الحليب في تونس إلى ارتفاع أسعاره مما يؤثر على ميزانية المستهلكين ويعرضهم لضغوط مالية. إلى جانب ذلك يزيد هذا النقص من تحديات الفلاحين ويؤثر على منظومة تربية الأبقار مما يشكل تحديًا كبيرًا أمام استدامة القطاع.

ردّ حكومي منقوص

تعتبر السلطات التونسية أن مردّ نقص التزويد أساسا المضاربة في الأسواق. فقد اتهم الرئيس قيس سعيّد خلال زيارته لمصنع لإنتاج الألبان أن "المحتكرين" هم السبب الأساسي وراء الأزمة واكتفت الحكومة بإقرار حذف الضرائب المفروضة على استيراد مسحوق الحليب المجفف في قانون المالية لعام 2023 واعتبر الاتحاد أنه "كان من الأجدى توظيف الدعم المالي لدعم المنتجين المحليين".

جهود التحسين وآفاق المستقبل

رغم التحديات الكبيرة التي يواجهها قطاع الحليب في تونس فإن ثمة مساعيَ لتحسين وتطوير الوضع. ولإنقاذ القطاع ينبغي أن تكون ثمة خطط شاملة تستهدف زيادة الإنتاجية وتحسين جودة المنتجات بالإضافة إلى تقديم دعم للفلاحين عين لتخفيف الأعباء المالية.

وتعتبر صناعة الحليب في تونس جزءًا أساسيًا من القطاع الفلاحي والغذائي وتحتاج إلى جهود مشتركة لمواجهة التحديات الحالية وضمان توفير منتجات عالية الجودة بأسعار معقولة للمستهلكين.

تطور كميات الحليب المجمعة سنويا (مليون لتر)

السنوات	2015	2016	2017	2018	2019	2020	2021	2022
المجموع	847,7	865,2	891,9	844,7	852,2	879,6	855,3	811,4

المصدر : قواعد البيانات الاحصائية AGRIDATA

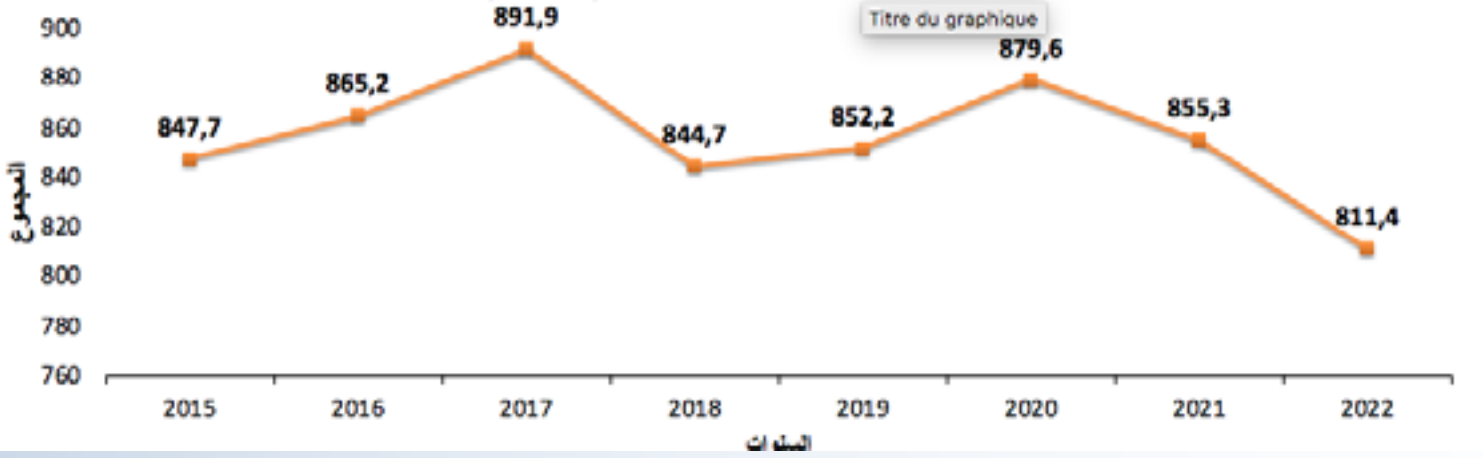

التطور السنوي لانتاج الحليب المعقم (مليون لتر)

السنوات	2015	2016	2017	2018	2019	2020	2021	2022
المجموع	610,2	600,2	617,1	582,7	592,2	645,8	615,8	553,9

المصدر : قواعد البيانات الاحصائية AGRIDATA

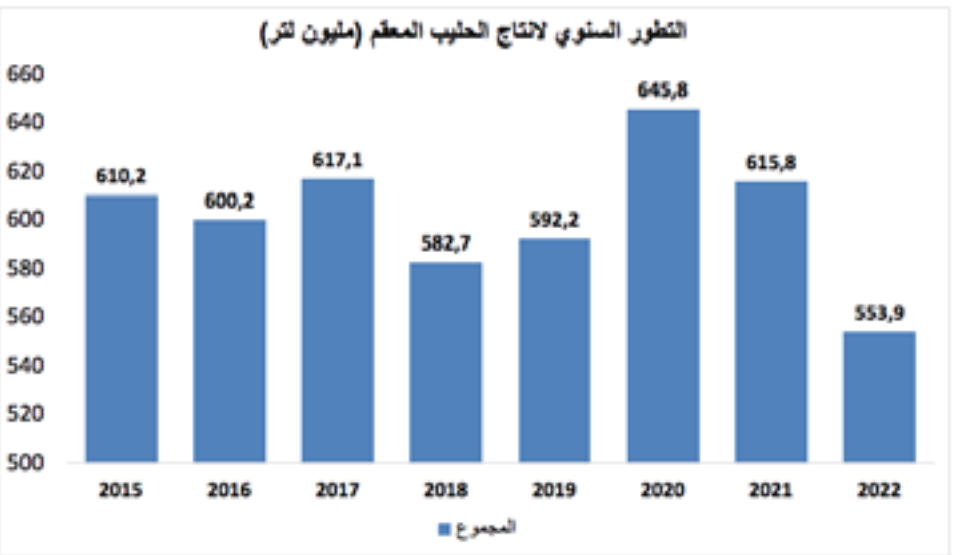

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

مجمع "دليس" سيّد الموقف... GIF وELECTROSTAR وUADH تتدارك و"اسمنت بنزرت" تتدحرج

منحى السوق :

في ظل حجم مبادلات متواضع سجل معيار السوق التونسية خلال الأسبوع الممتد من 28 أوت الى 1 سبتمبر 2023 تطورا بـ 1،1 ٪ ليستقر عند النقطة 8942،58 لتبلغ مرابيحه منذ بداية العام + 10،3 ٪.

كان حجم التبادلات على امتداد الأسبوع ضعيفا ولم يتجاوز 13،3 مليون دينار بما مثل معدلا يوميا بـ 2،7 مليون دينار ولم يتم انجاز أي تبادل بالكتل خلال الأسبوع المذكور حسب تحليل الوسيط ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

احتلت أسهم الشركة الصناعية العامة للمصافي GIF وشركة الكتروستار ELECTROSTAR والشركة العالمية لتوزيع السيارات UADH طليعة الترتيب محققة ارتفاعا على التوالي بـ 37,5 ٪ و19,4 ٪ و14,3 ٪. ذلك أنه تم تأجيل الطرح العمومي المتعلق بهذه الشركات تنفيذا لحكم صادر عن محكمة الاستئناف بتونس العاصمة. وقد تم استئناف تسعير أسهم هذه الشركات يوم 25 أوت 2023.

كان سهم مجمع تواصل القابضة Tawasel Group Holding ضمن أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور بتحقيق قفزة بـ 11,8 ٪ بسعر 0,570 دينار مجتذبا حجم أموال بـ 54 ألف دينار على امتداد الأسبوع.

تدحرج سهم شركة اسمنت بنزرت إلى أسفل الترتيب مسجلا تراجعا بـ - 7,9 ٪ بسعر 0,930 دينار جامعا حجم تبادلات لم يزد على 5 ألاف دينار.

كان سهم مجمع دليس القابضة Delice Holding الأكثر تداولا على امتداد الأسبوع مجتذبا 1,9 مليون دينار بما مثل 14,3 ٪ من حجم الأموال التي تم تداولها.

مستجدات السوق

• القائمات المالية لبنك تونس BT يوم 30 جوان 2023 :

سجل الناتج البنكي الصافي لبنك تونس مع نهاية السداسية الأولى من سنة 2023 ارتفاعا بـ 11 ٪ بالغا 227 مليون دينار. وسجل البنك ارتفاعا بـ 16 ٪ في أرباحه الصافية بلغت 76,4 مليون دينار.

• القائمات المالية للبنك الوطني الفلاحي يوم 30 جوان 2023 :

أظهرت القائمات المالية للبنك الوطني الفلاحي المنشورة اثر السداسي الأول من سنة 2023 ارتفاعا بـ 10,8 ٪ من الناتج البنكي الصافي ناهز 500 مليون دينار. واتسم النصف الأول من العام بارتفاع كلفة المخاطر التي مرّت من 148,2 مليون دينار الى 206 ملايين دينار وانخفض تبعا لذلك صافي أرباح البنك بـ 18,2 ٪ (90,2 مليون دينار).

• القائمات المالية للشركة العقارية التونسية السعودية في 30 جوان 2023 :

أظهرت القائمات المالية للشركة العقارية التونسية السعودية SIST المنشورة اثر نهاية السداسي الأول تراجعا حادا في رقم معاملاتها بلغ نسبة 54,8 ٪ بقيمة 976 الف دينار. وسجلت الشركة اثر السداسي الأول عجزا على مستوى نتيجة الاستغلال بلغ – 3,6 الف دينار مقابل 310 الاف دينار خلال السداسي الأول من العام الماضي. وشهد صافي أرباح الشركة تراجعا بـ 52,5 ٪ ولم تتعد أرباح الشركة 192,6 الف دينار مع نهاية السداسي الأول من هذا العام مقابل 405,9 الف دينار في جوان 2022.

• القائمات المالية للاتحاد البنكي للتجارة والصناعة في 30 جوان 2023 :

ارتفع صافي أرباح الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة مع نهاية السداسي الأول من 2023 الى 25,2 مليون دينار مسجلا بذلك تراجعا بـ 9,37 ٪. وحقق البنك تطورا بـ 5,9 ٪ في ناتجه البنكي الصافي بلغ 151,8 مليون دينار مقابل 143,4 مليون دينار في جوان 2022.

اشهار

المدرسة: فضاء للتّديّن أم للوعي بالأديان؟

بقلم: محيي الدّين الكلاعي _ أستاذ مبرّز بالمعهد العالي للدراسات التطبيقيّة في الإنسانيات بالكاف

مثّلت المادّة الدينيّة بالبرامج التعليمية، منذ الاستقلال وإلى اليوم، ركنا تربويّا قارا لم تتغيّر شاكلته تقريبا رغم تجارب الإصلاح التي مرت بها السياسة التربوية من الأستاذ محمود المسعدي (1911-2004) إلى الأستاذ محمد الشرفي (1936-2008) مرورا بالأستاذ محمد مزالي (1923-2010). والواقع أنّ هذه المادة تثير عديد الإحراجات التربوية والبيداغوجية في علاقة بمفهوم المدرسة ومفهوم التربية ذاته، بل في علاقة جوهرية بالمنوال التربوي العام، والمنوال الثقافي والمجتمعي. وحينما أقول إنّ المادة الدينية تثير جملة من الإحراجات تصل إلى حدود الأزمة التعليمية الجوهرية فإن ذلك لا يعني أنني أسعى في هذا المقال أو في غيره من المقالات إلى الإقناع بضرورة إلغاء المادة الدينية من البرامج الرسمية، أو إلى القول بأن أزمة التربية والتعليم تردّ بتمامها إلى التعليم الديني. إنّ ما يشغلني بالأساس هو تدبّر هذه الإحراجات أولا، وإعادة التفكير ثانيا في الكيفية التربوية والبيداغوجية التي يجب أن نتعاطى بها مع هذه المادة وذلك بأن أن نتساءل منذ البداية: هل تندرج ممارسة التربية الدينيّة بالمدرسة في سياق رؤية ثقافية وسياسية محافظة، تعتبر أن من مهام المدرسة، وربما من أوكد مهامها، لا فقط التعريف بالتراث الديني للمجتمع، وانتزاع الاعتراف به، وإجلاله، بل التربية عليه، أي خلق أجيال تستعيد هذا التراث في بنية تفكيرها وممارساتها؟ وإذا أقررنا بذلك، والواقع التعليمي يؤكّد ذلك لا محالة، فكيف تنسجم المادة الدينيّة مع بقية المواد؟ أي أيُّ أثر تربوي وتعليمي لهذه المادة في ذهن متعلّم يتلقى أنماطا تربوية مغايرة إن لم تكن مناقضة مثل التربية الموسيقية والتربية التشكيلية والتربية المسرحية، إن لم نتحدث عن تربية جنسية وعلمية وفلسفية؟ وهل أن حفظ ما هو ديني يعني بالضرورة الإيمان به والمحافظة عليه؟! وإلى أي حد ينسجم هذا الدور مع مبدأ حياد المؤسسة التربوية؟ ولعل السؤال الأهم والذي لم نجرؤ إلى حدّ الآن على طرحه والعمل بمقتضى ما يراهن عليه هو: هل أن دور المدرسة هو التربية على ديانة محددة وتجاهل جميع الأديان الأخرى أم أنّ دورها الجوهري هو الوعي بتعدد الأديان؟ وبعبارة أخرى هل أنّ دور المدرسة هو تربية الفرد دينيا أم تربية وعيه بالتديّن، بكل ما يقتضيه الوعي من تأمل، ومقارنة، ومساءلة للمبادئ والمقاصد، ونقد للأفكار والممارسات؟

في تهافت التمييز بين التربية الإسلامية والتفكير الإسلامي.

نلاحظ في مستوى أول أن تدريس جميع المواد في مختلف المراحل التعليمية يحتكم لمسلّمة تربويّة، مغلوطة لا ريب في ذلك، وهي التمييز بين مرحلة الطفولة وبين مرحلة الرّشد. وتُحمل الطفولة هنا على معاني القصور، والهشاشة، والطيش، والأنانية، والجهل، وغياب القدرة على التفكير الذاتي وتحمل المسؤولية، في حين يُحمل الرّشد على معاني النضج، واكتمال القدرات الذهنية والنفسية والاجتماعية بوجه خاص مما يؤهّل الفرد لتحمل المسؤولية على جميع رغباته وأفكاره وأقواله وأفعاله.1 وقد انعكس هذا التمييز لا فقط على مضامين المواد التعليمية بل على أساليب تدريسها ونظام تقييمها ورهاناته. فالمادة الدينية، موضوع اهتمامنا في هذا المقال، تُقَدّم للصّبيان، وبشكل صريح، تحت عنوان «التربية الإسلاميّة»، في حين تقدّم «للراشدين» تحت عنوان «التفكير الإسلامي». وهي عنونة غير بريئة لا من الناحية الثقافية ولا من الناحية التربوية والبيداغوجية. فالرسالة الثقافية الأولى هي أنّ الطفل في المرحلة الابتدائية والإعدادية بوجه خاص يجب أن يَدرس الدين الإسلامي، أركانه وتاريخه ورموزه ورسالته وأثاره. ولا يتعلّق الأمر هنا بدرس معرفي بل بتربية قيمية وبتقليد ثقافي، أي بإرادة تنشئة الطفل على قيم هذه الديانة، من حيث هي ديانة أمة يجب إحياؤها باستمرار والمحافظة عليها في شخص كلّ طفل. وهو ما برّر ويبرّر إلى حد اليوم اعتماد الطريقة التلقينية للدين والتراث بوجه عام (الأدبي والسياسي والفني والعلمي)، الأمر الذي جعل دور المدرسة لا يختلف من هذه الناحية عن دور أيّ مؤسسة دينية أخرى. أما مادة التفكير الإسلامي فيتاح فيها الهامش نسبيا للتفكير العقلاني، أقول نسبيا لأنّ هذا التفكير لا يمارس بشكل ذاتي بل يقدّم من خلال بعض القراءات الفكرية لبعض المسائل الإشكالية العامة (مثل قراءة محمد أركون ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي ويوسف زيدان ونصر حامد أبو زيد وهشام جعيط)، وغالبا ما يتم التعاطي مع هذه القراءات بشكل تلقيني. أما المسلّمة التربوية والبيداغوجية لهذا التمييز الاصطلاحي فتتمثل في الاعتقاد بأنّ الطفل غير قادر على التفكير في المسألة الدينيّة، أي غير قادر على التساؤل، والشك، والتحليل، والتأويل، والنقد، أي في النهاية غير قادر على الفهم. ولعل الأخطر من كلّ ذلك، هو النظر إلى التفكير بوصفه عقبة أمام الإيمان أو مصدرا للريبة والكفر.

...في التربية على التفكير في الدّين

وتدفعنا هذه الملاحظات الأولية إلى طرح الأسئلة التالية: أيّ وجاهة تربوية وبيداغوجية ومنطقية بالأساس للتفكير في ما بنيناه على قواعد إيمانية وتقديسية للنصوص الدينية؟ وإذا كان هناك في النص الديني ما يدعو للتفكير العقلاني والنقدي فما هي مبررات تأجيل هذا الفعل عدا المسلمة التربوية والبيداغوجية المغلوطة التي أشرنا إليها؟ وبعبارة أخرى إذا كانت المادة الدينية تحتوي على بعض الأخطاء والأوهام والتناقضات والمغالطات فلم لا تناقش منذ البداية؟ لماذا ندرّس الطفل الإيقاظ العلمي ولا ندرّسه الإيقاظ الدّيني؟ أما الأمر الآخر الذي نودّ التساؤل عنه في هذا الإطار فهو: هل يستقيم التفكير في الدّين بالاستناد إلى إحدى الديانات؟ أليس من الأجدى أن يدرك المتعلّم منذ البداية تعدد الأديان وتنوعها فضلا عن وجوب إدراكه للمشترك بينها؟ ثم كيف نراهن على تربية الطفل على التسامح والاختلاف ونبذ التعصّب من خلال دين واحد يُقدّم في الغالب على أنه الأكمل والأفضل بل الأوحد؟ ثم ماذا يعني أن نربّي دينيا اليوم؟ أو بالأحرى أي وجاهة لأن نربّي دينيا في عالم لاديني؟

يتّضح إذن مما سبق أنّ التربية الدينيّة مسألة شديدة التركيب والتعقيد. وقد عبّر جون جاك روسو (1712-1778) عن ذلك في الفصل الخامس من كتابه «إميل أو في التربية من المهد إلى الرّشد» حينما قال: «كم أودّ لو أنّ رجلا خبيرا بعقلية الأطفال وضع لهم كتابا في التعليم الدّيني خاصا بهم. ولو فعل لكان ذلك الكتاب على الأرجح أنفع ما كتبه المؤلفون في نظري، ومما يشرف به مؤلفه ولا شك شرفا كبيرا. وإني واثق أن ذلك الكتاب إن جاء كما ينبغي فلن يشبه في شيء كتب التعليم الديني

1 - راجع مقالنا حول جون بياجيه («أخطاء بياجيه» أو بيداغوجيا (ت) المقاومة العرفانية ومبادئ فلسفة النفي لدى الأطفال والمراهقين) الوارد في كتاب: «في الدفاع عن الفلسفة الموجهة إلى الأطفال، قراءات» يصدر لاحقا ضمن منشورات دار كلمة.

التي بين أيدينا الآن. إنّ كتابا في التعليم الدّيني لا يمكن أن يكون صالحا وافيا بغرضه إلا إذا تولى الطفل الإجابة عن السؤال بوحي من عقله لا بوحي من حفظه وذاكرته».

يأمل جون جاك روسو إذن أن ينهض أحد «الخبراء بعقلية الأطفال» بتأليف «كتاب في التعليم الديني»، ويكون هذا الكتاب من خارج الدّين أو مغايرا للكتب الدينية المألوفة «تتم الإجابة فيه عن الأسئلة بوحي من العقل لا بوحي من الحفظ والذاكرة». لكنّ روسو كما نعلم لم يضطلع بهذه المهمة في كتابه إميل، بل يمكن القول إنه اضطلع بعكس ذلك تماما، فقد ميّز بين تديّن الإناث وتدين الذكور، ولم ير مانعا في إرجاء التربية الدينية للأطفال إلى مرحلة المراهقة (في سنّ الخامسة عشر تقريبا)، واعتبر الإيمان أسلم للأطفال من الريبة، ولم يكن حديثه عن الدين حديثا فلسفيا عقلانيا بقدر ما كان حديثا دينيا تقليديا، أي أنه لم يفكر في السؤال الديني كسؤال وجودي وميتافيزيقي بل فكر فيه بأدوات العقل الديني ذاته، وغير ذلك من المفارقات الفلسفية والتربوية المناقضة لروح التنوير.2 وبالإضافة إلى ذلك فإنّ حديث روسو عن الخبراء بعقلية الأطفال يُحمل على أكثر من وجه، إذ من هو الخبير؟ هل هو بيداغوجي؟ هل هو فيلسوف الطبيعة البشرية؟ هل هو عالم نفس؟ هل هو عالم حياة؟ هل هو عالم أعصاب؟ ثم كيف يكون الكتاب الديني غير ديني؟ هل يعني ذلك تأليف كتاب فلسفي ديني موجه إلى الأطفال؟ أما حديثه عن العقل كبديل عن الحفظ والتذكر فيوجب التساؤل من عدة أوجه، فهو من جهة يعتبر أن «الطفل لا عقل له»، و«لا فائدة ترجى من الجدال معه»، ثم يدعو الطفل للإجابة عن الأسئلة بوحي من عقله. وفي الواقع فإن هذه المفارقات يقع فيها الخطاب الديني ذاته، بمعنى أن ما يدعوه لتربية الطفل هو تسليمه بغياب هذا العقل، فضلا عن الرهانات الأخرى التي أشرنا إليها آنفا. ولأجل ذلك يجب أن نسأل:

2 - راجع مقالنا حول جون جاك روسو (إميل ومفارقات التربية والتنوير، دفاعا عن الأطفال، دفاعا عن الفلسفة الموجهة إلى الأطفال) الوارد بكتاب «في الدفاع عن الفلسفة الموجهة إلى الأطفال، قراءات». يصدر لاحقا ضمن منشورات دار كلمة.

ماذا يجب أن نفعل؟

أعتقد أنّ التفكير في التربية الدينية اليوم يجب أن يأخذ بعين الاعتبار عديد المبادئ والوقائع. علينا أن نفهم أوّلا أن التربية الحقيقية للأطفال لا تكون بالعودة إلى النصوص والمذاهب والمرجعيات بل تكون بالعودة إلى السياقات التي يعيشها الطفل خصوصا في القرن الحادي والعشرين. والسياقات التي يعيشها طفل اليوم متعددة ومتنوعة ومعقدة. إن تربية دينية لا تأخذ بعين الاعتبار وضعيات وجودية من قبيل القلق، والتشاؤم، والعزلة، والتمرّد، والهجرة، ولا تنفتح على قضايا الجنس والإرهاب والإجهاض والموت الرحيم والإدمان والاغتصاب والاتجار بالبشر...الخ، إن تربية دينية تتجاهل قضايا العصر وتكتفي بالإحالة على النصوص والرموز والمثل العليا دون أي تدبر عقلاني ونقدي لن تكون مجدية بتاتا. وعلينا أن نفهم ثانيا أن التربية الدينية لا ينبغي أن تكون متعالية أو منفصلة عن الأنماط التربوية الأخرى، بل يجب أن نفكّر في المشترك الذي يجمع بين التربية الدينية والمدنية والموسيقية والتشكيلية والجنسية وغيرها، فضلا عن المشترك بينها وبين الفلسفة والعلوم والفنون والآداب. بمعنى أنه يتعيّن علينا التفكير في المشروع التربوي للإنسان خارج التباين والصراع التقليدي بين هذه التربية وتلك. يجب أن يدرك الطفل أنه لا ينتقل من تربية إلى أخرى بل من زاوية نظر إلى أخرى، ومن طريقة تفكير لأخرى، ومن سياق لآخر. أما المبدأ الثالث الذي يتوجب علينا الوعي به فيتعلق بخصوصية طفل اليوم، ولا أتحدث هنا عن خصوصية ذهنية أو نفسية أو اجتماعية بل أتحدث عن خصوصية عصر. فطفل اليوم طفل متحرر، من سلطة الأب ورجل الدين والمربي والسياسي، طفل يعيش عصر أفول الآباء كما ذكرنا في مقالنا السابق، وهو مفتوح من جهة أخرى على عوالم افتراضية لها رموزها وأنساقها القيمية، فضلا عن كونه يعيش في عصر تسارعت فيه وتيرة الثورة العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية. وعليه يجب على كل تربية موجهة إلى الأطفال أن تفكر أولا ماذا يمكن أن تقدم للطفل في عصر الصورة والذكاء الاصطناعي؟ وعليها أن تتساءل أيضا عن مكانتها العقلية والتاريخية في سلم الأنظمة القيمية والمعيارية اليوم، وأن تتحرر من الإطار الثقافي والإيديولوجي الذي ضبطته السلطة الدينية والسياسية منذ عدة عصور. أما الأمر الآخر الذي يجب أن تأخذه بعين الاعتبار فهو أساس القيم وواقعها. إذ ثمة حلقة مفقودة أو تمّ قطعها بين القيمة والفعل. ولا يتعلق الأمر بالتربية الدينية فقط بل بمختلف الأنماط والنماذج التربوية. ذلك أنّ التعويل على النصوص والمواثيق والقوانين والقواعد لا يكفي لجعل الطفل كائنا أخلاقيا، كائنا أخلاقيا بالمعنى الاجتماعي والكوني. إن ما يحتاجه أبناؤنا في الواقع هو نماذج للفعل، لا نماذج تاريخية أو أرشيفية نادرة للمحاكاة والتقليد بل نماذج حية ومباشرة. إن ما يحتاجه أبناؤنا هو التربية من خلال الفعل. فالتربية الدعوية، أيا كان مصدرها دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا لم تعد تقنع أبناءنا بل لم تعد تنطلي عليهم. يحتاج أبناؤنا لتلقي مبادئ الفعل ومعاييره ونظامه من الفعل لا من النص. ولن نستعيد هذه الحلقة بين الفعل والقيمة ما لم نغير نظرتنا لمفهوم التربية. هل يعني ذلك أن تربية المجتمع أولى من تربية الطفل؟ هل يعني ذلك أن تربية المربين أولى من تربية الأبناء؟ لا أعرف، ولكن ما هو بيّن هو أن عصر تربية الأبناء بالنصوص فقط قد ولى بلا رجعة، وأن معاندة الواقع والتاريخ حماقة لا مثيل لها.

صورة تتحدّث

برج القْنّوني بصفاقس

يقع برج القنوني بالقاصة عدد 5 القريبة من المدينة ويعتبر من أقدم أبراج صفاقس وقد يرجع تأسيسه إلى أوائل القرن الثامن عشر ويمثل انموذجا بليغا من الأبراج السكنية الصيفية، الهرمية الشكل، المربعة القاعدة، الدفاعية التصميم، الصغيرة الحجم والمتكونة من طابقين سفلي و علوي....

للذكر صوّرت أغلب مشاهد فيلم "ريح السدّ" للنوري بوزيد في أحد هذه الأبراج التي تميّز مدينة صفاقس...

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

الحماية المدنية

تمكنت الوحدات التابعة للديوان الوطني للحماية المدنية خلال الصائفة من تأمين أكثر من 32 ألف تدخل أي انجاز ما يزيد عن 10 آلاف تدخل في الشهر حسب احصاءات منشورة على الموقع الرسمي لوزارة الداخلية.

التدخلات تتراوح عادة بين إطفاء الحرائق التي تشب في عديد المناطق الغابية والجبلية الوعرة وتوفير عمليات إسعاف في حوادث مرور او حوادث مختلفة وانقاذ المصطافين بمختلف الشواطىء.

ما يُحسب لأعوان الحماية المدنية انهم يربطون الليل بالنهار في سبيل تأمين مهمات وتدخلات حينية في كل شبر من البلاد وكلما جد طارىء يمثل تهديدا على المواطنين في ابدانهم او املاكهم أو يضر بالبيئة والمحيط.

ساعات عمل طويلة تقضيها اطارات الحماية البواسل متكبدين مشاق عمل ميداني في الوهاد والجبال وبأماكن يصعب على غيرهم بلوغها مما جعل هذا السلك أكثر الاسلاك قربا من المواطن والتصاقا بواقعه اليومي.

ورغم ظروف العمل الخطيرة يتفاني أعوان الحماية في بذل قصارى مجهوداتهم للإنقاذ والتدخل السريع والناجع في أي ظرف والمساهمة حتى في عمليات انقاذ خارج الحدود في اطار التعاون الدولي مثلما حصل في الزلزال الذي ضرب سوريا وتركيا في فيفري الماضي.

الانضباط المتواصل والتحلي بروح الوطنية والمسؤولية خلال اداء واجب مقدس في حماية الارواح ونجدة المتضررين كلها فضائل نبيلة اجتمعت لدى أعوان الحماية المدنية فأعطوا المثال في التفاني والبذل.

لذا استحقوا عن جدارة ملاحظة "حسن جدا" لهذا الأسبوع.

رديء جدا

الادارة

كشفت الهيئة العليا للرقابة الادارية والمالية في اخر تقرير سنوي لها ان السمة الابرز لمنظومة التصرف بالادارات هي تراجع احترام القوانين والتراتيب على مستوى الخدمات المسداة.

الهيئة اعتبرت ان الاخلالات والتجاوزات المتكررة بالادارة باتت مسألة هيكلية تستوجب التوقف عندها ومعالجتها بصفة جذرية وأفقية.

ملاحظات الهيئة جاءت بعد متابعة مدى تنفيذ 26 هيكلا عموميا توصيات هياكل رقابية مختلفة مما يؤكد مرة أخرى ان ما يجري صلب بعض الادارات من استهتار بقاصديها وتلاعب بالصفقات العمومية واهدار للمال العمومي حوّلها الى عبء كبير على الدولة وعلى دافعي الضرائب.

البعض يفسّر تحوّل الادارة الى قوة جذب الى الخلف ومكبّل حقيقي للتنمية بتواطؤ بعض الاداريين وانخراطهم في سياسات لضرب اية مساع للاصلاح والبناء.

مقاربة قد تجد لها ما يدعمها اذا تأملنا الفشل الذريع الذي صاحب ملف استعادة الاموال المهربة الى الخارج والتخريب الممنهج للاملاك المصادرة قبل التفويت فيها بأثمان بخسة واذا أمعنا النظر في عدد المشاريع المعطلة وساعات العمل المهدورة والطاقات غير المستغلة...

وفي ظل استشراء سوس البيروقراطية المقيتة واختراق بعض الادارات من قبل لوبيات مالية وحتى سياسية واستماتة اداريين في تغليب مصالحهم الخاصة على حساب المصلحة العامة يصبح الحديث عن اصلاح الادارة استعراضا لغويا لا طائل منه او حتى مجرد شعار لا يمت بصلة الى مشهد اداري تجاوزته الاحداث.

اما اعادة الروح الى جسد اداري عليل فلا تعني الاقتصار على تشخيص ما ألمّ به من امراض وإنما يتطلب تغييرا جذريا في العقليات ووقفة حازمة لفرض القانون والقطع مع سياسات المحاباة والزبونية والتواكل وخاصة الافلات من المحاسبة.

صورة تتحدث

من طرائف "الضمار" التونسي: الخبزة التونسية سنة 2025...

قالوا

انطونيو تاياني

علينا أن نعمل من أجل استقرار تونس واستثمار المزيد من الأموال لتنفيذ اتفاق وقف الهجرة غير النظامية... الشرطة التونسية تعمل بشكل جيد في الوقت الراهن، لكننا مستعدون أيضا لبذل المزيد، واقترحنا أيضا تزويدهم بقوارب إيطالية جديدة لايقاف المهربين لأن منظمات الاتجار بالبشر هي نفسها التي تنقل المخدرات والأسلحة وأعتقد أنه من المهم جدًا تنفيذ الاتفاق بين الاتحاد الأوروبي وتونس، ولكن أيضًا الحصول على مزيد من المرونة من صندوق النقد الدولي لتحقيق الاستقرار الاقتصادي في البلاد.

المنذر الونيسي

تونس تحتاج إلى حوار بلا إقصاء وليس إلى مشروع شخصي وحكم فردي لم يتقدم بها .... تونس انهارت في غفلة من النظام الجديد لأنه ركز أولوياته على تثبيت الوضع السياسي وإقصاء الأحزاب... الآن هم في مأزق .... منظومة 25 جويلية ستأتي إلى الحوار آجلا أم عاجلا. الأفضل أن يتأتى هذا الحوار عن قناعة بدل أن يحصل ذلك لاحقا عن اضطرار .... منظومة 25 فشلت على كل الأصعدة ومن الحكمة العودة إلى الأصل وفتح انتخابات مبكرة وإتاحة الفرصة للجميع للمشاركة والعودة إلى التونسيين للاختيار . نحتاج إلى الحوار والتنازل من أجل الوصول إلى بر الأمان .

محمد القوماني

اولا أشدد على ان ما تم تداوله من ان لي صلة ربما باسماء مرشحة لمؤتمر حركة النهضة او بدور سياسي اني استقلت واغلقت قوس تجربتي مع حركة النهضة نهائيا ونفس الشيء بالنسبة لصداقتي بالاستاذ نوفل سعيد شقيق رئيس الجمهورية التي كانت موجودة واستمرت لكنها توقفت منذ يوم 25 جويلية 2021 ولم يعد لنا اي تواصل مباشر ولا غير مباشر لا في السياسية ولا في غيرها... هذا حتى تكون الامور واضحة وخاصة للرد على بعض التدوينات وحتى بعض التحاليل الاعلامية ....اما بصفة عامة وكناشط سياسي معني بالشأن العام فارى ان تونس تحتاج فعلا الى حزب محافظ والى تعبيرة ديمقراطية محافظة تتجاوز صيغة ما عرف بالاسلام السياسي وتستفيد من تجارب في اوروبا او في غيرها من خلفية الاحزاب الديمقراطية المحافظة...

العياشي الهمامي

الحركة القضائية تؤكد ان قيس سعيد ووزيرة العدل ممعنان في خرق القانون بعكس ما يدّعيان. فبعدما تم اعفاء 57 قاضيا وقاضية واحالة رئيس جمعية القضاة على المحكمة ورفع الحصانة عنه واحالته على مجلس التاديب يؤكدان اليوم هذا واليوم لنا 57 قاضيا منهم 49 قاضيا لهم احكام من المحكمة الادارية تقضي بارجاعهم للعمل وترفض وزيرة العدل ورئيس الدولة احترام القانون ويواصلان في غيهما ..وايضا تتم معاقبة القضاة المباشرين الذين دافعوا عن زملائهم بنقلتهم تعسفيا الى داخل الجمهورية مثلما كان يفعل البشير التكاري وزير عدل بن علي مع قضاة جمعية القضاة سابقا.

بعد فرض عقوبات على روسيا :

لماذا هرعت البنوك المركزية لسحب ذهبها من أمريكا وبريطانيا؟

نقل : الحبيب القيزاني

يوم 24 أوت المنقضي أعلن ديمتري بسكوف الناطق باسم الكرملين أن الرئيس بوتين «لم يثر مطلقا مع رؤساء ورؤساء الحكومات الغربية موضوع العقوبات التي فرضتها بلدانهم على بلاده طيلة كل المكالمات الهاتفية التي أجروها معه بعد اجتياح قوات بلاده أوكرانيا».

كلام بسكوف جاء ردّا على أسئلة وجهها اليه أحد الصحفيين اثر كشف صحيفة «بيلد» الألمانية عن حديث قالت انه جرى بين المستشار الألماني أولف شولتز والرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون بعد اتصالات أجرياها مع بوتين. وحسب «بيلد» عبّر شولتز لماكرون عن حيرته من لامبالاة بوتين بالعقوبات الغربية وقوله للرئيس الفرنسي : «هناك شيء يُحيّرني أكثر من المفاوضات... هو (في إشارة الى بوتين) لا يشتكي من العقوبات التي فرضناها على بلاده». وتقول الصحيفة إن الحوار المذكور بين الرجلين جرى يوم 4 مارس 2022 بعد اتصالهما هاتفيا ببوتين أي بعد مرور 9 أيام على بدء العملية العسكرية الخاصة الروسية في أوكرانيا. وتضيف أن العقوبات الغربية كانت يومها تتهاطل على روسيا وأن العواصم الغربية أكدت إصرارها على تحويل بوتين الى رئيس منبوذ دوليا وأغلقت فضاء دولها في وجه الطيران المدني الروسي وقطعت أي ارتباط للبنوك الروسية بمنظومة «سويفت» العالمية مبرزة أن الدول الغربية كانت تعتقد أن حجم العقوبات التي فرضتها على روسيا سيعجّل بانهيار اقتصادها.

وأشارت صحيفة «بيلد» الى أن شولتز ألحّ في التعبير عن اندهاشه من لامبالاة بوتين بالعقوبات وعدم تعرضه اليها خلال اتصالاته الهاتفية بالرجلين وأنّ ماكرون أجابه قائلا : «ولا حتى معي أنا» مؤكدة أن هم بوتين الوحيد كان التفاوض على السلم بأوكرانيا وأنه فصل للرجلين أفكاره عن كيفية التوصل الى تسوية وأنه تحدث عن نزع سلاح أوكرانيا وتطهيرها من النازيين.

بوتين يمسك بإحدى سبائك ذهب بلاده

على الصعيد الاقتصادي - تواصل «بيلد»- كانت روسيا واثقة من قدرتها على الصمود في وجه العقوبات بل كانت موسكو ومعها المؤسسات المالية العالمية تؤكد على سلامة الوضع الاقتصادي والمالي بروسيا رغم تجميد كل أموالها وخصوصا كميات ذهب بنكها المركزي المودعة بالبنوك الغربية.

فما سرّ لامبالاة بوتين بالعقوبات؟ ولماذا هرعت بعض البلدان الى سحب ودائعها من احتياطيات الذهب من أمريكا وبريطانيا؟

موقع «المخبر الاقتصادي» أجاب عن السؤالين في فيديو تطرق الى دور الذهب في حماية اقتصادات الدول باعتباره أصلا استراتيجيا تعول عليه الدول العظمى للحفاظ على وزنها في الساحة العالمية خصوصا عند الأزمات مثلما هو حال روسيا اليوم.

يقول «المخبر الاقتصادي» : «في جوان الماضي زادت احتياطيات الصين من الذهب بـ 23 طنا وبلغت حوالي 2330 طنا والخبر قد يبدو عاديا لكنه يتطلب في الحقيقة وقفة عنده لسببين :

أولا لأن هذا هو الشهر الثامن على التوالي الذي تشهد خلاله احتياطيات الصين من الذهب ارتفاعا.. فقد بات الصينيون مؤخرا يشترون الذهب بشكل جنوني، فبين نوفمبر 2022 وجوان 2023 زوّد الصينيون احتياطياتهم من الذهب بـ 183 طنا.

ثانيا وهذا هو الأهم لا أحد يعرف على وجه التحديد أين يخفي الصينيون ذهبهم : هل يحتفظون به في خزائن تابعة للبنك الشعبي الصيني أم في خزائن تحت سيطرة الجيش؟ لا أحد يعرف ذلك. فنحن مثلا نعرف أين يخبئ البريطانيون والروس ذهبهم، فهذه معلومات متاحة للجميع لكن الصينيين متكتّمون تماما على الموضوع والمعلومة الوحيدة المعروفة عن مكان احتياطيات الصينيين من الذهب هي أنها موجودة كلها داخل البلاد. فالصينيون يشترون الذهب ويخزنونه داخل بلادهم عكس الكثير من البنوك المركزية التي تحتفظ بذهب بلدانها في نيويورك ولندن ولكن هذا الوضع بدأ مؤخرا يتغيّر. ذلك أن العقوبات الغربية المفروضة على البنك المركزي الروسي دفعت الكثير من البنوك المركزية العالمية لسحب ذهب بلدانها من أمريكا وبريطانيا وتخزينه بدولها وبمعرفتها خوفا من تعرض بلدانها لنفس ما حصل مع روسيا.

على مرّ عقود كانت أمريكا وبريطانيا الملاذ الآمن لاحتياطيات البنوك المركزية الأجنبية من الذهب لكن العقوبات التي تعرضت لها روسيا جعلت البنوك المركزية في العالم تدرك خطورة ترك ثروتها تحت رحمة الأجانب.

فكيف وصل العالم الى هذه المرحلة؟ ولماذا راحت البنوك المركزية تشتري الذهب بكميات كبيرة؟ وما هو مصير احتياطيات روسيا من الذهب وهل تقدر أمريكا وأوروبا على وضع أيديهما عليه؟

في سنة 1990 كان اقتصاد الاتحاد السوفياتي في أسوإ أحواله : تضخّم وانكماش وبطالة وديون وسلع مفقودة وطوابير من الناس أمام المحلات التجارية... كان الوضع بالاتحاد السوفياتي خرابا في خراب. وكان المحللون الغربيون يؤكدون أن احتياطيات الحكومة السوفياتية من الذهب تتراوح بين 1500 و2000 طن من الذهب. وكان العديد من الخبراء الاقتصاديين السوفيات يرون أن هذا الرقم صحيح ومنطقي رغم غياب أية بيانات رسمية حول احتياطيات الاتحاد السوفياتي من الذهب باعتبار السرية التي كان الكرملين يحيط بها كميات الذهب التي تمتلكها البلاد منذ عام 1936.

في نهاية جوان 1991 أكد البنك المركزي السوفياتي أن احتياطيات البلاد من الذهب هي 374 طنا. وقد كان الرقم صادما الى درجة أن الاقتصاديين الغربيين لم يصدّقوه اذ كانوا يعتقدون ان الكرملين يخفي كميات من الذهب جانبا ويرون أنه من غير المعقول ان يكون السوفيات اضاعوا أكثر من 1500 طن من الذهب في بعض السنوات متسائلين عن الوجهات التي صرفت فيها هذه الأطنان.

سؤال لم يعرف العالم إجابة عنه سوى قبل نحو 3 من انهيار الاتحاد السوفياتي وتحديدا يوم 27 سبتمبر 1991. في ذلك اليوم خرج غريغوري يفلانسكي رئيس اللجنة المؤقتة لادارة الاقتصاد السوفياتي وأعلن أن احتياطيات البلاد من الذهب تراجعت مرة أخرى الى 240 طنا قيمتها 2.7 مليار دولار وكان ذلك يعني أن احتياطي روسيا من الذهب تراجع بـ 134 طنا في 3 أشهر

فقط. وكان ذلك شيئا محيّرا ويحتاج الى تفسير. ذلك أن الامر يتعلق بالاتحاد السوفياتي الذي كان آنذاك أحد أكبر منتجي الذهب في العالم. ثم انه من المعروف أن احتياطيات الذهب تمثل أصلا استراتيجيا تحرص كل دول العالم على المحافظة عليه.

لهذا السبب كان السؤال هو : أين ذهبت كل الاطنان من الذهب التي نقصت؟

كان ردّ يفلانسكي أن الكرملين كان يبيع الذهب للحصول على أموال يستورد بها السلع بالنظر الى غياب الأموال بسبب انهيار أسعار النفط. وأضاف أن البلاد باعت سنة 1990 نحو 470 طنا من الذهب لتمويل الواردات. وهكذا فقد كان الاتحاد السوفياتي خلال السنوات الأخيرة التي سبقت انهياره يبيع سنويا نحو 400 طن لتمويل الواردات ويسدّد ديونه.

وروى يفلانسكي أن السوفيات كانوا في السنوات الأخيرة يائسين بسبب نقص الأموال الى درجة أنهم اضطروا الى رهن 110 أطنان من الذهب كانت قيمتها تتجاوز وقتئذ 1.2 مليار دولار حتى يتمكنوا من توريد السلع التي تحتاجها البلاد مشيرا الى أنه كان من المفروض أن يسددوا في ما بعد ثمن الواردات ويفكّوا رهن الذهب. لكنه قال انه لم يكن لديهم آنذاك أموال لفكّ الرهن ولم يكن أحد يعرف أن الوضع مأساوي الى هذه الدرجة حتى طلع رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي آنذاك، فلانتين بافلوف ليقول : «بصراحة كان نخفي المعلومات حول تراجع احتياطياتنا من الذهب بشكل كبير حتى نتمكن من الاقتراض من صندوق النقد الدولي والبنوك الغربية.

المهم أنه بعد كلام يفلانسكي بثلاثة أشهر وتحديدا في ديسمبر 1991 انهار الاتحاد السوفياتي. ويوم 25 ديسمبر 1991 أعلن ميخائيل غورباتشوف استقالته كآخر رئيس للاتحاد السوفياتي ليأتي بعده بوريس يلتسين كأول رئيس للفيدرالية الروسية كوريثة للاتحاد السوفياتي.

في عهد يلتسين، بدأت احتياطيات روسيا من الذهب في الارتفاع وبلغت عام 1993 ثلاثمائة وثمانية أطنان وظلت تتزايد حتى وقوع الأزمة المالية لعام 1998 ليقل احتياطي الذهب الروسي بواقع 118 طنا.

في أواخر 1999 رحل يلتسين وخلفه فلاديمير بوتين وبين سنتي 2000 و2007 حافظت حكومة بوتين على احتياطيات ذهب البلاد في حدود 400 طن. ولكن بداية من الربع الثالث من سنة 2007 وتزامنا مع بداية الأزمة المالية العالمية بدأت روسيا تزوّد احتياطياتها من الذهب بوتيرة متسارعة.

كان بوتين يؤمن أشدّ الايمان بأهمية امتلاك بلاده احتياطيات كبيرة من الذهب. وفي جوان 2010، كان بوتين رئيس وزراء روسيا وصرّح آنذاك بأن البنك المركزي الروسي يراكم احتياطيات من الذهب والعملات الأجنبية خلال فترات النمو الاقتصادي حتى يحمي الروبل من الصدمات الاقتصادية. وعلى هذا الأسس تجاوزت احتياطيات الروس من الذهب في جويلية 2013 الف طن لأول مرة منذ بداية تسعينات القرن الماضي. وقد أثلجت هذه الاحتياطيات صدر بوتين ليقرر في أوائل 2014 ضمّ شبه جزيرة القرم الى بلاده.

وقد توقع بوتين العقوبات. وكانت حساباته مبنية على أن احتياطيات الذهب تمثل الدرع الذي يحمي اقتصاد بلاده من العقوبات. وهذا ما حصل فعلا اذ تهاطلت العقوبات الغربية على روسيا نتيجة احتلالها شبه جزيرة القرم وأنفق الروس عام 2014 في اطار دفاعهم عن عملتهم الوطنية «الروبل» أكثر من 130 مليار دولار من احتياطياتهم لتنخفض من 509,6 مليارات دولار الى 385,5 مليار دولار.

بنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك أكبر مخزن في الذهب في العالم

واعتبارا من تلك اللحظة قرر بوتين إعادة بناء احتياطيات البنك المركزي الروسي وخصوصا احتياطياته من الذهب بشكل يجعل منها أشبه بـ «صندوق حرب» تقدر من خلاله روسيا على الدفاع عن اقتصادها لو تعرّضت مرة أخرى لعقوبات غربية.

وقد تولّت هذه المهمة محافظة البنك المركزي ألفينا نابيولينا من سنة 2013 الى حدود اليوم. ونجحت هذه المرأة في الترفيع في احتياطيات روسيا الى نحو 630 مليار دولار مع بداية سنة 2022. وقد كان من ضمن الـ 630 مليار دولار ما يعادل احتياطيات من الذهب بقيمة 140 مليار دولار بمعنى أن الذهب كان يمثل أكثر من 22 ٪ من مجمل الاحتياطي. وكان حجم الاحتياطي الروسي من الذهب قبل الاجتياح العسكري الروسي في فيفري 2022 يناهز 2300 طن. وقد سمح هذا الاحتياطي لبوتين بدخول الحرب وهو غير مهتم بالعواقب التي يمكن أن تنجرّ عن ذلك اذ كان تقديره أن ردّ فعل الغرب سيكون مشابها لردّ فعله الضعيف لما استحوذ على شبه جزيرة القرم عام 2014.

لكن الذي حصل كان عكس ذلك تماما اذ انه بمجرد دخول الجنود الروس الأراضي الأوكرانية شنت الولايات المتحدة ومعها دول الاتحاد الأوروبي ما يمكن اعتبارها أشرس حرب اقتصادية في التاريخ وذلك بفرض عقوبات غير مسبوقة على روسيا إضافة الى تجميد احتياطيات البنك المركزي الروسي الموجودة عندها مما مثل مفاجأة غير متوقعة من طرف موسكو. وقد كانت احتياطيات روسيا آنذاك موزعة بين روسيا والولايات المتحدة والصين وفرنسا وبريطانيا واليابان وألمانيا وصندوق النقد الدولي وبنك التسويات الدولية. وحسب أنتون سيلوانوف وزير المالية الروسي تسببت العقوبات الغربية في تجميد حوالي نصف احتياطيات البنك المركزي الروسي أي ما يناهز 300 مليار دولار كانت روسيا محتفظة بها في الغرب.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل أموال روسيا التي تم تجميدها ذهب؟ الجواب هو لا.

أما لماذا فلأن روسيا من بين الدول التي تحتفظ بكامل احتياطياتها من الذهب في أراضيها. ويحتفظ الروس باحتياطياتهم من الذهب في مخزنين: أولهما مخزن موجود بموسكو وهو المخزن الرئيسي للبنك المركزي الروسي وهو عبارة عن منشأة كبيرة تمسح 17000 متر مربّع بها مساحة لتخزين الذهب والعملات بحوالي 1500 متر وهو نفس المخزن الذي زاره بوتين يوم 24 جانفي 2011 وأخذت له به صورته الشهيرة وهو يمسك بسبائك ذهب. أما المخزن الثاني فيوجد بمدينة بطرسبورغ.

وتحتفظ روسيا تماما مثل الولايات المتحدة وفرنسا والصين وتركيا وتايوان وبريطانيا والسعودية بذهبها داخل أراضيها. لكن هناك دول تحتفظ بذهبها في الخارج مثلما هو الشأن بالنسبة لألمانيا وإيطاليا وسويسرا والهند وهولندا والبرتغال وليبيا والنمسا وبولونيا وبلجيكا.

لكن لماذا تحتفظ كل هذه الدول بذهبها في الخارج؟

يمكن أن يكون لذلك سبب سياسي أو تاريخي أو أمني أو اقتصادي. فعلى سبيل المثال نأخذ الحالة الألمانية.

فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وانهزام المانيا، خاف الألمان من استيلاء الاتحاد السوفياتي على احتياطياتهم من الذهب فقرروا الاحتفاظ به عند حلفائهم (هكذا يقول المتحدث في الفيديو). وعلى أساس ذلك وزّع الالمان ذهبهم بين نيويورك ولندن وباريس. لكن في عام 2013 أعلن البنك المركزي الألماني عن خطة لنقل جزء من احتياطياته من الذهب ونيته تخزين أكثر من 50 ٪ منها في مدينة فرانكفورت. ونصت الخطة على أن يتم الانتهاء من ذلك سنة 2020. لكن في عام 2017 تمكن الألمان من نقل 50 ٪ من ذهبهم الى فرانكفورت. وتوزّع النصف الثاني من احتياطي الذهب الألماني بين بنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك وبنك انقلترا في لندن اللذين يعتبران أكبر مخزنين في العالم للذهب باعتبارهما يحتويان على احتياطيات ذهب البنوك المركزية في العالم.

والمعروف أن قلعة فورت نوكس هي أكبر مخزن للذهب في أمريكا لكن ذلك ليس صحيحا اذ أن أكبر مخزن للذهب في الولايات المتحدة هو المخزن التابع لبنك الاحتياطي الفيدرالي بنيويورك والموجود على عمق 24 مترا تحت الأرض بمانهاتن.

وقد كان بهذا المخزن عام 2019 ما يناهز 6190 طنا من الذهب الذي يخص البنوك المركزية الأجنبية والمؤسسات المالية الدولية. ولا تحتفظ الولايات المتحدة بأية كمية من الذهب في هذا المخزن وانّما كل ذهبها موجود في فورت نوكس.

دور أمريكا في مخزن بنك الاحتياطي الفيدرالي هو أنها الوصيّ والمشرف على الحسابات لا غير وهو نفس دور بنك انقلترا المخزون تحت الأرض بلندن أين يحتفظ بـ 400 ألف سبيكة لصالحه ولصالح بنوك مركزية اجنبية ممّا يجعل بنك انقلترا ثاني أكبر مخزّن للذهب في العالم بعد بنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك. وقد كانت البنوك المركزية الأجنبية تحتفظ بذهبها في نيويورك ولندن لأنها مطمئنة على ذلك باعتبار امتلاكها أصل سيادي في أمان وإمكانية الوصول اليه في أي وقت وتحت أي ظرف وأنه لا يمكن لامريكا أو بريطانيا استخدام سلطتهما للاستيلاء على ذلك الذهب. لكن لما عمل الامريكان والأوروبيون ما عملوا مع البنك المركزي الروسي طارت هذه الثقة وخاف الجميع من التعرض لنفس المصير الذي لقيته روسيا حتى وإن كانوا من أعدائها.

في النسخة الأحدث من استطلاعها السنوي حول إدارة الأصول السيادية العالمية والذي شمل 85 صندوق ثروة سيادي و57 بنكا مركزيا كشفت شركة Invesco عن معلومتين مهمتان جدا : أولهما أن البنوك المركزية العالمية اشترت كميات قياسية من الذهب على مدار سنة 2022 والى حدود الربع الأول من سنة 2023. والشيء اللافت للنظر هو أن أغلب مشتريات البنوك المركزية من الذهب كانت عبارة عن سبائك.

وكما هو معروف يمكن للبنوك المركزية أو لأي شخص بشكل عام الاستثمار في الذهب من خلال شرائه مباشرة أو عبر شراء عقود مشتقات أو الاستثمار في صناديق ذهب.

وحسب Invesco رفضت البنوك المركزية عقود المشتقات وصناديق الذهب المتداولة في البورصة وهذا ببساطة لأن صناديق الذهب وعقود المشتقات ليست في النهاية سوى أوراق مالية بمقدور أمريكا تجميدها بجرّة قلم وتمنع أصحابها من التصرف فيها تماما مثلما حصل مع احتياطيات البنك المركزي الروسي المجمدة حاليا وهذا عكس سبائك الذهب التي يمكن لدولة أو شخص الإمساك بها بيديه وحفظها عنده.

هذه النقطة تقودنا الى المعلومة الثانية المهمة والتي أشار اليها أيضا تقرير Inesco. وتقول المعلومة أن هناك عددا متزايدا من البنوك المركزية العالمية بدأت تستردّ احتياطياتها من الذهب المخزنة بالخارج.

وحسب تقرير Invesco بلغت نسبة الدول التي باتت تحتفظ بذهبها داخل أراضيها 68 ٪ مقارنة بـ 50 ٪ سنة 2020.

وتوقعت التقرير أن تبلغ هذه النسبة بعد مرور 5 سنوات ٪74.

وهكذا بث ما حصل مع روسيا الخوف في نفوس الجميع وقد انعكست موجة استرداد الذهب على الودائع المخزنة في بنك انقلترا. ففي بداية جوان 2023 تراجعت حيازات بنك انقلترا بنسبة 12 ٪ مقارنة بثروته عام 2021.

كل ذلك بسبب الخوف. وقد اعترف مسؤول بأحد البنوك الغربية بهذه الوضعية قائلا : «لعب الذهب دورا حاسما خلال العامين الماضيين : لقد رفعنا مخزوناتنا من الذهب خلال الثماني أو العشر سنوات الماضية واحتفظنا بذلك الذهب في لندن واستخدمناه في المقايضات ولتعزيز العائدات. لكننا الان نقلنا من جديد احتياطياتها من الذهب الى بلدنا لابقائها في أمان. إن دورها في الأصل أن تكون أصولا آمنة».

كلام هذا المسؤول يأخذنا الى قلب الموضوع : هل يمكن أن يهدّد لجوء البنوك المركزية إلى استرداد ذهب بلدانها الدولار العملة الأمريكية؟

... سحق؟!

موقع "الشبكة العالمية" نقل عن موقع Day FR Euro تصريحا لكاتلين هيكس نائبة وزير الدفاع الأمريكي خلال ندوة نظمتها الجمعية الوطنية للصناعات الدفاعية National Defense Industrial Association يوم 28 أوت المنقضي قالت فيه : "لقد أعددنا خطة الردّ الجديدة New Replication pro-gram لتساعدنا على مواجهة التفوق العددي للجيش الصيني بتفوق خاص بنا. وسيكون من المستحيل على الصينيين رصد قواتنا والحاق هزيمة بها وسنمطر الجيش الصيني بوابل من الطائرات المسيّرة جوّا وبحرا وبرّا سيحصل عليها جيشنا بين الـ 18 والـ24 شهرا القادمة".

موقع DayFR EURO أشار الى ان نقطتين غامضتين تحيطان بالخطة الامريكية متسائلا : ماذا سيفعل البنتاغون اذا ردّت الصين الفعل بخطة مماثلة؟ ثم كم وقتا ستكفي آلاف الطائرات المسيرة اذا خسر الجيش الأمريكي مثلما يتوقع ذلك عديد الخبراء 10000 طائرة شهريا؟

موقع "الشبكة العالمية" ذكّر من جهته بأن الصين تملك حاليا أكبر اسطول عسكري بحري في العالم ونحو 2000 مقاتلة الى جانب مليونين و300 ألف جندي دون احتساب الميليشيا الشعبية.

اعتراف

رجل الأعمال فيفيك راماسوامي المرشح عن الحزب الجمهوري للانتخابات الرئاسية الامريكية اعترف بقيام بلاده بتفجير خطي الانابيب "نورثستريم 1و2" معتبرا أن بلاده ارتكبت خطأ جسيما بالقيام بذلك..

راماسوامي أكد أنه سيبرم في حال فوزه بمنصب الرئاسة صفقة مع موسكو يتم عبرها تجميد خطوط المواجهة العسكرية واتخاذ ما أسماه "التزاما جادا" بعدم قبول انضمام أوكرانيا الى حلف "الناتو".

وأعرب الرجل عن رغبته في "فصل روسيا عن الصين" واصفا تحالف البلدين بـ "التهديد الأكبر للولايات المتحدة".

واعتبر راماسوامي أن سبب التحالف الصيني الروسي هو السياسة الخاطئة لبلاده مضيفا "ارتكبنا خطأ كبيرا عندما عزلنا روسيا عن الغرب من خلال تفجير خطي "نورثستريم 1 و2" فضلا عن فرض عقوبات عليها".

ويحتل راماسوامي المركز الثالث في ترشيحات الحزب الجمهوري لعام 2024 وراء ترامب وحاكم فلوريدا رون ديسانتيس.

بأموال فاسدة

ذكرت صحيفة "ليبراسيون" في عددها الصادر الخميس الماضي، أن قضاة فرنسيون اكتشفوا في تحقيق أجري عام 2008 أن (رئيس الغابون السابق) عمر بونغو وأولاده، بمن فيهم علي المعزول مؤخرا، اشتروا عدة أصول في أرقى مناطق العاصمة الفرنسية باريس.

وقالت الصحيفة نقلا عن تحقيقات قضائية إنه "تم شراء تلك الأصول بأموال فاسدة من عدة شركات منها Elf-Total"، وفق تعبيرها.

وطبقا للصحيفة تشمل الأصول فندقا خاصا بمساحة 5400 متر مربع في حي الوزارات والسفارات، وشققا بمناطق فاخرة أخرى في باريس، وفيلات بمدينة نيس الساحلية المطلة على منطقة البحر

المتوسط.

وأضافت الصحيفة أنه يتعذر حصر قيمة تلك الأصول وأن أمر المحكمة الصادر في عام 2022 قدّرها بنحو 85 مليون أورو.

طبقا للنموذج الاسرائيلي

مجلة "نيوزويك" الأمريكية ذكرت في عددها الصادر يوم الخميس الماضي أنّ الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، يضغط على الولايات المتحدة للحصول على صفقة أمنية طويلة الأجل تستند إلى "النموذج الإسرائيلي".

وأوردت المجلة أنه مع استمرار الهجوم المضاد الأوكراني، "يتفاوض المسؤولون في واشنطن وكييف، بهدوء، وبعيداً عن الخطوط الأمامية، على تحالف رسمي يمكن أن يعيد تشكيل المشهد الأمني في أوروبا".

وأضافت : "طغت مساعي أوكرانيا هذا الصيف لاستعادة الأراضي التي تسيطر عليها روسيا جنوبي البلاد، على المفاوضات، لكن المناقشات لفتت انتباهاً جديداً مؤخراً، عندما قال زيلينسكي إنه يتوقع أن توافق أوكرانيا والولايات المتحدة، على اتفاقية أمنية مشابهة للتحالف بين الولايات المتحدة وإسرائيل".

انهيار

يوم الأربعاء الماضي 30 أوت المنقضي، أياما بعد الانقلاب الذي أطاح بالرئيس الغابوني علي بونغو، شهدت أسهم شركات MAUREL وPROM المتخصصة في استخراج النفط والمحروقات وPROM ERAMET الناشطة في قطاع المناجم وفرع Totale-nergies بالبلاد انهيارا في بورصة باريس بما خلّف قلقا في أوساط المستثمرين حول مصالحهم بهذه الشركات في الغابون.

وخسر سهم شركة MAUREL أكثر من 15 ٪ من قيمته في بورصة باريس وذلك أياما بعد اعلان الشركة عن شراء مصالح جديدة في الغابون وخصوصا منها شراء شركة انتاج النفط ASSALA ENERGIES الناشطة في قطاع استخراج وإنتاج النفط.

أما قيمة سهم شركة PROM ERAMET فقد سجلت تراجعا تاريخيا بأكثر من 17 ٪ الشيء الذي

خفايا بزنس الدم في العالم

كشفت احدى حلقات سلسلة الخيال العلمي Quantum Leag التي تعرضها قناة NBC التلفزية الامريكية عبر فيديو مترجم الى اللغة الفرنسية تحت عنوان : Les dessous cachés du business du sang (خفايا بزنس الدم) ان الحقيقة المخفية حول عمليات التبرع بالدم في العالم أبعد ما تكون عن الكرم والنبل اللذين يتحلى بهما المتبرعون.

وأوضحت الحلقة "وجود أنشطة طبية تشكل صناعة مثالية للاثراء" وأن "الاستثمار في ميدان الدم لا يعرف حدودا" وأن "البلازما يشكل عماد هذه الصناعة باعتباره المكوّن الأساسي للدم مبرزة أنه أغلى سعرا من النفط!

وكشفت الحلقة أن بزنس الدم لا يعدو في الحقيقة أن يكون سوى استغلال الانسان أخيه الانسان عبر تمكين الأثرياء الذين لهم القدرة على شراء الدم من استغلال طيبة وسذاجة الفقراء باعتبار أن الأمر تحوّل الى تجارة رائجة تدر على أصحابها أرباحا خيالية سواء عند البيع أو بعد معالجة البلازما.

وأضافت الحلقة : "يشهد العالم سنويا 100 مليون عملية تبرع بالدم. وفي عام 2015 سجّل الصليب الأحمر السويسري 311 الف عملية تبرع وقد أصبحت كميات الدم المتبرع بها خاضعة لقانون السوق. وتحتوي وثيقة التبرّع بالدم في أسفلها على جملة مكتوبة بخط رقيق أصغر من خطّ نصها تقول : "أنا واع بأنه يمكن استغلال بعض مكونات دمي لصناعة الأدوية".

وتلاحظ الحلقة أن المشكلة تكمن في أن عدد المتبرعين الذين ينتبهون الى الجملة الأخيرة قليل جدا.

وتواصل الحلقة : "ما يتم في الخفاء هو أن شركات خاصة تقوم بعد شراء الدم من منظمات الصليب الأحمر ببيعه لكن منظمات الصليب الأحمر لا تعلن عن ذلك ففي ألمانيا يبلغ عدد عمليات التبرع

بالدم سنويا 32 ألفا.

والأمر يتعلق بدماء كاملة المكونات بما فيها البلازما وخلافا لبقية مكونات الدم لا تحصل المستشفيات سوى على 20 ٪ من البلازما وهذه الكمية توجّه للمرضي والجرحى الذين فقدوا كميات كبيرة من الدم. أما الـ 80 ٪ المتبقية فتذهب لصناعة تجزئة البلازما التي تنتج أدوية مشتقة من مكونات الدم وباهظة الثمن. وتشتري مصانع الادوية سنويا من منظمات الصليب الأحمر 80 ألف لتر من الدم. ويحصل الصليب الأحمر السويسري مثلا سنويا على 10 ملايين فرنك سويسري دون أن يعود منها ولو فرنك واحد للمتبرعين. وهكذا فإن الجانب الأكبر من كميات الدم المتبرع بها تذهب لشركات صناعة الادوية. ويعتبر البلازما اهم مكونات الدم لأنه يحتوي على البروتينات الذي تصنع منها أدوية تدرّ مرابيح خيالية. وتقتسم سوق صناعة الأدوية من البلازما حفنة من الشركات العالمية مثل شركة Paxter الامريكية وشركتي CSL Plasma و-Gri fols بإسبانيا وشركة Octopharma بسويسرا، وتدرّ البلازما على هذه الشركات 17 مليار دولار سنويا".

دفع الشركة إلى اصدار بلاغ أكدت فيه وضع حدّ لنشاطاتها المنجمية بالغابون وتعليق حركة السكك الحديدية بالبلاد.

سهم فرع شركة Totalenergies تقهقر بدوره بـ 26 ٪.

ماسونية...

موقع Ciel voilé عرض خلال الأيام التي تلت الانقلاب العسكري بالغابون فيديو من أرشيفه الخاص كشف فيه عن تورط الرئيس المخلوع علي بونغو في نشاط ماسوني ورعايته مصالح فرع المحفل الماسوني ببلاده.

وأظهر مقطع الفيديو علي بونغو لدى حضوره موكب أداء يمين الولاء لمحفل الماسونية بالغابون وهو يضع يده اليمنى على قلبه ويكرّر قسم الولاء بعد كبير الماسونيين الحاضرين.

وأكد بونغو أثناء أداء القسم انه سيتفانى في خدمة المحفل الماسوني ببلاده وأنه لن يدّخر جهدا في الإيفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه وقال في هذا الصدد : "سأفعل كل ما في وسعي لخدمة مصالح الماسونية عموما وخصوصا مصالح المحفل الماسوني الكبير".

اتهام

رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق Giuliano Ama-to اتهم في حوار أجرته معه صحيفة "لا روبوبليكا" الإيطالية فرنسا بالتورط في تدمير طائرة الرحلة 870 التابعة لشركة Itavia Airlines سنة 1980 في محاولة لاغتيال الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي.

Amato قال : "تم اعداد خطة لقصف طائرة الميغ التي كان من المفروض أن يتواجد على متنها القذافي".

وأضاف : "لكن القذافي نجا من الفخّ بفضل تحذير تلقاه من رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق بتينو كراكسي وعلى قصر الايليزي غسل هذا العار الذي يلاحقه... كان ذلك يوم 27 جوان 1980 عندما أسقطت الطائرة بصاروخ فرنسي".

وتابع Amato : "رغم مرور 40 سنة لم ينصف القضاء الضحايا ولا عائلاتهم" متسائلا : "لماذا نواصل إخفاء الحقيقة؟ لقد حان الوقت لالقاء الأضواء على هذا السرّ الفظيع وبإمكان ماكرون القيام بذلك وكذلك الحلف الأطلسي".

واعتبر Amato أن "على كل من يعرف الحقيقة الاصداع بها اليوم حتى يتم انصاف عائلات الضحايا... والرواية الأكثر مصداقية تشير الى مسؤولية سلاح الجوّ الفرنسي يتواطؤ مع الأمريكان".

ارتفاع بـ 334 ٪ !

صحيفة Berliner Zeitung الألمانية كتبت في تقرير لها تحت عنوان : "تبعية المانيا الجديدة لروسيا : كنز بوتين لمواصلة الحرب في أوكرانيا امتلأ عن آخره".

وحسب الصحيفة "مثلت آخر الاحصائيات مفاجأة اذ أنه اتضح انه رغم الحرب التي تخوضها في أوكرانيا، ارتفعت صادرات روسيا من الأسمدة لألمانيا بـ 334 ٪".

ونقلت الصحيفة عن Global Witness انه "سيتوجّب على دول الاتحاد الأوروبي أن تشتري هذا العام كميات قياسية من الغاز الروسي المسال رغم انه سبق لها الالتزام بالكفّ عن استهلاكه حتى سنة 2027".

Global Witness أشار الى أن الدول الأوروبية واصلت طيلة الـ 7 اشهر الأولى من هذا العام توريد كميات هامة من الغاز الروسي.

منافس صيني لـ ChatGPT

مجلة Chine Magazine اكدت أن عملاق الانترنات الصيني، شركة Baidu أطلقت يوم 31 أوت الماضي روبو مخاطب خاص بها في خطوة اعتبرتها المجلة "مرحلة حاسمة تعبّر عن إرادة الصين لاحتلال المرتبة الأولى في قطاع الذكاء الاصطناعي بحلول عام 2030".

المجلة كشفت أن اسم الروبو الجديد هو Ernie Bot وأنه سيكون مزاحما شرسا للروبو الأمريكي ChatGPT مبرزة وجود شركات صينية أخرى تعمل في ميدان الذكاء الاصطناعي وانها تلقت من سلطات البلاد الضوء الأخضر لتطوير روبوتات جديدة مثل شركة Sensetime التي فتحت المجال للروبو Sen-sechat.

Chine Magazine أكدت أيضا أن شركتي Zhipu AL وBaichuan Intelligent Technology وضعتا روبوتاتها على الخط.

لافروف:
السعودية أبلغتنا بأن اجتماع جدة عقد لإقناع الجميع بعدم جدوى المفاوضات دون موسكو

أعلن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، أن السعودية أخطرت روسيا بأن اجتماع جدة عُقد لإقناع الجميع بعدم جدوى المفاوضات في غياب موسكو.

وقال لافروف في هذا الصدد: "أخبرنا أصدقاؤنا السعوديون أنهم يريدون استضافة اجتماع آخر بهذا الشكل في جدة"، مضيفا أن ذلك يتم فقط من أجل إيصال فكرة إلى المشاركين الغربيين وأوكرانيا نفسها بأن أية مناقشات ميئوس منها تماما دون مشاركة روسيا.

وأضاف لافروف، خلال كلمة ألقاها أمام طلبة وأعضاء هيئة التدريس في جامعة الدبلوماسية الروسية، بمناسبة بدء العام الدراسي: "موسكو علمت بالنداء الموجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أنتوني غوتيريش، لإرسال ممثليه إلى اجتماعات مجموعات العمل عبر الإنترنت حول "صيغة السلام" التي طرحها فلاديمير زيلينسكي".

وأكد لافروف في هذا السياق، أن هذا أمر غير مقبول، قائلا: "لقد رأيت السيد غوتيريش في جوهانسبورغ، على هامش قمة "بريكس"، وقلت له بصراحة إن هذا ينتهك جميع مبادئ عمل الأمانة، لأنها وفقًا للميثاق، يجب أن تكون محايدة ولا ينبغي أن تتلقى تعليمات من أية حكومة".

سيمور هيرش : واشنطن خططت لإهانة روسيا في اجتماع جدّة لكن الرياح لم تجر بما اشتهت

الصحفي الأمريكي سيمور هيرش نقل عن مسؤول بالمخابرات الامريكية طلب عدم الكشف عن هويته ان اجتماع جدة المنعقد مؤخرا لتدارس فرص وسبل إيجاد مخرج سلمي للحرب الدائرة بأوكرانيا تم بتخطيط وتوجيه من الولايات المتحدة وأن مستشار الأمن القومي الأمريكي جاك سوليفان أراد من خلاله "إهانة روسيا بشكل ساحق وتدمير دبلوماسيتها".

هيرش نقل عن نفس المصدر أن سوليفان "خطط حتى يتزامن الاجتماع المذكور مع قضاء الهجوم المضاد الأوكراني على ما تبقى من الجيش الروسي في البلاد".

وقال هيرش إن المسؤول بالمخابرات الأمريكية أبلغه بأن سوليفان "أعدّ العدّة حتى يكون اجتماع جدة بالنسبة للرئيس بايدن رديف مؤتمر فرساي (بعد الحرب العالمية الأولى) بالنسبة للرئيس الأمريكي آنذاك وودرو ويلسون في إشارة الى الشروط التي فرضتها دول الحلفاء آنذاك على المانيا".

وتابع هيرش : "خططت دول تحالف العالم الحرّ للاجتماع والاحتفال بالنصر بعد الحاق هزيمة مذلّة بروسيا عدوها المقيت ولتحديد شكل التعاون بين الأمم بالنسبة للأجيال القادمة".

وأشار هيرش إلى أن مصدره قال له أيضا : "وسيكون تاج الانتصار متوجا باستسلام بوتين استسلاما غير مشروط. وتخطط دول العالم الحرّ أيضا لمحاكمة على نمط محاكمة نورمبورغ أمام محكمة عالمية يمثّلنا فيها جاك سوليفان".

وتعليقا على خبر هيرش كتب موقع "الشبكة العالمية" : "لكن الرياح لم تجر بما اشتهت واشنطن وحليفاتها. لذلك يبدو من السهل فهم تجاهل وسائل الاعلام الامريكية والبريطانية بالخصوص الإشارة الى خفايا انعقاد قمة جدة. ذلك أنه اتضح ان الهجوم الاوكراني المضاد مثل كارثة

بالنسبة لنظام كييف والشعب الاوكراني. فإلى حدّ الآن قضت القوات الروسية على ما لا يقل عن 50 ٪ من الجيش الاوكراني. ويوم الثلاثاء 15 أوت الماضي حيّن المحلل العسكري الأمريكي الذي عمل سابقا بقوات المدرعات في الجيش الأمريكي تقديراته لعدد قتلى الجيش الاوكراني في جبهات القتال محدّدا إياه بـ 400000 قتيل. من جهته نقل موقع Inter Republic صورا جديدة مأخوذة بالأقمار الاصطناعية تثبت انه تمت إضافة مساحة بـ 104 آلاف متر لمقبرة واحدة هي مقبرة ماتفيفسكويا بمدينة زابوروجيا لدفن قتلى الجيش الاوكراني. وفي 7 مقابر اوكرانية أخرى ارتفع عدد القبور الجديدة الى 123000 قبر".

على محمد بن سلمان أن يقرر ما إذا سيكون لـ "أوبك+" جيشها الخاص

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

فوجئ كثيرون بارتفاع وتيرة التعاون بين روسيا والسعودية في إطار "أوبك+" من أجل الحفاظ على أسعار النفط المناسبة.

في الوقت نفسه، أشير إلى أن ذلك يحدث على خلفية تبادل الأسواق بين المملكة العربية السعودية وروسيا دون أي خلاف. فقد حركت روسيا السعودية إلى حد ما في أسواق الهند والصين، فيما حلت السعودية إلى حد كبير محل روسيا في توفير النفط لأوروبا.

كذلك فوجئ الجميع بالمصالحة بين المملكة العربية السعودية وايران بوساطة صينية.

في الوقت نفسه، تعتزم المملكة العربية السعودية وإيران وباكستان والهند ودول أخرى في شمال غرب المحيط الهندي تشكيل تحالف بحري مشترك، يمثل، فيما يبدو، تحديا للسيطرة الأمريكية على الاتصالات البحرية في المنطقة. نلاحظ هنا وجود الهند في هذا التحالف، خصم الصين وحليف الولايات المتحدة حتى الآن، لكنها في المستقبل، زعيم إقليمي مستقل.

لقد كتبت سابقا أنه يمكن مقارنة التغيير الحالي في العصور من حيث الحجم بانهيار الإمبراطورية الرومانية. الآن أعتقد أن التغييرات الراهنة أكبر بعدة مرات.

كان تطور الحضارة الإنسانية مصحوبا بزيادة مستمرة في استهلاك الطاقة من طرف الفرد، لكن موارد الكوكب محدودة، بينما تتزايد كلفة إنتاج النفط والغاز، اللذين يجب استخراجهما من أعماق أكبر من أي وقت مضى، فيما يجري حفل الآبار بزوايا، وما إلى ذلك.

لم يعد المستوى الحالي لتطور العلوم يضمن نمو استهلاك الفرد للطاقة على هذا الكوكب، بل، وأكثر من ذلك، لن يوفر ذلك في المستقبل القريب. تنمو البشرية بسرعة كبيرة، وتنفد الموارد بسرعة كبيرة، في الوقت الذي لا توجد فيه إنجازات علمية في مجال توليد الطاقة.

ولا يمكن للمليار الذهبي أن يعيش إلا بشرط أن يستهلك سكانه طاقة تقدر بعشرات أو مئات المرات أكثر من استهلاك سكان البلدان النامية.

على سبيل المثال، يبلغ استهلاك الكهرباء لكل فرد في الولايات المتحدة 11840 كيلووات/ساعة سنويا. في السودان 273 (43 مرة أقل)، في جمهورية الكونغو الديمقراطية 83 (142 مرة أقل). والوضع مشابه في أنواع الطاقة الأخرى.

ومع ذلك، فإن الصين والهند وغيرهما من البلدان النامية تلحقان تدريجيا بالغرب في التطور التكنولوجي والاقتصادي، وتشكلان مليارات أخرى من مستهلكي الطاقة.

في الوقت نفسه، لا يكسب الغرب ما يكفي للحفاظ على مستوى معيشته المرتفع، لهذا فإن الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة هي مظهر من مظاهر عدم قدرة النظام على الاستمرار، كما أنه لا يمكن الحفاظ على مستوى معيشة الغرب سوى بالقوة.

وقد أدرك أنصار العولمة، أسياد الاقتصاد العالمي، هذه الحقيقة جيدا منذ عقود.

وكل ما نراه من فرض هستيريا مثليي الجنس ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسيا LGBT، وطرح غذاء من الحشرات، و"الطاقة الخضراء" غير المتحققة اقتصاديا، وربما حتى الحرب النووية بين الأنغلوساكونيين وروسيا والصين، كل هذه ليست سوى طرق لمكافحة كارثة الموارد التي توشك على الانتهاء، بالحد من عدد سكان الكوكب، وفرض قيود غير طوعية على الاستهلاك.

لا أعرف ما إذا كان حكام ممالك النفط في الخليج يشعرون بأنهم حملان في أرض خالية تضم عشرات النمور؟ ولأن ذلك تحديدا هو الوضع، فإن شراسة الصراع على الموارد بين الغرب والصين والهند أكبر مستهلكي الطاقة خلال العقود وربما القرون القادمة، لن يزداد إلا شراسة.

ومع ذلك، فإن هناك في الساحة، بالإضافة إلى الحملان والنمور، فيل يأكل العشب (ولديه من نفطه الخاص الكثير)، ولا يهتم بمهاجمة الحملان من أجل الغذاء، هذا الفيل هو روسيا. وفي المستقبل يمكن أن تصبح روسيا المصدر الرئيسي للأمن في العالم.

لذا تواجه المملكة العربية السعودية، شأنها في ذلك شأن دول الخليج، خيارا سيحدد مستقبلها خلال القرن القادم، ولا يدور الحديث هنا عن تغيير/اختيار شريك كبير.

يدور الحديث عن اختيار بين نماذج العلاقة:

فإما أن تصبح هذه الدول مصدر المواد الخام لاقتصاد الشريك الأكبر، فتمنحه الجزء الرئيسي أو جزءا كبيرا من الأرباح. ذلك طريق أسهل ولكن بربح أقل.

أو إدارة الموارد التي لا تقدر بثمن على نحو مستقل، وهذا طريق أكثر صعوبة من الناحية الأمنية، إلا أنه يعظم الأرباح بشكل كبير.

أي أن الاختيار هنا بين التحالف مع أحد مستهلكي الطاقة وبين تشكيل تحالف عسكري لمنتجي الطاقة. حتى الآن ما نراه هو محاولات للمناورة دون وجود خيار واضح.

فالتعاون مع موسكو، وتطبيع العلاقات مع إيران، والانضمام إلى "بريكس"، هو حركة نحو الخيار الثاني. إلا أن هذا أمر لم تقدم عليه المملكة العربية السعودية من قبل، وليس لديها خبرة أو يقين من إمكانية تحقيقه.

لم تحسم المملكة أمرها بعد، لكني أعتقد أن القرار سيتخذ خلال العامين المقبلين.

الشارع الثقافي

العدد 372 - من الثلاثاء 5 إلى الاثنين 11 سبتمبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

المثقفون التونسيون والكسكسي بالعصبان والملوخية والكفتاجي والبلابي و...

على هامش الكتاب الموسوعة لـ Louis Massignon

لماذا صلبوك يا حلّاج؟

بقلم : نجيب البكوشي

وقفة

إصلاح المنظومة التعليميّة في تونس: متى، ومن، وكيف؟

بقلم : صلاح الدّين العامري

حوار العدد

حوار مع الروائية الفلسطينية أسماء ناصر أبو عيّاش :

الكتابة الإبداعية ليست قراراً أو كبسة زر وإنما هي فعل إبداعي يؤدي رسالة

وقفة

إصلاح المنظومة التعليميّة في تونس: متى، ومن، وكيف؟

صلاح الدّين العامري - أستاذ جامعي

لم نطرح السؤال لماذا نحتاج إلى إصلاح المنظومة التعليميّة؟ في العنوان لأنّ التونسيين جميعا على وعي بأنّ وضع المنظومة التعليمية يترنّح ولم يعد يستجيب لطموحات التلميذ والأسرة، ولا يحقق الأهداف المرجوّة للمجتمع، وأنّ آليات المنظومة الحاليّة صارت تشتغل عكسيّا بعد أن اعتلاها الوهن وفقدت صلوحيتها بسبب المتغيّرات السريعة في العالم وركودها في زمن التجدّد المستمرّ، فبدل البحث عن تنوير العقول والارتقاء بالسلوك والمعارف وإنتاج الكفاءات والنهوض بمجالات الحياة، صرنا نتحدّث - في علاقة بمدارسنا- عن الجريمة والانتحار والمخدرات وسوء السلوك والعنف والانقطاع المبكّر عن التعليم والرغبة الجماعيّة في الهجرة والاعتداء على المؤسسات التعليميّة وترذيل صورة المدرس وتجريمه وجرّه إلى الأخطاء بعد أن كان مثالا ونموذجا.

ويمكن أن نرصد ملامح هذه الأزمة في تقارير بعض المؤسسات الدوليّة المختصّة مثل تقرير «مُنظمّة التّعاون والنموّ الاقتصادي OCDE » لسنة 2012. واحتلّت فيه المنظومة التربوية التونسية المرتبة الـ60 من مجموع 65 منظومة تعليميّة شملتها الدّراسة المتعلقة بـ«البرنامج الدّولي لمتابعة الإضافة المعرفية عند التلاميذ». وتقرير منظمة PISA الهادف إلى تحديد كفاءة التّلميذ في عرض المعلومات والمعارف التي تلقاها في موادّ محدّدة مثل الرياضيات والعلوم والتعبير الكتابي، والوقوف عند قدرته على توظيف ما استوعبه من معارف في إيجاد حلول لوضعيات وإشكاليات غير معهودة لديه، ولها علاقة بمحيط المؤسسة التّعليمية. ويعادل المستوى العام للتلميذ التونسي في سنّ 15 مستوى تلاميذ في سنّ 13 ببلدان «منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية»، أي بتأخر سنتين اثنتين، ومعادلة المستوى العامّ لتلاميذ في سنّ 9 من تلاميذة منظومة «شنغاي» وهي أكثر منظومات التّعليم تميزا في العالم، أي بتأخّر مريب وصل إلى 6 سنوات. وجاء في تقرير البنك الدولي لسنة 2020 أنّ الطفل التونسي يفقد حوالي 48 بالمائة من قدرته على الإنتاج في نهاية مساره الدّراسي مقارنة بما هو قادر عليه لو تلقى تعليما جيدا والرّعاية الصحيّة الضروريّة.

بدأت المدرسة العموميّة تتأخّر وتتقهقر لصالح المؤسسات التعليميّة الخاصّة أمام الجميع وبمساهمة المتداخلين في الشأن التعليمي، والغريب أن الدولة لا تبدي اهتماما حقيقيّا وعمليّا للتعامل مع الوضع المأزوم، بل تتهمها الأطراف المهتمّة بالشأن التعليمي بأنّها تدفع إليه بشكل ما، من أجل إنهاء المنظومة العمومية المكلفة ماديّا والمعرقلة والمهددة لسلطتها (نقابات التعليم) سياسيّا، وبأنّ السياسيين المتعاقبين صاروا مقتنعين بضرورة إنهاء هذه العقبة بقطع النظر عن الكلفة والنتيجة، وقد يكون الأمر استجابة لضغوطات خارجيّة تمليها الصناديق المالية المتحكمة في في سياسة الدّول المُقترضة، وهي فرضيات تحتاج إلى الإثبات في ظل غياب الحجة الماديّة. وهذا ما يجعلنا نتعامل مع إعلانات النّوايا لإنجاز إصلاح تربوي في تونس باعتبارها مجرّد جمل إنشائيّة موجهة للاستهلاك الدّاخلي وتسكين لحالة القلق التي كنّا بصدد عرضها.

رغم تلكّؤ الدولة وهروبها إلى الإمام في مواجهة سؤال إصلاح المنظومة التعليميّة بتتالي تغيير وزراء التربية وإعلانات النوايا المتضاربة والناسخة لبعضها بالمعنى الفقهي، فإنّنا سنظل نطرح السؤال متى يتم الشروع في إصلاح المنظومة التعليميّة؟ وسنستمرّ في طرح هذا السؤال والمطالبة بتنفيذه باعتبارنا أبناء هذا القطاع الواعين بدوره وخطورته بالمعنيين السلبي والإيجابي، وإيمانا منّا بأنّ تجاوز عمليات الجَلْد المرَضِيّة الواسعة التي نمارسها ضدّ الدولة ومؤسساتها وضدّ بعضنا وضدّ أنفسنا، بسبب ما نعتبره فسادا وعنفا وانحطاطا سلوكيا وبيروقراطيّة إداريّة وتأخّرا حضاريا عن شعوب كانت تعتبرنا نماذج. لا يمكن أن نعالج هذه المطبّات والنكسات والانكسارات إلاّ بصناعة منظومة تعليميّة جديدة تبني عقولا متصالحة مع ذاتها ومنفتحة على الواقع وتغييراته المتسارعة. ونتوجه بسؤال متى؟ ليس إلى الدولة فحسب، باعتبارها مالكة زمام المبادرة وضامنة تنفيذها بالإشراف المباشر عليها تقنيّا وماديّا، بل لأهل القطاع أيضا، ونخص هنا نقابات التعليم الثلاث التي تخوض صراعات مستمرّة مع وزارات الإشراف خاصّة بعد 2011، من أجل تحسين وضع المربّي ماديّا وهو أمر مشروع ومطلبّ ملحّ في ظل الوضع الاقتصادي الصعب، وفي المقابل لم تبدِ هذه الهياكل جديّة في المطالبة بإصلاح المنظومة التعليميّة، ولم تجعلها هدفا نضاليّا، بل تقع في أخطاء تواصليّة منها الربط بين تحسين الوضع المادي للمدرّس وضمان تحسين مردودية المنظومة التعليميّة. بل نجد بعض قادتها ينسجمون مع توجهات الدولة السياسية المتلكئة والمتملّصة والمناورة والمتجاهلة لمسألة الإصلاح، ويتقاطعون (بقصد أو بغير قصد) مع أباطرة التعليم الخاص وأثرياء الحرب على المدرسة العموميّة. وإن كان اللوم كبيرا على تهاون نقابات التعليم وتقصيرها وتواطئها بشكل ما، فإنّنا نجعله أشدّ على المدرّسين الذين ينصاعون للقرارات النضاليّة للنقابات، ولا يناقشون المسقط عليهم من أهداف وتحرّكات، واكتفائهم بالوشوشات هنا وهناك بشكل محدود ومعزول، وهم أكثر الفاعلين في القطاع وعيا ودراية وإحاطة بدرجة وهن المنظومة التعليميّة وعيوبها ووجوه الخلل فيها والحاجة الاستعجاليّة إلى علاجها.

تنقلنا هذه المعطيات إلى السؤال الثاني: من يقوم بعمليّة إصلاح المنظومة التعليميّة اليوم؟. إذا فهمنا سياسة الدولة نفهم ببساطة ويُسر أنّ السلطة السياسيّة هي من تحتكر عمليّة الإصلاح ضمن رؤية غير واقعيّة بالمرّة. وهذا خطأ فادح ومُكلف في الآن ذاته، لأنّ أصحاب المكاتب والفخامة المديريّة لا يمكن أن يفيدوا إلا من زاوية واحدة ضمن الأطراف الأربعة التي سنحدّدها، وستكون مقاربتهم محدودة إن حصروا عملية الإصلاح في مكاتبهم وحواسيبهم واجتهاداتهم وانطباعاتهم واعتمادهم على ما تناهى إلى مسامعهم من ثقاة أو مؤسسة أو جهة. وبسبب هذه السياسة فشلت عمليات الإصلاح السّابقة. نعتقد أنّ لكلّ مرض مختص يعالجه، ونقدّر أن المختصّين المؤهّلين لتشخيص مرض المنظومة التعليميّة أربعة أطراف دون غيرهم، وهم المدرّسون والتلاميذ والإطار الإداري والأولياء. قصرنا التشخيص على هذه الأطراف الأربعة لمواكبتها تفاصيل العمليّة التعليميّة منذ مرحلة التحضيري إلى زمن التخرج، وكل يعلم من موقعه ويتكامل مع الطرف الأخر في تقديم صورة دقيقة وشاملة لحال التعليم في تونس، بل إن البعض يتقلبّ بين هذه المواقع تزامنا أو تتاليا. فالمدرّس يمكن أن يكون وليّا، والتلميذ يمكن أن يكون الثلاثة الآخرين، فينطلق تلميذا ثم يصير مدرّسا ثم وليّا. وإذا تفكرنا في توسيع دائرة المشخّصين لمرض المنظومة التعليميّة لتشمل تخصّصات أخرى وهو أمر مقبول، نستحضر أنّ الوليّ يمكن أن يكون فلاّحا وعاملا وطبيبا ورجل قانون وعالم نفس وعالم اجتماع وخبير تربوي وغيرها من التخصصات المجاورة والمتداخلة في العملية التعليمية، والعالمة بتفاصيل سلبياتها وإيجابياتها، والقادرة على التشخيص من موقعها وثقافتها وتجربتها، وهذا رصيد يمكن البناء عليه في محاول فهم واقع المنظومة التعليميّة وتشخيص مواطن الضعف والخلل فيها

وقفة

بموضوعيّة ودقّة وشموليّة.

يجرّنا تدقيق قائمة المؤهلين لتشخيص وضعية المنظومة التعليميّة الحاليّة إلى السؤال الثالث كيف نقوم بعمليّة الإصلاح؟ نحتاج إلى ثلاثة مراحل من أجل أن تكون العمليّة ناجحة وناجعة وناجزة. وتكون المرحلة الأولى مرحلة التشخيص، وذلك بتحديد مجموعة من الأسئلة الدقيقة والموجهة للأطراف الأربعة التي حدّدناها في السؤال السابق، وهم المدرّسون والتلاميذ والإداريون والأولياء. ولا نرى موجبا لاعتراض النقابات في المستويين الأساسي والثانوي على حضور الأولياء في أي موقع عند معالجة الوضع التعليمي. فالولي شريك أساسي في العمليّة التعليميّة ماديّا ووجدانيّا، وكيف يسمح المدرّس/الولي لنفسه بالمشاركة بصفتين في تقرير مصير الرأسمال البشري ومحور العمليّة التربويّة، بصفة المدرّس وصفة الولي، ويستكثر ذلك على غيره وينكره بحجج غير منطقيّة، في وقت يمكن أن تكون صفة هذا الولي أو ذاك مفيدة للتشخيص والتدقيق والإفادة والإنجاز في إطار إعادة تحيين دور الأسرة في تربية النشء. وتمكن معالجة هذه المخاوف من خلال تنظيم المواقع والأدوار وتحديدها بما يدعم ولا يعرقل.

ونقترح في هذا الإطار التخلّي عن فكرة الاستفتاء الالكتروني غير واضح المعالم والأهداف، والتوجه مباشرة بالأسئلة إلى الأطراف المؤهلة لتشخيص الوضعية التعليمية في المدرسة التونسيّة وهي أسئلة قابلة للإضافة والتعديل وحتى الإلغاء إن لزم الأمر. ويمكن أن نوجّه للمدرّس عن الصعوبات التي تواجهها في إنجاز دروسه، وعن العوامل التي تصنع الفارق بين تلميذ ناجح وتلميذ فاشل. ويمكن أن نسأل التلميذ عن الأسباب التي تنفّره من المدرسة، وعن ميله لموادّ ونفوره من أخرى، وما الذي يجعله يحب المدرسة والمدرّس؟ ويمكن أن نسأل الإداري عن أسباب العنف المدرسي والتسيّب والانقطاع، ويمكن أن نسأل الأولياء عن أسباب نجاح أبنائهم أو فشلهم وعن الصعوبات التي يواجهونها معهم وعن تجاربهم في تجاوز بعض الصعوبات وتحسين النتائج، وغير ذلك من الأسئلة التي يمكن أن يعدّها مختصون. وتنقلنا نتائج هذه الاستشارة إلى المرحلة الثانية من كيفيّة الإصلاح، وفي هذه المرحلة تمكن توسعة قاعدة المتداخلين في المشروع الإصلاحي وهم الخبراء أساسا من مجالات عدّة، ويمكن تحيين قائمة الخبراء كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، وومن الفاعلين الرئيسيين خبراء التربية والتعليم والمختصّون في علم النفس وعلم الاجتماع والمختصون في الأنشطة الثقافيّة والرياضيّة والتكنولوجيّة وغيرها لتحديد معالم المدرسة التونسيّة وطبيعة المتعلّم الذي نريده أن يكون مواطنا ومسؤولا من أيّ موقع في الدولة والمؤسسة والمجتمع. ويمكن أن يكون السياسي مراقبا ومساهما في صياغة هذا المشروع الإصلاحي من خلال ممثلين بمواصفات العناصر الفاعلة التي عددناها سابقا، مع الحرص على عدم التسليم للسياسي برسم السياسات التعليميّة والإيديولوجيا الثقافيّة الخاصة به أو بحزبه تحت أي ظرف، لأنّ السياسات تستمر باستمرار مرجعياتها السياسيّة أو الجهة التي تقف خلفها، وإذا أخذنا في الاعتبار العمليّة الديمقراطيّة وأحكامها ونتائجها، فمن غير المقبول أن تتغيّر السياسات التعليميّة والثقافية بمجرّد تغير الشخصيات السياسيّة أو الأحزاب والمرجعيات الفكريّة، بل يجب أن توجد ضمانات لاستمراريّة المنوال التعليمي والثقافي مهما تغير المعطى السياسي، ولن يتحقق ذلك إلاّ بوجود قانون ينظّم الحياة المدرسيّة والجامعيّة، وأن يُعامل هذا القانون مثلما تعامل الدّساتير، وحتى أكثر خصوصيّة إذا كان رجل السياسة حريصا على قيادة وطن وليس قبيلة أو حزب أو ذات متهوّرة. وعند تحديد النماذج والمقترحات ودعم النظري بالتطبيقي من خلال تحديد المسائل التدريسية ومصادرها ومراجعها الدقيقة والواضحة وتنظيم زمنها، يأتي دور الدولة في حماية المشروع والعمل على تطبيقه بكل أمانة ومسؤوليّة، وتتكثّف مسؤوليّة الدولة خاصة في ضمان الموارد الماديّة اللازمة والأساسيّة تقنيّا وبشريا، ومن واجبها دعم السياسات التعليميّة بوسائل تعليميّة أخرى منها الإعلام الذي اشتغل كثيرا منذ عقد من الزمن على محاربة المنظومة التعليميّة وهرسلتها بإنتاج برامج ومحتويات هابطة، واستهداف المؤسسة التعليمية ومكوناتها لصالح فئات معيّنة ومُمَوِّلة لأهداف لا نعلم عنها الكثير. نؤكّد دور الإعلام استنادا إلى تأثيرات الثورة التكنولوجيّة بواسائطها المختلفة، وأنه يمكن توظيف هذا التأثير بشكل إيجابي إذا جعلنا وسائط التواصل الرسميّة والمتحكّم فيها على اللأقل في صناعة محتوى يتناغم مع أهداف المدرسة التونسيّة ويعاضدها. ويكفي أن نذكّر بأنّ 70% من محتويات الوسيط التكنولوجي Tiktok في الصّين تتعلّق بالمواد التعليميّة، وهذا ما جعل الخبراء الغربيين يستندون إلى هذا المعطى للتكهّن بسيطرة الصينيين على العالم في العقود القادمة

صورة تتحدّث

الجحفة القرقنيّة...

من التقاليد التي مازالت إلى اليوم إيصال العروس من بيت والدها إلى بيت زوجها في "الجحفة "

والجحفة عبارة عن هودج مربع يصنع من سعف النّخيل والحبال وتزيّن بأبهى الثياب، وتوضع فوق الجمل. وفي هذه الجحفة تحمل المرأة إلى دار زوجها. ثم توضع فوق سطح منزل للزوج.

ومن عادات أهل قرقنة إبقاء الجحفة فوق سطح المنزل إلى حين إنجاب المولود الأول. وفي ذلك اليوم يقع إنزالها وتستعمل حطبا لتهيئة (الحوار: مشروب) بمناسبة هذا المولود الجديد. فإذا بقيت فوق سطح الدار فهي علامة على عقم أحد الزوجين.

المثقفون التونسيون والكسكسي بالعصبان والملوخية والكفتاجي واللبلابي و...

عواطف البلدي

يقول المثقف الراحل عثمان الكعّاك «عار على أمة أن تفتخر بغير ثقافتها وحرام عليها ان تطلب موقعها من الشمس إذا كانت خالية من الثقافة الوطنية» وبما أن المطبخ التونسي جزء من هذه الثقافة الوطنية بل هو اصل هويتها وجذعها الثابت الذي كان ولا زال محّل فخر واهتمام وانبهار وعشق من قبل العامة والخاصة وخاصة الخاصة أيضا من اهل تونس ونخبها يحتفون به أيّما احتفاء بمناسبة ومن دون مناسبة لا سيّما أطباق «الكسكسي» و«الملوخية» و«اللبلابي» و«المرمز» و«العجّة» و«البريك» وغيرها مما لذّ وطاب.

«الشارع المغاربي» طرح سؤال «أية علاقة تربط المثقّف بالأكلات التونسية؟» فكان التقرير التالي:

المطبخ التونسي بمختلف فنونه ورمزياته وخصوصياته مجال درس خصيب، ومصادره مَعين لا ينضب. عُني به كبار المؤرخين والمستشرقين والباحثين في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وأيضا المثقفين الذين تستهويهم اطباق بعينها دون سواها...فالمثقف هو بالأساس تونسي نشأ وترعرع ببيت العائلة أو «الدار الكبيرة» التي تحلو بها «اللمّة» في العطل والأعياد والمناسبات وأيام الآحاد. وقد تأكد هذا الاهتمام والشغف والتفنن في الاكل طهيا وتذوّقا وفق طقوس معيّنة. وللتونسي بصفة عامة عادات غذائية تختلف باختلاف الفصول والجغرافيا.

الباحث في التراث الحبيب بن يونس لاحظ أن طبق الكسكسي بأنواعه يعتبر القاعدة الأساسية بالنسبة للتونسيين أما في فصل الشتاء يتناغم البلد مع اللبلابي بكل فنونه حيث يقبل التونسي عليه بنهم شديد لأنه يقيهم البرد. بينما يقبل الموظف بأسواق المدينة ظهرا على اكل الكفتاجي.

وتختلف عادات التونسي خلال فصل الصيف حيث يكثر الطلب كل عشيّة على الفريكاسي والبنبلوني . وأضاف بن يونس «لا ننسى طبعا أصحاب الجيوب الناعمة شتاء الذين يقبلون على السحلب مع رشّة جلجلان بينما يخّفف حر الصيف بكأس عصير الليمون مع البرج المعتاد».

اليوم ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي أصبح المثقف ينشر صورا مختلفة من طعامه وشرابه تمثل جهته او تستحضر طفولته وشبابه أيام كان طالبا يتقاسم مع زميله غرفة بأحد المبيتات الجامعية.. فرأينا صورا لأشهى أطباق الكسكسي القرقني بالقرنيط على حساب الدكتورة أم الزين بن شيخة وقرأنا تدوينات الباحث في الحضارة العربية نادر الحمامي حول طبق العجّة أو الكفتاجي بصباط الدزيري أو المحمّصة بالعصبان بمنزل جدّته وذكرياته معها.. هناك أيضا من يصل به الامر الى التندّر لكثرة اكله وتلذذه ببعض الاصناف على غرار المفكر عبيد الخليفي عبر تدوينة نشرها سابقا تحت عنوان « بُوتِلِيس.. جاك..» كتب في بدايتها «رطل دقْلة وطاس لبن، ثلاثة كعبات بريك، وشقالة شربة فريك فيها ربع دجاجة، قْصعة كسكسي فيه لحمة بورطل متاع مْرازقْة، وتكمّل عليهم كعبتين مخارق ورطل فراز وكاس تاي للهضم... وتُرقد غفوة...». أو ثمّة من تستحضر نصائح الأمهات والجدّات حول قيمة المطبخ التونسي وضرورة التشبث بعاداته وعوائده من باب الحنين الى لمّة العائلة كالدكتورة نائلة السليني التي تكتب من حين لآخر عادة غذائية من عادات والدتها المرحومة «قميرة» على غرار تدوينة نشرتها سنة 2018 بمناسبة رأس السنة الهجرية جاء في جزء منها « تعرفوش شنوة محيرني اليوم؟ مع العلم أنّي أنا اللي خلقت هالحيرة ثمّاشي ما نسترجع أيامي مع أمّي وقتلّي كانت أيّام راس العام تطلبني في التلفون وتنبّهني: رد بالك اطيّب بالحمص كسكسي راس العام «الله لا تحمصنا».. رد بالك تحط البصل أو الثوم إيجي العام «منتن حاشاكم» رد بالك تحط الطماطم « إيجي العام قارص».. وكنت في كلّ مرّة تنبّهني فيها نصرخ ونعيط: يزّيك بلا عوايد.. ومع ذلك كانت تحرص باش كل شي يطيب في داري بالعُرف اللي تراه هي صحيح.. واليوم وبعد ستة سنين من غيابها عليّ نلقى روحي نستدعي في تنبيهها ونلقى صوت آخر داخلي يقول عوايد.. لكنّها صارت عوايد حلوّة لأنّها تخلّي قميرة عايشة معايا.. توحشتك وتوحشت نصايحك وتوحشت خصوماتنا.. وعلى هذاكا أنا اليوم قميرة وباش نعمل باللي تحبّو قميرة.. لأنّو ما فيهش حتى مضرّة.. ومن اليوم إلى يوم الأربعاء ما نيش باش نطيب بالحمص.. باهيشي هكّا؟ وغدوة كسكسي بالقديد والاثنين الملوخية.. ونزيدك يا قميرة قطعت الحلالم وباش نطيبها نهار الثلاثاء باش يجي عام جاري ومعاه الحوت باش يجيني الرزق...». طبعا هذا على سبيل الذكر لا الحصر.

ويتّضح ممّا سبق أن الثقافة والفكر والبرج العاجي والاهتمام بأمهات الكتب في الفلسفة والدين والحضارة والادب والشعر لا تُنسي المثقف عاداته الغذائية التي هي جزء من هذه الثقافة ولا تنسيه معدته وما يزيّن لها من شهوات مما لذّ وطاب.. بل ربّما ينجح المثقّف المتمرّس لغة وخطَابة في التفنن في الاكل وفي وصفه بأجمل العبارات أكثر من شخص عادي كل علاقته بالمطبخ الاكل والشراب فقط.. وربّما يكثر ابداع ذلك المثقف ويزداد عمله جودة بعد الاكل عملا بالمثل الشعبي «تشبع الكرش يغنّي الراس» بل ثمة

من بينهم من ينفق الكثير في سبيل اكل لذيذ ومأدبة فاخرة أخذا بمثلنا الشعبي «إللّي كْلا وحلّى كيف إللّي بنى وعلّى».. طرحنا السؤال على بعض مثقفينا حول علاقتهم بالمطبخ التونسي فكانت الأجوبة كالتالي:

الكاتب كمال العيّادي (الكينغ)

عشقي للمطبخ التونسيّ، لا رِدّة معه أو فيهِ...!

خرجتُ من تونس شابًا بهِ جوعٌ شديد لمأدبة المعارف والآداب الإنسانيّة. وكنتُ ألتهمُ كلّ ما يقع بين يدي من فُتاتِ المطبخ الشّرقيّ والغربيّ، فضربتُ من أجل ذلك في فيافي الصّقيع وصحاري الثلج، بين وحشة الإتحاد السّوفياتي السابق، للدّراسة الجامعيّة الثّانيّة وغابة الخبز المُتجمّد بأوروبا، وتحديدا بجنوب ألمانيا الصّارمة، منبع الفلسفات الماديّة والعقلانيّة المتجهّمة.... ثمّ عشتُ في مصر عشر سنوات في لُجّة الثورة والتّحوّلات الإجتماعيّة والسيّاسيّة والثقافيّة الكبرى... وأظنّ أنّني أشبعتُ بعض جوعي المعرفيّ من مطابخ الأرض. فلا بدّ وأنّ الأمر مضى على ذلك النّحو بشكلٍ أو بآخر....

وقد عُرف عنّي أنّني أستلهم وأستحضر وطني كثيرا في كتاباتي، وخاصّة مدينة القيروان، التي كتبت وأكتب عنها ومنها ولها منذ أكثر من أربعين سنة دون استراحة محارب أو اعتكاف عاشق ولكنّ القيروان ليست حجارة ومقابر وغبار. القيروان أهل وذكريات ومطبخ ودار... فحين أستحضر القيروان، تحضرني ألوان وروائح مؤونة وطعام ومأدبة عامرة، بأصناف الأكلات المفضّلة والقريبة إلى قلبي. فذاكرتي، قصاع ملوّنة من كلّ أصناف الكُسكسي، يعجّ ويمور بطبقات ومراتب من الخضار عليها قطع من اللّحم الطريّ والمرق الفوّار.... ضيعة في حجم طبق مليء بالخضار... وروح خروف هائم ترك فخذه أو رقبته عند حوض الجزر واللفت والخرشف والحمّص والقرع الأحمر وكلب الفلفل الأخضر البقلوطيّ الحار، يحرس ضفاف البحيرة وكأنّ بين الضّفتين ثأر قديم. ثأر بطن جائع وعينان تكادان تذرفان الدّمع شوقا لهذا اللّقاء البديع الذي يذبل فيه شوك القاموس، ويتراجع ريح القريحة الشّعريّة خطوتان، لكي تظهر الحقيقة عاويّة وعاريّة. فلا تبدو من بهجة الكون غير ملعقة كبيرة وقطعة من الخروف تنتصب راية للوطن. واذا النّشيد الرّسميّ صوت مضغٍ باستمتاع ورحي وغرغرة بطن تصيح: - هلْ من مَزيد؟؟ وبعيدا عن الفذلكة اللّغويّة، فالحنين للمطبخ التونسي، لا شأن لهُ بالمرح أو الفذلكة، فهو بالنّسبة للمغترب والبعيد عن تونس، جدّ وحنين يُدمي، وقلب يرتجف رعدة ومعدة تكاد تنوحُ. ونفس تشتكي لشقيقتها الرّوح. وصمت كالنّشيج. وكتمان كالبوْحِ... روائح كالصّوت، يسُوطُ الحواسِ جميعها، فتوسوسُ الذّاكرة للعين والأذن والبُطينْ. فإذا هيّ قصيدة حبرها الرّيق، وريشتها اللّسان وهي أهزوجة في منتهى البيان وأعلى مراتب بلاغة الإنسان المحروم من رحمة النّسيان....

ولقد جرّبت مطابخ الأرض جميعها، أو كدتُ، من الهند للسّنغِ. ومن أفخر مطاعم لاس فيغاس. إلى طواجن شوارع فاسْ، ومن زيوريخ إلى ميُونيخ. مرورا بالبلدان السلافيّة كلّها والملدافيّة والجرمانيّة والرّومانيّة واليونانيّة. وحرثت الأرض طولا وعرضا.. ولكن أبدًا، أبدًا، لمْ يستطعم ذاكرتي ويُؤجّج حنينها، غير المطبخ التونسي . الملوخيّة التّونسيّة الملكيّة. والسلاطة المشويّة. والعصبان بالكبد والإلية والخضار والرّيّة (الرّئة) والمرمز في طبق الفخّار والسّلطانيّة. والمقلي بالباطاطا المقليّة والمحمّصة بالقدّيد، في الليالي الشّتويّة والكفتاجي البديع، واللبلابي صديق الطفولة ونديم الشباب وعشير الفقراء وأيتام الله في أرضه المُغرية اللّعوب والهرقمة، آه يا قلبي والله خِفتُ لو زدتُ سطرًا لوقع قلمي شهيدًا، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله وأنّ المطبخ التونسي، حبيبنا وحبيب الله...

الأكاديمية منجية السوايحي

السلَطة المشوية والبريك والكفتاجي وعجة المخ والصحن التونسي أكلات تنفرد بها تونس

تحدّد الأطباق التونسية المتنوعة من أصناف المأكولات البنية الثقافية في هذا الفن، تلك البنية التي تعود في أصالتها وهويتها إلى مزيج من الحضارات مرت على البلاد التونسية، فبلادنا تزخر بتراث بهذه الأطباق، التي تجاوز استعمالها التغذية لتصبح رموزا إيجابية لحياتهم تبث التفاؤل مثل طبخ الملوخية في رأس السنة الهجرية بأمل أن تكون السنة الجديدة خضراء ، سنة خير ولا غرابة في ذلك لأن تونس تنعت «بتونس الخضراء»، ولذلك تصرّ المرأة على طبخها رغم صعوبة ذلك، لأنها تأخذ وقتا طويلا يتجاوز السبع ساعات - أتكلم هنا عن الطبخ التقليدي على نار هادئة.

أما الكسكسي التونسي فهو سيد الأكلات عندنا، يُطبخ في رأس السنة الهجرية أيضا وتقول النساء «نقفل العام القديم، ونستقبل العام الجديد»، ويحضر باستمرار في الأفراح ولاسيما الأعراس ، ونطبخه مرة في الأسبوع، وهو أنواع كثيرة حسب الجهات الجغرافية، وأنا من النساء اللاتي تحافظن على هذه العادة مع التفنّن في طبخه ، ولا نزال نحافظ على عادة «العولة» في فصل الصيف ، ونذكر أيضا بالسلَطة المشوية والبريك والكفتاجي وعجة المخ والصحن التونسي، وغيرها من الأكلات التونسية التي تنفرد بها تونس حقا، والمكان المفضل عند أغلب الأسر التونسية لطهي وأكل الأطعمة التقليدية هو البيت، وبالذات الكسكسي والملوخية.

الشاعر محمّد النجّار

طقوس الكسكسي فريضة على كلّ طاعم ويمكن أن نضيف إليها بعض الشعائر الأخرى من باب الاستزادة من النوافل

لا شكّ أن العادات الغذائيّة تدخل، في نسبة منها، في باب الهويّة. فترى التونسيّ يأكل صحن كفتاجي مستمتعا بينما قد ينبذه الصينيّ ولا يجد فيه طعما لذيذا، وبالمقابل ترى هذا الصينيّ يستمتع بأكل خفّاش مشويّ والذي سيعافه التونسيّ.

فالعادات الغذائيّة، بغضّ النظر عن الذوق والطعم، مرتبطة ارتباطا وثيقا بهويّة الإنسان وخاصة بطفولته من حيث أنّها تؤسّس الذاكرة وتتجذّر في اللاوعي، فنحن في النهاية نتذوّق ونأكل بذاكرتنا، فتجتمع، ولو دون وعي، الروائح والأصوات والمشاهد في صحن كسكسي تونسيّ أصيل مزخرف بالبطاطا والجزر والقرع والحمص وتعتلي العرش فوقه قطع لحم خروف، فهذا ممّا تهفو إليه أنفس التونسيين وتحنّ إليه أفئدتهم بلا شكّ.

فإذا وُضع هذا الطبق أمامك إيّاك أن تمدّ يدك وتأكل مباشرة، فهناك طقوس ينبغي اتباعها، أولا تمتّع ناظريك بفسيفساء الألوان، ثمّ تشتمّ الروائح المنبعثة من الصحن فقد تكون لكلّ رائحة ذكرى ولكلّ ذكرى قصّة ولكلّ قصّة حنين وحاول أن تستمع إلى حكاية الصحن التي قد يرويها لك وحدك. ثمّ وبعد أن تكون رأيت وشممت وسمعت تبقى الحاستان الأخيرتان، اللمس والتذوّق.

هذه هي طقوس الكسكسي الحقيقيّة وهي فريضة على كلّ طاعم ويمكن أن نضيف إليها بعض الشعائر الأخرى من باب الاستزادة من النوافل فنضيف إليه كأس لبن ثمّ نختم بقطعتين من الهندي وكأس شاي بالنعناع البريّ.

الفنانة التشكيلية ريم العياري

لا استطيع التعبير عن سعادتي القصوى ولهفتي عندما أتناول رأس الخروف

مثلما تعلمين اعيش في باريس وأزور تونس بمعدّل مرة أو مرتين في السنة. ولكن في ما يتعلّق بالمطبخ يمكنني القول إنني طباخة ماهرة جدا. ففي معظم الاوقات أعدُّ اصنافا تونسية لكن توجد اطباق لا أستطيع اعدادها بفرنسا لأن مادتها الأساسية ليست موجودة هناك مثل رأس الخروف وهو عشقي الازلي والنواصر بالعصبان وهي تلامس الروح اذا اكلتها إضافة الى اللبلابي بالهرقمة.. يا إلاهي لا أستطيع مقاومته وهو ممزوج بالتونة وبالبيض والموالح بجميع انواعها... وماذا اقول عن سلطان الاطباق والطاولة الكسكسي باللحم الذي اتقن طبخه جدّا. اطبخه كل يوم أحد وأقدّمه مع صحن الزيتون والعنب واللبن... كل من ذاق الكسكسي الذي اطبخ يقول لي انه لم يأكل الذ منه... وفي كل مرة أعود الى تونس يجب ولا بد ان اكل اول يوم طبق كفتاجي والبريك وثاني يوم اذهب مباشرة الى نهج جامع الزيتونة لأكل رأس الخروف المصلي. وثالث يوم نواصر بالعصبان واللبلابي اذا كنا في الشتاء. واذا احتاج الامر اكرر نفس الشيء لاكثر

من اسبوع. لا استطيع ان امنع نفسي من التعبير عن سعادتي القصوى ولهفتي عندما أتناول رأس الخروف وأصدر اصواتا مسترسلة مثل (مممم رائع لذيذ الخ). وطبعا عند عودتي لباريس املأ الحقيبة بما لذ وطاب من الأصناف التي ذكرت قدر الامكان.

زرت العالم وأكلت مئآت الاطباق ولم اتذوق اطيب من اكلنا بكل صراحة وبلا مبالغة. اكلنا التونسي أفضل اكل في العالم وبلا منازعة وبكل فخر.

الكاتب عيسى الجابلي

آكل كل شيء تقريبا ولكنني أحب الكسكسي بلحم الخروف خاصة لأنني من بئر الحفي

انا كأغلب التونسيين ممن يحبون الاكلات التقليدية ليست لي اكلات مخصوصة ارفضها. آكل كل شيء تقريبا ولكنني أحب الكسكسي بلحم الخروف خاصة لأنني من بئر الحفي المعروفة بهذا وكل الذين مرّوا بالطريق الوطنية ثلاثة يعرفون ذلك.

أحب الكسكسي في كل الاوقات وفي كل الفصول دون أن أفكّر في أصله أو في علاقته بالبلاد وتاريخها ولست مهجوسا بالأصالة ولا بالهوية لا بالحداثة ولا بغيرها من المفاهيم لذلك أُقبل عليه لأنه اكلة لذيذة استمتع بها. عندما كنت صغيرا كان أهل قريتي رحّال يتناولون اكلتين تقريبا هما المرق (الشكشوكة) والكسرة وزيت الزيتون في الفطور اما في العشاء فعادة ما نتناول الكسكسي المُعدّ في البيت من الالف الى الياء اي مذ كان سنبلة الى البيدر الى الرّحى الى الغربلة الى ان يستوي بالكسكاس فوق البرمة على الاثافي ولكن سرعان ما تسللت الينا المصانع اللعينة فوصلنا «كسكسي السوق» ثم اقبلت «المقارينُ واللوبيا والملوخية» وشتى اصناف المأكولات فصرنا ننوّع الاطباق. اما علاقتي بهذه الاكلات بوصفي «مثقفا» اعتقد ان الاكل في حد ذاته ثقافة. هو عنصر ثقافي تتعدد اسباب استقراره اكلة مفضلة لدى شعبا ما ومنها اليوم العامل الاقتصادي والاشهار.

المؤرخ محمد فوزي المستغانمي

اشتهي تناول المدفونة وأعشق «اللبلابي» عشقا مجنونا

من الأمثلة الشعبية الرائجة في المجتمع التونسي حول بعض الحريات التي يتمتع بها الفرد داخل المجتمع «كول على كيفك والبس على كيف الناس». فالأكل هو من المجالات التي يتمتع فيها الانسان بهامش من الحرية وان كانت حرية محكومة ببعض الضوابط منها الدينية ومنها المجتمعية فالأكل هو موروث ثقافي فإلى جانب المحرمات هناك تجذر الاكلات تاريخيا التي تعكس عمقا تاريخيا للمجتمع من بينها الكسكسي في تاريخ بلاد المغرب حيث تحول من أكلة إلى خصوصية تعطي لبلاد المغارب هويتها الغذائية. والاكل بصورة عامة قابل للانفتاح على الثقافات الأخرى، مثله مثل كل الظواهر الثقافية، فيمكننا التحول بسرعة من مطبخ مغاربي إلى مطبخ متوسطي إذا ما وسعنا نطاق المقارنة والتشابه والالتقاء لاسيما المقارنة بين شمال وجنوب المتوسط بل أن هناك أكلات تشابهت لكنها بتغير أحد مكوناتها تتغير تسميتها مثل الفرق بين «المدفونة» و«المورالية» ففي الأولى يتم الاعتماد على «الهرقمة» (سيقان البقر أو الغنم) وفي الثانية يتم استعمال اللحم المفروم في شكل كور.

كل شخص له حرية داخل هذا التراث الغذائي وفق اذواق تتحكم فيها لا فقط النكهة والمذاق وانما الذكريات والعلاقات وحميمية المجال فقد قال الشاعر «أحن على خبز أمي وقهوة أمي» فالخبر هنا والقهوة يكتسبان مكانتهما من ذكرى الام وكل عاشق لأكلة معينة لابد وله معها مخزون من المشاعر المستبطنة. ونفس التحليل يمكن تطبيقه على الاكلات التي ننبذها ولا نحبذ في بعض الحالات حتى الحديث عنها.

أنا شخصيا أميل الى قائمة من الاكلات التي اعتبرها محبذة واميل الى بعضها حسب المواسم فمنها من اشتاق الى استهلاكه أسبوعيا وهناك اكلات موسمية وهناك بلا ريب اكلات لا أملّها حتى وان تكررت يوميا.

هناك أكلات اشتهي تناولها مثل المدفونة لكن هذا الاستهلاك نادر بسبب دسامة الاكلة التي لا يجب استهلاكها بشكل متكرر وضرورة الاخذ بعين الاعتبار السن والصحة وهناك «الكسكسي» الذي استهلكه أسبوعيا يوم الاحد في شكل جماعي مع استضافة احد الاصحاب أو الاحباب هناك اكلة اعشقها عشقا مجنونا وهو «اللبلابي».

و«البلابي» رغم ثقله على المعدة لاسيما نتيجة عامل السن أجد نفسي ضعيفا أمام دعوة لتناوله رغم أنه أكلة شتوية بل بلغ بي الحال استهلاكه في الصيف ورغم شدة الحرارة ولا اتردد في وضع كل مكملاته من بيض مسلوق وزيت زيتون وكمية من التن والكبار وكأس من زيت الزيتون وصحن من المملّحات وفي الحقيقة لا أدري سبب هذا العشق الذي قد اجده في تلذذي لطعم الحمص لأني في الحقيقة اميل حتى في الحلويات الى استهلاك تلك التي تعتمد على الحمص مثل الغريبة وأفضلها على البقلاوة الأكثر حلاوة.

لا أدري لماذا أفضّل دعوة اصحابي على «صحفة لبلابي بالهرقمة» شتاء وصيفا قد يرى البعض في ذلك استهانة بالدعوة نتيجة اعتبارهم البلابي اكلة بسيطة وتافهة فتقييم الاكل في الحقيقة نسبي وشخصي ومرتبط كما اشرت سابقا إلى مجال الحرية التي يوفرها الاكل.

فُسحة لغويّة مع عبارةٍ عاميّةٍ شائعةٍ 18

فقرة «فسحة لغويّة مع عبارة شعبيّة» هي فقرة تأتي على العبارة من مختلف جوانبها، كأصل استعمالها وعلاقتها باللّغة الفصحى نحوًا وبلاغةً وما تكتسبه من معنى حسب المقام الّذي قيلت فيه. كلّ ذلك يرد بأسلوب طريف ظريف بعيدًا عن التّقعيد النّحويّ والتّنظير البلاغيّ أو الإطالة المُملّة، ليجد القارئُ نفسَه في فسحةٍ لغويّة جديرة بالاهتمام، يتذكّر خلالَها مقولةً شعبيّةً أو عبارةً متداولةً ويغوص أحيانا في بعض المدلولات دون أن يبتعد كثيرا عن شاطئ واقعه بكلّ تفاصيله ورهاناته.

"جاب الصّيد من وذنه"

هشام الهرّابي (كاتب)

هي عبارة متداولة بين العوامّ وقد تُسبَق باسم المفعول "محسوب" للتّعبير عن الاستهانة بما فعله الآخر عامّة.

نحويًّا:

لو أخضعنا هذه العبارة للفصيح مع مراعاة المعنى المقصود لكانت على الصيغ الآتية:

"كأنّه اقتادَ الأسدَ من أذنه"

"كما لو أنّه جاء ماسكًا الأسد من أذنه"

"وهل اقتاد الأسدَ من أذنه؟"

والقائمة تطول من الصيغ ولكنّها كلها تدور في فلك معنى واحد..

فلنختر المثال الأوّل ونحلّله:

- كأنّ: ناسخ حرفي
- الهاء: (اسم كأنّ) يعود على المتحدّث عنه.
- اقتاد الأسدَ من أذنه: خبر كأنّ.

وهي جملة اسميّة مركّبة.

صرفيًّا:

- جاب: فهل ماضٍ، أجوف واويّ، جذرُه [ج،و،ب]
- الصيد/ الأسد: الصّيد مفرد جمعُه صيودة على زِنَة فعولة. والأسد مفرد جمعُه أسُود وأُسْد وأسُد وآساد، وصيد اسم مأخوذ من فعل صاد يصيد صيدا وهو أحوف يائيّ، جذره [ص،ي،د]
- الأذن: من فعل أذِن يأذن، مهموز الألف جذره [ء،ذ،ن]

لغويًّا:

- جاب تعني جَلَب وجاء بِكذا أو اقتاده وأرغمَ على في سياق عبارتنا هذه، لأنّ المعنى الفصيح لجاب ليس هذا بالضّبط. فجاب القميصَ أي جعل له قميصا، وجاب البلاد طولا وعرضا أي قطعها سيرا، وجاب أقاصي البلاد بمعنى طافها وقطعها، وجابَ الخَبَرُ البلادَ بمعنى انتشر وجاب الصّخرَ بمعنى نقبها وخرقها..
- الصيد/ الأسد: وهو حيوان مفترس شديد الضراوة من فصيلة السّنوريّات. ملقّب بملك الغابة لشجاعته ومهابته.
- الأذن: وسيلة الكائن كي يسمع وهي حاسة من الحواس الخمس.

لسانيًّا:

- جاب: فعل اختزل به المتكلّم أفعالا أخرى مثل جلب أو استقدم أو أتى.. وقد أورده المتكلّم ساكن اللام، وهي سنّة درج عليها في نطقه لكل الكلمات.
- الصّيد هي تسمية الأسد في العامية. ويبدو أنّ المتكلّم يستثقل نطق الحركات، خاصّة إذا توالت الفتحة في اللفظة. كما أنّه استعاض عن حرف السين بحرف الصاد. وقد يعود السّبب الحقيقيّ لتسمية الأسد بالصّيد إلى أنّ هذا الحيوان عرف بكثرة صيده واستحالة أن يكون صَيْدًا لغيره، لذلك سمّاه العامّيُّ "صِيدًا" ناطقا إياه بكسر حرف الصّاد وجعل السّكون ميّتًا..

وقد أُعتُبِرَ كلُّ شخص شجاع صِيدًا إلى درجة الحديث عن "صيد بوقلادة" (أسد ذو قلادة) كناية على التميّز بالبطولة والشّجاعة والقيادة... وقد تُقال هذه العبارة استهزاءً من الشّخص لا مدحًا. وهذا يُحدّد عبر السّياق.

- من أذنه: من المعلوم أنّ عمليّة المَسك من الأذن لها دلالة واضحة وهي الاستصغار والاحتقار وفيها أيضًا معنيَا الإذلال والإهانة..

بلاغيًّا:

"محسوب، جاب الصيد من وذنه" عبارةٌ لم تُقَلْ لغاية الإخبار إطلاقا، بل قيلت لغاية الإنكار وتقزيم عمل الآخر مهما كان عظيما. والأمرُ منطقيّ جدًّا مادام قائلُه يوجّهه إلى عَدُوٍّ أو منافسٍ غير مرغوب فيه.. فمهما أنجز هذا العدوُّ لن يُرَى مُنجَزُه ذا قيمة، ولن يرقى إلى أن يُشاد به، بل سيظلّ عملا لا يُساوي شيئا أمام الرّهان الأكبر أو التّحدّي الأكبر وهو الإتيان بالأسد من أذنه.

إلى حدّ قياس العمل المنجز بجرّ الأسد من أذنه وهو أمر يُعدّ عند جمهور النّاس غايةً في الشّجاعة والإقدام والبأس أو قل هو عنده إعجازٌ يحاكي كلّ عمل إعجازيّ آخر. فأن يُهين إنسانٌ حيوانًا عُرِفَ بهيبتِه وشجاعتِه بين مختلف الحيوانات الأخرى المفترسة، بل أُعتبر هو ملكهم، هذا لَمِنْ أقصى الغايات والمرامي وأعسر الأمور وأشقّها. لذلك وُضِع كرهان أو كسقف أعلى مستحيل بلوغه لا سيما إذا كان المراهن عدوّ المتكلّم.. ولو تأمّل المستعملُ حوله وتأنّى لألفى هذه الغايةَ شبهَ المستحيلة ممكنةً ويسيرةً، إذ أنّ المُروِّض في السّيرك قادرٌ على فعل ذلك متى شاء دون أن يُشعر الأسدَ بالاحتقار ولا الاستنقاص من هيبته أمام بقيّة الحيوانات الّتي يصيدها أو المنافسة على عرش غابته. ولكن لو كان الأمر كما قلنا لَعَدَّلَ صاحبُ العبارة من عبارته. ولكنّ المقصدَ آخرُ غير ما رمنا إليه نحن أو لنقل يظلّ الأسدُ ذا هيبة حتّى وإن بلغ أرذلَ العمر وضعف وارتدّت قوّته ضعفا.. وتأكيدًا لنظرة الإجلال الّتي يكنّها الإنسانُ لهذا الحيوان قال فيه عبارةً أخرى وهي" 'اش كون يقول للصيد فمك أبخر" رغم أنّها صفة فيه.

إذن يظلّ الأسد أسدًا مهابا وإن كلّت أنيابُه. ويظلّ فعلُ الإنسانُ العدوُّ بالنّسبة إلينا مُقصِّرًا مادام لم يَقُد الصّيد من أذنه.

بورتري

سالم ولد الحنّانة...

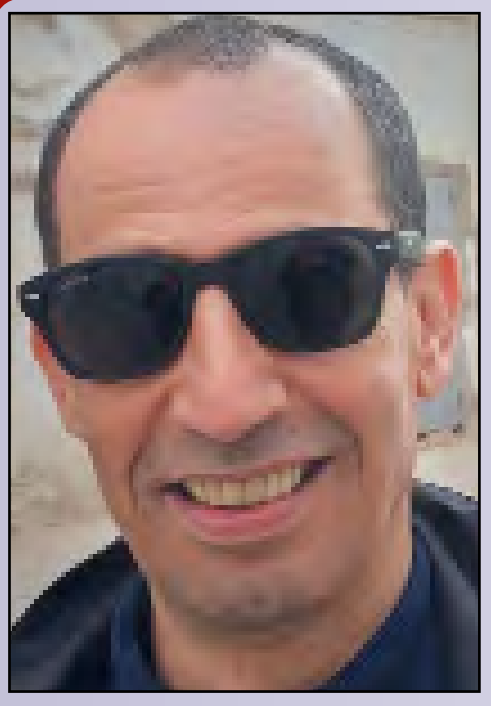

كمال العيّادي (الكينغ)

قبل أن يشنق سالم ولد الحنَّانة نفسه على غصن شجرة "الكالبتوس" الوحيدة المُتاحة في أرض البامري، عند آخر تخوم المنصورة، كان يُعتبر في نظري أحد أروع من أنجبتْ حومة علي باي من عباقرة في فنّ الحديث، وأكثر عباد ربيّ الذين عرفتهم مرحًا وخفّة دمّ ولطافة وطرافة؛ بل أجزم أنَّه أحد أهمّ من تأثّرتُ بهم في حياتي ومن علّمني السّخريّة اللاذعة، ودفعني للقراءة وحرّضني عليها بشدّة.

نحن نحكي عن سنة 1977؛ السّنة التي انتحر فيها، ولم يكن عمري آنذاك قد تجاوز العاشرة بعد، لكنني أذكره جيّدًا، بل يمكن أن أدَّعي أنني كنتُ صديقه الوحيد تقريبًا.

سالم ولد الحنّانة الذي لم يلوّث يديه يومًا بعمل يدويّ، وكان يكسب قوت يومه بمرافقة السّيّاح بين باب الجلّادين وباب تونس، بدون ترخيص، ويشرح للألمان بالألمانيّة، وللإسبان بالإسبانيّة، وللطليان بالإيطاليّة، وللفرنسيين بالفرنسيّة. وأكثر من يعرف تاريخ القيروان وأسرارها وخباياها، كان أبيًّا،عفيفًا، نبيلًا، ألمعيًّا. وكان صاحب نكتة.

نعم، سالم ولد الحنّانة، كان صاحب نكتة، أنا أصرّ على ذلك، رغم أنَّ جميع من عرفوه كانوا يصرّون أنه بليد ركيك، ثقيل الدّم والرّوح، وأنّه لا يمكن أن يعتبر من أفذاذ حومة علي باي في شيء، وخصوصًا في القدرة على التنكيت والدّعابة واختلاق الحكايات اللّطيفة الطّريفة ونسج خيوط النّكتة. وأنا على خلاف الجميع، ما زلت حتى اليوم، وبعد موته بأكثر من أربعين سنة، أعتقد، بل أجزم بأنّه رائد الرّواد في هذا المجال، وبأنّه أحد غيلان حومة علي باي وأروع متحدثيها وأبدعهم رواية، وأخفّهم روحًا، وأروعهم قدرة على نسج الحكاية وتأليف الخبر، وصنع النّكتة، وأقدرهم على الخلق والإبداع شفويًّا. لكنّ حومة علي باي حومة عباقرة في تأليف النّكت، وهي قاسية ولا ترحم، ولم تغفر لسالم ولد الحنّانة أنه كان يسخر منهم ويصفهم بالعبيد والتُّبّعِ والقطيع، وغيرها من العبارات الشيوعيّة الموجعة والصفات القميئة؛ كونهم يقبلون بأيّ عمل ينفقون منه ويبدعون في التذلل لأصحاب العمل وأربابه ومدراء الشركات القليلة في المدينة. ولأنّه الوحيد تقريبًا الذي كان يمتلك مكتبة، ويقرأ كتبًا، والوحيد الذي وصل إلى السنة السابعة ثانوي، وبالتالي؛ الوحيد الذي أجرى امتحان الباكالوريا، رغم أنّه لم يتحصّل على الشّهادة، وقد كان الجميع ينفر منه للأسف بسبب ذلك تحديدًا، ولا يعتبرونه منهم ولا يشاركونه أسرارهم ومشاغلهم، ويتجنّبون الحديث معه أو سماع نُكته.

وفي حومة علي باي، أنت غريب ومكروه إذا كنت لا تتقن رواية النّكت وتأليف الحكايا. وأنت شاذ إذا كنت والعياذ بالله مثقفًا، ومن ذوي الكتب والكرّاسات وتتقن اللّغات الأجنبية ولا تبكي عند سماع القرآن، ولا تصلي على النبيّ كلما جاء ذكره.

ويعلم الله، أنَّ سالم ولد الحنّانة كان أكثر شباب حومة علي باي عزمًا وجديّة في تخصيص الوقت لتأليف الحكايات والنّكت. وكان المسكين، يمضي أغلب اليوم في التفكير وحكّ رأسه متذكرًا كلَّ ما قرأ من الطرائف ومن النوادر، ومستحضرًا الجاحظ والحسن البصريّ وأبا نواس وألف ليلة وليلة والزمخشري وفيكتور هوجو و إدجار آلان بو والتوحيدي والسّليك بن السّلكة والشنفرى والمقدسي وحبّاب الراوية وجرير وأشعب والفرزدق، وكلّ طرائف العرب المدوّنة، ليصيغ منها حكايا تضحكهم حين يتجمّعون بعد العمل بمقهى المنصورة، لكنهم كانوا لا يضحكون، وأقصى ما كان يبلغه منهم أنَّ أحدهم يهرش رأسه ورقبته، ويقول له: "جميل". دون أن يكلّف نفسه حتى مجرّد شدّ زاويتي شفتيه؛ ليظهر عليه وكأنه يبتسم. وكان ذلك يقتل سالم ولد الحنّانة ويشفط روحه ويؤذيه كلّ الإيذاء، فكان يلحس شفتيه ويبتلع ريقه ويسكت قليلاً، قبل أن يسترجع مرحه ويحكي حكاية أخرى، يستمعون إليها ببرود قاتل، وهم يلعبون الورق بحماس.

فرج ولد المولدي هو الذي حكى لي آخر أخباره ونوادره. كان ذلك بعدها بسنوات، وذكر لي أنّه قبل أن يعثروا عليه مكسور الرّقبة ومعلقًا على غصن شجرة "الكالبتوس" التي كنا نسميها "الواحة" آنذاك، التقي به قبلها بيوم واحد، ورواها له بنفسه، وحلف لي فرج أنَّه مات بالضّحك، وأنه باس رأسه راجيًا إيّاه أن يصحبه للمقهى ويرويها للجميع، لكنّ سالم كان يومها تائهًا وزائغ النظرات وحزينًا، وأنه أجابه بأنّه سيفعل، ولكن فيما بعد. وكان هذا آخر عهد له به.

حدّثه أنَّه زار الدكتور لطفي بوجلبان، الطبيب النفسي الوحيد في القيروان، وهو شاب صفاقسي محبوب، وأنّه ذكر له بأنّه يرغب في وصفة ليشتري حبوبًا ضدّ الكآبة الشديدة. وحين سأله الدكتور لطفي عما يؤذيه ويكتم على أنفاسه، قال له: أحسُّ بأنني كلب يا دكتور. استغرب الدكتور الإجابة، وسأله: ولكن كيف؟ أجابه سالم: يا دكتور، أنا ككلّ عربي، طبيعتي كلبيّة، أبَصبصُ للبشرِ وأجري خلفهم طمعًا في لقمة، وأحرّك ذيلي كلَّما خفت وجبنتُ أو طمعتُ، وأضعه بين فخذيّ كلما ذُلِلْتُ، وأهرب حين أزجر. وأنا يا دكتور فضلًا على ذلك، بليد ووفيٌّ ولا أبرح مكاني، ومخلص لحَوْمتي وأهلي، ولا أؤذي أحدًا، ولا أغدر ولا أخطف ولا أعتدي على بشر، ولا أكذب ولا أتجمّل، وأنا أتحمّل، ولا يمكنني أن أبتعد عمَّن يسيء لي ويؤذيني ويهينني، بالعكس، أزداد له حبًّا، وبه شغفًا، وأجري بين يديه خادمًا ومطيعًا.

ضحك الطبيب، وربت على كتفيه قائلًا:

ـــ أنت ملاك يا سالم، ولست مريضًا.

لكنّ سالم تشنّج وصاح فيه:

ـــ يا دكتور، اكتب لي الحبوب وخذ ثمن المعايدة واتركني لحالي، أنا لم آتك للحديث؛ أنا أتيتك فقط لأنّهم لا يبيعون حبوب مضادّة للكآبة في الصيدليات بغير وصفة طبيب.

رجع الدّكتور إلى كرسيه وسأله بجديّة ووقار:

ـــ طيّب، ومنذ متى بدأت تشعر بأنّك كلبٌ يا سالم؟

أجابه سالم:

ـــ منذ كنتُ جِروًا يا دكتور، منذ كنتُ جِروًا.

على هامش الكتاب الموسوعة لـ Louis Massignon

لماذا صلبوك يا حلّاج؟

نجيب البكوشي - باحث وكاتب تونسي

كان الحلاج يقول في دعواته "يا معين الفناء عليّ، اعنّي على الفناء"، ويبدو ان الله قد استجاب لدعائه، وانتصر الحلاج على الفناء الوجودي والنسيان، وأصبحت مأساته أسطورة مجنّحة، ويعود الفضل في ذلك إلى المستسرق الفرنسي لوي ماسينيون، الذي نذر كل حياته تقريبا لدراسة الحسين بن منصور الحلاج، ليترك لنا عند وفاته سنة 1962 أثرا ضخما حوله، صدر في أربعة أجزاء عن دار النشر الفرنسية الشهيرة Gallimard، وحمل عنوان La Passion de Hallaj :وتُرجم إلى العربية تحت عنوان آلام الحلاج؛ الجزء الأوّل وهو الرئيس وعنوانه La Vie de Hallaj، أي حياة الحلاج، ويتناول حياة الحلاج منذ ولادته سنة 244 هجري إلى تاريخ وفاته مصلوبا في بغداد سنة 309 هجرية ويتكون من 708 صفحة، والجزء الثاني يتكون من 511 صفحة وحمل عنوان La Survie de Hallaj، أي الحلاج على قيد الحياة، يبيّن كيف وصلنا أثر الحلاج بعد صلبه وحرق معظم كتبه، وفيه يتناول لوي ماسينيون بدقة متناهية الأسانيد التي نقلت لنا أفكار الحلاج من الفقهاء والمؤرخين، من خصومه والمتعاطفين معه على امتداد الف عام. أما الجزء الثالث والمتكون من 381 صفحة، وحمل عنوان La Doctrine de Hallaj، أي عقيدة الحلاج، وفيه تناول لوي ماسينيون الاصول الفكرية لمذهب الحلاج. اما الجزء الرابع والأخير والمتكون من 330 صفحة وهو خاص ببيبلوغرافيا أبحاث لوي ماسينيون حول الحلاج، ونجد فيه كل المؤلفات التي اقتفى فيها لوي ماسينيون أثر الحلاج لإعداد هذا المؤلف الضخم. فقد اطلع على 932 مؤلفا لستمائة وستة وثلاثين كاتبا، منهم 351 كاتبا عربيا و 136 كاتبا أوروبيا، و 75 كاتبا فارسيا و50 كاتبا تركيا وخمسة كتّاب ماليزيين و 6 كتّاب هنود وكاتبين سريانين وكاتبين يهوديين.

حياة الحلاج هي المحور الرئيسي الذي يدور حوله هذا الكتاب، ولكن قلم لوي ماسينيون عند تعقّبه لأثر الحلاج سيحملنا في رحلة ممتعة عبر الزمن، لنكتشف حواضر الخلافة العباسية، بمعمارها وأحيائها ومساجدها وحمّاماتها وجسورها في النصف الثاني من القرن الثالث وبداية القرن الرابع هجري.

سيأخذنا إلى شوارع وازقة بغداد، وسيتمكن حتى من إحصاء عدد سكانها وقتئذ استنادا إلى كمية المؤونة، التي تستهلكها عاصمة الخلافة العباسية، فكان عدد سكان بغداد في تقديره في بداية القرن الرابع للهجرة في حدود مليون ونصف المليون ساكن. كانت بغداد من أكبر الحواضر في العالم. سيقوم لوي ماسينيون بقياس مساحتها فكانت في حدود 9286 هكتارا سنة 303 هجرية الموافق ل 915 ميلادية، وقارنها بمساحة باريس سنة 1789 عند اندلاع الثورة الفرنسية أي بعد 874 عاما، والتي لم تتجاوز مساحتها حدود 7000 هكتار. سيحدثنا لوي ماسينيون عن بغداد عاصمة الفكر والثقافة، عن مدارس علم الكلام، عن مدارس التصوف، عن مذاهب الفقهاء، عن المعتزلة و الأشاعرة والحنابلة، عن الشعر والشعراء، عن الوراقين، عن حركة الترجمة، سوف يحدثنا عن الصراعات السياسية و الانتفاضات التي شهدتها الخلافة، عن ثورة الزنج، عن ثورة القرامطة، عن الشيعة العلويين والإسماعيلية، سيحدثنا عن الشعوبية و الصراع بين الفرس والاتراك والعرب، سيحدثنا عن الدسائس في قصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، عن نفوذ الجواري والغلمان، وسلطة والدته شغب، وعن صراع الوزراء وقادة الجيش والفقهاء...

كل هذا في أسلوب بديع وبلغة مليئة بالأشجان. لوي ماسينيون سيقوم بعملية تقمّص عاطفي لشخصية الحسين بن منصور الحلاج، ويجعل من قلمه ترجمانا للغة الهيجان الروحي التي نجدها في طواسين الحلاج.

ولد الحسين بن منصور الحلاج في بلدة تور في الشمال الشرقي من مدينة البيضاء ببلاد فارس سنة 244 هجري، وهي نفس المدينة التي ولد فيها النحوي الكبير سبويه. يقول ابن كثير متحدّثا عن الحلاّج؛ "هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج ابو المغيث، ويقال ابو عبد الله، كان جده ماجوسيا، اسمه محمي، من اهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء. ونشأ بواسط، ويقال بتُستَر." (ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 132. اختلفت الروايات حول أصل لقبه، الحلاج؛ الرواية الأولى تقول انه نسبة لوالده الذي كان يَحْلُجُ القطن، اما الرواية الثانية فتقول انه جاء لمدينة واسط، فنزل في دكّان قطّان (اي تاجر قطن) وطلب منه ان يساعده في قضاء شغل، ولكن الرجل قال له انه مشغول وله كمية كبيرة من القطن عليه حَلْجُها، فقال له الحسين اذهب في إصلاح شغلي، فإني اعينك على عملك، فذهب الرجل، فلما رجع رأى كل قطنه محلوجا، وكان أربعة وعشرين الف رطل، فسمي منذ ذلك اليوم بالحلاج، اما الرواية الثالثة التي يذكرها ابن كثير، فتقول ان اهل الأهواز أطلقوا عليه هذه التسمية، لأنه كان يكاشفهم بما في قلوبهم، فسموه بحلاج الأسرار أي كاشف الأسرار.

نشأ الحلاج في مدينة واسط بالعراق، التي استقر فيها والده بعد أن غادر بلدة تور الفارسية. مدينة واسط التي اسسها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 78 هجرية، كانت في ذلك الوقت مركز إشعاع روحي وفكري كبير، أسس فيها الأشاعرة مدرستهم الكبرى وأسس فيها الحنابلة مدرسة للقرّاء و للحديث، وكانت مساجدها مسرحا للجدل والحوار بين مختلف المدارس الفقهية والكلامية. إذن نشأ الحلاج في هذا المحيط الفكري والثقافي الخلاّق، ولفت الانتباه اليه منذ صغر سنّه لذكائه الحاد واقباله على العلم والمعرفة، حفظ القرآن وهو في سن الثانية عشرة، وأقبل على علوم عصره من فقه وتفسير وحديث وحكمة وتصوّف. وفي سن السادسة عشرة سافر إلى مدينة تُستر الفارسية ليتعلّم على يد احد اعلام الصوفية في عصره وهو الإمام سهل بن عبد الله التُستري. أُعجب الحلاج بشخصية شيخه ولازمه مدة سنتين استوعب خلالها أصول المنهج

الصوفي. بعد ذلك غادر الحلاج تُستر باتجاه البصرة حيث تتلمذ على يد الشيخ الصوفي عمر المكي والذي البسه الخرقة الصوفية، وهي ثوب ممزّق من الصوف الخشن، يُلبسه الشيخ مريده، علامة للتفويض والتسليم، ولا يمنحه إياه إلا بعد أن يقضي مرحلة رياضية روحية خاصة، ومنه على الأرجح جاءت كلمة التصوّف. تزوج الحلاج في البصرة بأم الحسين بنت يعقوب الأقطع احد أعيان المدينة، ورُزق منها بثلاثة أبناء، وهي المرأة الوحيدة في حياة الحلاج وظلّت إلى جانبه في ذروة محنته. ثم قرر الحلاج مغادرة البصرة بعد خلاف حاد نشب بينه وبين شيخه عمر المكي ليستقرّ في بغداد عاصمة الخلافة، اين التحق بدروس الشيخ ابي القاسم الجُنيد احد أقطاب الصوفية، ولكن سرعان ما فترت العلاقة بينهما، فشخصية الحلاج شخصية قلقة ومتمردة ولم يقبل فكرة ان يستسلم المريد لشيخه استسلاما كاملا كما يقتضيه المنهج الصوفي التقليدي. يقول لوي ماسينيون"سرعان ما راح الحلاج يبحث عن المعنى الرمزي الذي يرفع دعاء الروح إلى الله".

ومنذ ذلك الحين قرر الحلاج ان يستقل بنفسه وان يسلك طريقه الى الله بمفرده، ولمّا سُئل عن المريد قال "هوّ الرامي بأول قصده إلى الله تعالى، ولا يُعرّج حتى يصل."

بعد أن أُخمدت ثورة الزنج، شدّ الحلاج الرحال لأداء مناسك الحج، ونذر نفسه بالبقاء عاما كاملا للعمرة وهو في حالة صوم عن الطعام والكلام اقتداءا بمريم العذراء التي فعلت هذا استعدادا لميلاد كلمة الله فيها. يقول أبو يعقوب النهر جوري وهو من أقطاب التصوف السني في القرن الرابع للهجرة؛ "دخل الحلاج مكة أول دخلةٍ، وجلس في صحن المسجد سنةً لم يبرح من موضعه إلا للطهارة والطواف، ولم يحترز من الشمس ولا من المطر، وكان يُحمل اليه في كل عشية كوز ماء، وقرصٌ من أقراص مكة، وكان عند الصباح يُرى القرص على رأس الكوز وقد عُضّ منه ثلاثُ عضّات أو أربعةٌ فيحمل من عنده."

هذه الخلوة الروحية في مكّة كانت مفصلية في حياة الحلاج، قال بعدها هذه الكلمات الوجدية لمريديه الذين سمّاهم الأصحاب والخلاّن؛ " لو أُلقي مما في قلبي ذرّة على جبال الأرض لذابت".

فكر الحلاج هو جزء من الفكر الصوفي، والتصوّف له معجم خاص، يختلف عن معجم الفقهاء. التصوّف هدفه بناء الفرد، ومحاولة الوصول إلى المعنى الحقيقي للإيمان، وسبل التواصل بين الصوفي وخالقه لا علاقة لها بمدونات الفقهاء، فهو ينتج لغته الخاصة القائمة على الإلهام والنظر الكشفي والذوقي، وحرية المتصوّف تتجاوز حرية الفقيه في استنطاق النص المقدّس ،ففي حين يعتمد الفقيه في قراءة النص على آلية التعبد الآلي، يعتمد المتصوف على آلية التعبد المعنوي.

يقول الحلاج متحدثا عن خالقه:

رَأَيتُ رَبّي بِعَينِ قَلبي، فَقُلتُ مَن أَنتَ قالَ أَنتَ...

فَلَيسَ لِلأَينِ مِنكَ أَينٌ، وَلَيسَ أَينٌ بِحَيثُ أَنتَ...

أَنتَ الَّذي حُزتَ كُلَّ أَينٍ بِنَحوِ لا أَينَ ثَمة أَنتَ...

فَفي فَنائي فَنا فَنائي، وَفي فَنائي وُجِدتَ أَنتَ...

في مَحوِ اِسمي وَرَسمِ جِسمي سَأَلتُ عَني فَقُلتُ أَنتَ...

أَنتَ حَياتي وَسِرُّ قَلبي فَحَيثُما كُنتُ كُنتَ أَنتَ...

فَمُنَّ بِالعَفوِ يا إِلَهي فَلَيسَ أَرجو سِواكَ أَنتَ...

صورة الإله عند المتصوّف ليست هي نفسها صورة الاله عند الفقيه، العلاقة بين المتصوّف وخالقه تقوم على المحبة في حين ان العلاقة بين الفقيه وخالقه تقوم على الخوف، لذلك تصوّر الاله عند الفقيه هو الأقرب إلى عامة الناس، فهو إله الوعد والوعيد، إله الجنة والنار، بينما إله المتصوّف هو إله العشق والمحبّة. الارتباط بين المخلوق و الخالق في الفكر الصوفي هو ارتباط وجداني بعيدا عن الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب. كانت رابعة العدوية مؤسسة مذهب الحب الإلاهي في القرن الثاني للهجرة تردد؛ "ربي ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك وإنما عبدتك لأنك تستحق العبادة"، و الحلاج يذهب ابعد من ذلك في تطرّفه في محبّة الله عندما يقول

أُريدُكَ لا أُريدُكَ لِلثَوابِ
وَلَكِن أُريدُكَ لِلعِقابِ
فَكُلُّ مَآرِبي قَد نِلتُ مِنها
سِوى مَلذوذِ وَجدي بِالعَذابِ.

قضّى الحلاج الجزء الأكبر من حياته في السفر والترحال، بعد عودته من مكة سافر إلى الأهواز داعيا الناس إلى الزهد والتقرّب إلى الله، وقد عظم شأنه هناك واتبعه الناس ورددوا كراماته، ثم رحل إلى خراسان مع عشرات من مريديه ينشر دعوته التي وصل صداها لعاصمة الخلافة بغداد، ثم قام برحلة كبرى عبر البحر إلى بلاد الهند والسند ووصل إلى مشارف الصين يستطلع أحوال الأمم والشعوب الأخرى من غير المسلمين. وبعد أن طاف بمشارق الأرض ومغاربها، عاد إلى بغداد سنة 296 هجري، وقد سبقته اخبار كراماته وخوارقه التي تناقلتها عامة الناس وجعلت منها أساطير وساهم كذلك خصومه في ترويجها لإتهامه في ما بعد بالسحر والشعوذة والزندقة. فقيل أنه كان يُخرج فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمد يده في الهواء فيعيدها مملوءةً دراهم، وقد كتب عليها — قل هو الله أحد —ويسميها دراهم القدرة.

يقول صاحب كتاب، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: «اختلف الناس في أمره، فقال قومٌ: ساحرٌ! وقال قومٌ: مجنون! وقال قومٌ: له الكرامات، وإجابة الدعوات.»

الحلاج، كان عندما تعجز الكلمة على حمل فكرته يعمد إلى الرمز والصورة وأحيانا المعادلة الرياضية،

يقول مثلا في تفسيره لفكرة وحدة الوجود: "النقطة اصل كل خط، والخط كله نقط مجتمعة، فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط، وكل خط مستقيم او منحرف هو متحرك عن النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بصر احد، فهو نقطة بين نقطتين، وهذا دليل على تجلي الحق من كل ما يُشاهد وتَرائيه عن كل ما يُعاين - ومن هذا قلت ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه".

الحظوة التي نالها الحلاج عند عودته إلى بغداد سوف تجلب له عداوة الفقهاء من مختلف المذاهب والساسة في قصر الخلافة، كذلك البعض من أهل التصوّف وعلى رأسهم معلميه الجنيد وعمر المكي. لأن الحلاج انتقد سلبية اهل التصوّف من معاصريه، الذي قنعوا بعبادة الله، غير مهتمين بواجباتهم تجاه الناس. فثار على زهد أبي يزيد البسطامي وعلى تقية الجنيد وعلى سلبية عمر المكي، وأسس منهجًا جديدًا في التصوف يرى أن التصوف جهادٌ في سبيل إحقاق الحق، وليس مسلكًا فرديًا بين المتصوف والخالق فقط، فجعله جهادًا ضد النفس وكذلك جهادا ضد الظلم والطغيان في المجتمع .

يقول لوي ماسنيون: «إن الحلاج أحيا بمنهجه هذا، وبحميته الثائرة، و بشخصيته الباهرة، الآمال العريضة، والأحلام الجميلة، التي كانت تعيش في أعماق الأمة الإسلامية، فالتفّت حوله الجماهير، واندفع في تياره كثير من الأمراء والوزراء والقادة.»

كان الحلاج حاملا لروح قطب صوفي ثائر، ولقلب محب عابد، ولعقل زعيم مدبّر، وهذا المنهج الصدامي الذي قطع مع تقية التصوّف التقليدي سوف يؤدي إلى سجنه مدة تسع سنوات و محاكمته ثلاث مرّات وصلبه سنة 309 هجري في بغداد.

*المرجع:

Louis Massignon: La Passion de Hallâj, Éditions Gallimard 1975.

السماع الصّوفي وجماليات الحياة الرّوحية في تونس:

ثراء المدوّنة وتعدّد ينابيعها

محمّد الكحلاوي، جامعة قرطاج

على هامش مشاركتنا في العدد الماضي من صحيفة «الشارع المغاربي»، حول ما طرح بخصوص «فنّ الشارع»، وتبعا لما أشرنا إليه بخصوص مجالس الإنشاد والسماع الصوفي وخرجات الطرق الصوفية التي لها وجود راسخ وواسع النطاق في بلادنا تونس، طلب منّي بعض الأصدقاء كتابة كلمة للتعريف بأهمّ ما يميّز هذه الخصوصية الثقافية الجمالية والدّينية الرّوحية التي تميّز الإنشاد الصوفي في تونس، والتي من ينابيعها استلهم أصحاب العروض الفنيّة الركحية الكبرى، مثل «الحضرة»، والزيارة، والتخميرة، والخرجة، و»عرض الزردة»، الجوهر المؤسّس، بل المادّة الأولى لأعمالهم التي صارت علامات مضيئة في سما المشهد الإبداعي التونسي

وقد ظهر لنا أنّ ذلك مقترح معقول للغاية، لاسيّما وأنّ الكلام عن جمالية الإنشاد الصوفي والسماع الروحي يتوافق هذه الأيّام مع ما يشهده نبض الحياة الدّينية الروحيّة في تونس اليوم. حيث إنّه ومنذ منتصف الصيف وإلى بدء فصل الخريف، وككلّ موسوم جرت العادة أن يكون هناك إيقاع حركية نشطة تطبع أجواء تلك المناسبات الرّوحية الدينية مثل الخرجات واللّقاءات الصوفيّة للذكر والسماع ولقراءة الأحزاب والأدعية وتلاوة القرآن الكريم كما هو جاري به العمل في مقام الوليّ والصوفي العارف بالله سيدي أبي الحسن الشاذلي (تـ656ه)، بالمغارة والمقام بأعلى جبل التوبة (المسمّى حاليا جبل الزلّاج). حيث إنّه ومنذ أوّل الصيف وكلّ ليلة جمعة يعقد مجلس الوظيفة الشاذلية، ابتداء بالإنشاد والسماع ثمّ بعد صلاة المغرب تكون تلاوة سور من القرآن الكريم، وبعد ذلك قراءة حزب البحر، الذي يقال إنّ أسراره وبركاته عظيمة، ثمّ حزب آخر، مثلا: الفتح، اللطف، البرّ، الحمد، التوسّل... وغير ذلك من الأحزاب التي تمثّل أوراد الإمام الشاذلي المطبوعة في كتابه «نبراس الأتقياء»... ليختم المجلس بذكر الاسم الأعظم؛ الله جلّ جلاله... كل ذلك دون آلات أو دفوف، كما يتوهّم البعض، وحتى ما يقدّم في المساء عند بدء المجلس والحضرة، بكون من عمل جماعات أخرى تنتمي إلى طرق تحترف الإنشاد والسماع أو تقديم أناشيد الحضرة والمديح بطرق إيقاعية سريعة تهتزّ لها النفوس وتطرب لها المواجد، فيتفاعل معها عموم الناس. أمّا داخل المقام الشاذلي فالاقتصار على الذكر الخالص والسماع الروحاني والتلاوة، يكون ذلك بلغة فصيحة، بعيدا عن الدروشة أو فلكلور جماعات المديح لأجل التخميرة...

عموما لقد غدت احتفالات الطرق الصوفية في بعدها الاجتماعي الثقافي العام، وبهذه المناسبات بمثابة احتفاليات كرنفالية، يرتبط إحياؤها بعوائد وتقاليد استثنائية ومتأصّلة في التراث وفي مقوّمات الرّوح الجمعي الدّيني والثقافي للأمّة والمجتمع، وهي تعود في أصل ظهورها إلى أزمنة حضارية خلت. إذ هي تنطوي على رمزية عالية من جهة خصوصيتها في تمثّل المعتقد الدّيني وتجسيمه ضمن نبض الحياة اليومية للفرد والمجتمع، حيث تظهر السماحة والألفة وتلقائية التعبير، بحثا عن احتفاء جمالي بعيد الدلالة بما هو وجداني وروحي، رغبة في تحقيق الاستقرار والخلاص للنفس وسعادتها في الدّارين. كلّ ذلك صار يجري بمعزل عن صرامة سلطة المذهب الدّيني الفقهي، وبعيدا عن تحجّر التعاليم الفقهية التي تمّ الاجتهاد في وضعها من قبل الفقهاء المتشدّدين، أولئك الذين لم يحتفوا بحياة الرّوح وإشراقاتها ولم يولوا جانب الوجدان أيّ اهتمام، ولم يعيروا قلق الذّات الجميل في البحث عن المطلق وحرارة الإيمان أيّ اهتمام.

لذلك ظلّت احتفاليات السماع الصوفي الّتي تقدّمها الطرق الصوفية كالقادرية كالشاذلية في الزّوايا والرباطات الدّينية، عبر ما يسمّى الأوراد والوظائف، بعيدا عن أنماط الفلكلور الصوفي ذات الطابع الاحتفالي الجماهيري، تمثّل عبر التاريخ شكلا متفرّدا في تمثّل المعتقد وممارسة طقوس ذكر الله وتوحيده وكلّ ما يتبع ذلك من تلاوات واستغفار، تكون مشفوعة بصيغ في الصلاة على النبيّ محمّد (ص)، ومن ثمّ دعاء الله وحده، حيث اندرج ذلك ضمن مسارات تديّن وتروحن تكيّف مكوّنات بنية الوعي الذّاتي للفرد في تعدّدها وتنوّعها، لتسهم من ثمّ في تحديد ملامح نظرته إلى الحياة والعالم، داخل الوحدة الكبرى لعقيدة التوحيد الدّيني، وضمن نظرة تبدو بعيدة عن كلّ أشكال الإقصاء أو الرفض للمختلف والآخر.

هكذا تتعدّد ضمن ذلك أنماط الرؤية إلى العالم والذّات والخالق وتتعايش بل تتضايف في تنوّعها واختلافها، سواء داخل الملّة الإسلامية أو خارجها ضمن دائرة الأديان التوحيدية، تلك المصطلح عليها بالأديان الإبراهمية.

وفي هذا السياق تبدو أبيات الصوفي والفيلسوف الأندلسي الكبير محيي الدين بن عربي، من أهمّ ما كتب في مجال التعبير عن هذا الغرض. حيث أنشد قائلا:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ..
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

وقال:

لقد صارَ قلـبي قابلاً كلَ صُـورةٍ ..
فـمرعىً لغـــــزلانٍ ودَيرٌ لرُهبـَـــان
وبيتٌ لأوثـــانٍ وكعـــبةُ طـائـــفٍ ..
وألـواحُ تـوراةٍ ومصـحفُ قـــــرآن
أديـنُ بدينِ الحـــــبِ أنّى توجّـهـتْ ..
ركـائـبهُ ، فالحبُّ ديـني وإيـمَاني

إنّ الصوفي السائح في ملكوت الله بالجسد والرّوح، بحثا عن مزيد القربة من الخالق، تراه يخلص العمل لأجل نيل مرضاة الله بالعبادات والأذكار والطاعات، وهو لا يعبأ بما يقول به أصحاب العقائد والمذاهب المختلفة، فلا يكفّر ولا يبدّع أحدا، عملا بما جاء في الآية القرآنية الكريمة: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»(المائدة الآية 105). فالسالك في طريق الله يُوثر العمل الصالح وإصلاح أحوال نفسه بالذكر والعبادة ومداواة قلبه بالإخلاص في محبّة الله وعباده، وفي سياق ذلك تأتي الأوراد وصيغ الأذكار أشعارا ومقطّعات نثرية ومناجيات وأحزابا، تدعم غرض الدعاء والاستغفار وذكر اسم جلالة المولى وصفاته توسّلا إليه بها، وهو ما يستنتجه الناظر في حزب التوسّل للإمام أبي الحسن الشاذلي، حيث يقول: «اللهم إني أتوسل بك إليك. اللهم إني أقسم بك عليك .اللهم كما كنت دليلي عليك , فكن شفيعي إليك».

لنلاحظ هنا كيف يطلب الله بالله، ويرجو شفاعته بالإخلاص في التعبير عن توحيده وعبادته. وعليه انطلاقا من مواكبتنا لنبض الحياة الروحية بالبلاد التونسية ولطبيعة اهتماماتنا العلمية في المجال أن نشير إلى ثلاث نقاط أساسية، تظهر كلّ منها جوانب من خصائص قيم هذا الموروث المستمرّ فينا إلى اليوم لا سيّما على الصعيد الثقافي والفكري الرّوحي:

– تقدّم ضمن حلقات السماع التي تعقد بداخل الزوايا والفضاءات الروحية للطرق الصوفية: القادرية والشاذلية والعيساوية والسلامية التيجانية أذكارا وأورادا ومناجيات لله تعالى وتلاوة للقرآن وصيغا قي الصلاة على الرسول محمّد (ص)، غير ما هو متداول ومستهلك في الفضاء العمومي، وخلاف ما يظهر في مستوى التلقّي المشهدي الفنّي لعناصر هذا التراث، الذي يتمّ إنتاجه مشهديا لغايات فرجوية عامّة، تتصل بحاجة النفس إلى الفن والجمال، حيث يطغى الجانب الاحتفالي، ويكون الاحتفاء بالبعد الحركي الجسدي الإيقاعي السريع للأناشيد المنتقاة، والوسيلة إلى ذلك آلات الدفوف الكبرى (البنادر)، وآلات إيقاع أخرى، بحثا عمّا يسمّى بالتخميرة أو الجذبة أو النشوة، وكلّها تندرج ضمن ما بات يُصطلح عليه بـ «الحضرة».

«الحضرة» هذا الاصطلاح الّذي اتّخذ دلالات متعدّدة، عبر تاريخ الحياة الصوفية في الإسلام من الدلالة على القربة من الله والحضور في مشاهدة ربوبيته في ملكوته بالقلب والبصيرة إلى معان أخرى تتعلّق بترديد الأذكار الموصلة إلى تلك المقامات، كما استخدم مصطلح «الحضرة» للتعبير عن انتشاء السالك في طريق الله ببلوغ ذاك المقام في القربة والخلاص، أيضا الاحتفاء بمراتب قربة الأولياء الصالحين من الله، وهو يجعل من ظهور بركاتهم وكرماتهم دليلا على ذلك. وهي هبات ومنن من الله نالوها نتيجة إدامة الأذكار والعبادات والسياحات الروحية والإخلاص في محبّة الله .

أيضا إنّ أهمّ ما يقدّم في حلقات الذكر عبارة عن أوراد، تتمثّل في صيغ تعبيرية لذكر اسم الله والصلاة على النبيّ محمد، أيضا «أحزاب» تردّد، وهي عبارة عن نصوص غالبا تكون فصيحة اللسان، ألّفت في بيان صحّة العقيدة الدّينية وإثبات مبدأ الإيمان بالله وحده، ومن ثمّ التضرّع إليه، ومنها: حزب»البحر» وحزب «الفتح» وحزب «اللطف» للإمام الشاذلي وحزب «الإشراق» وحزب «النور» وحزب «الحفظ» للشيخ عبد القادر الجيلاني، وحزب «سبحان الدائم لا يزول» للجزولي، وتـقرأ هذه الأحزاب في خشوع وسكينة، إضافة إلى قصائد شعرية نادرة في محبّة الله ورسوله وتربية النفس على الإخلاص في ذلك.

– رغم ما قُدّم ضمن العروض الإبداعية المسرحية الموسيقية التي اشتغل مبدعوها ومنتوجها على تراث الإنشاد والمديح أو طرحوا فكرة إعادة توزيعه، ومن ضمنها عروض الحضرة في نسخها المختلفة و»الزيارة» و»التخميرة»، و»الزردة»... فإنّ أهمّ خصائص ذاك الموروث الرّوحي الديني الصوفي الذي يقدّم في الفضاءات الروحية (الزوايا) ويتغيّر أحيانا بحسب مناسبات محدّدة، ورغم ما يبدو عليه من بساطة، فإنّه لم يقدّم بعدُ في كليّته، ولم تستثمر على الوجه الأمثل كلّ جمالياته، ومازال من ثمّ أغلبه، في حاجة إلى اشتغال المبدعين من مسرحيين وموسيقيين وسينمائيين. بل في حاجة على عناية الجهات الرسمية بالتدوين والحفظ من التلف والضياع والتلاشي.

– إنّ البلاد التونسية بحكم موقعها الجغرافي، حيث مثّلت نقطة التقاء لحضارات وثقافات ومذاهب متباينة، ونقطة عبور من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، عرفت ألوانا متنوّعة ومتباينة من الذكر والإنشاد وفنون السماع الصوفي. وقد تجسّم ذلك في أشعار جميلة بليغة المعنى ورمزية الدلالة– مثّلت ديوان الشعر الصوفي لبلاد المغرب وإفريقية؛ حُقّق منه ما حقّق، وما زال أكثره في حاجة إلى الدّراسة والتحقيق. إضافة إلى أشكال أخرى من الكتابة الصوفية مثّلتها مجموع مدوّنات المناقب ومادّة نصوص الأحزاب، وما ارتبط بها من أوراد وأذكار، مازال أغلبها في عداد المخطوط أو قيد الذاكرة الشفوية...

ولعلّه بإمكان الباحث أن يكتشف من خلال تكثيف نسق البحث في طبقات البنيات النصيّة لهذا المخزون الأدبي الفكري الروحي عن عمق ما تختصّ به الشخصية الدّينية التونسية من ثراء ثقافي وحضاري ومن سعة أفق في النظر إلى الإنسان في وجوده وكيفية وعيه بمصيره، وفق علاقته بخالقه، بعيدا عن التشدّد في التديّن أو في النظر إلى حقائق الأمور، ونبذا للإقصاء والتعصّب، إضافة إلى الحضور الطريف للبعد الفنّي الجمالي في تشكّل مكوّنات المعتقد الدّيني، حيث السماحة والمحبّة المنطلق والمقصد والمرجع في كل قول وفكرة.

وبإمكان من يتابع لاحقا «خرجة» الجماعة الشاذلية إلى مقام زاوية الشيخ سيدي علي الحطّاب بالمرناقية، ليستأنفوا بعد ذلك ليالي المقام الشاذلي الأربع عشرة، ويتابع إقامتهم لليال الأختام بزاوية سيدي الشريف بحلق الوادي وثمّ الختم بمقام أبي سعيد الباجي، حيث تلاوة أدعية حزب اللطف وتقديم نماذج من أذكار الطريقة الشاذلية، يلمس أبعاد السماحة في تضافرها مع حرارة الإيمان وعمق معناه. والأمر نفسه يمكن أن نستنتجه إذا عمّقنا النظر في مضمون متون الذكر الطريقة القادرية، حيث تتنظم حلقاته ليلة كلّ جمعة بزاوية سيدي محمّد المنزلي بمنزل بوزلفة، ليلحظ مدى حضور كثافة صيغ الدعاء بالصلاح والفلاح والأمن والسلام للخلق، ويدرك مدى حضور الأصالة والتواضع في كلّ شيء، كأنّ أجواء اللقاء ومراسم إقامة الذكر والأوراد مستمدّة من أتون العهد الحفصي لم يتغيّر فيها بعد أي شيء... فهلّا تعمقت نظرتنا وتركّزت استراتيجية واضحة المعالم للاهتمام بثراء تراثنا الرّوحي ومجاميع ديوان الذكر والإنشاد الصوفي؟

النص السيري بين الذاكرة والتاريخ: علي الكوندي الأندلسي انموذجا

د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

تصدير

إلى روح الفقيد المهندس عبد الحليم الكوندي (1945-2023)، مؤلف كتاب « L'Horloge de Testour remonte le temps في أربعينيّته: أُخوّة وفاءَ.

1. علي الكوندي والترجمة الغائبة

في هامش الترجمة الواردة لعلي الكوندي في كتاب العمر لحسن حسني عبد الوهاب، أشار المكمّلان العروسي المطوي وبشير البكوش، إلى أنّ المؤلف «لم يخصّه بترجمة وذكره وبعض مصنفاته في فهرسي المؤلفين والمصنفات»، ولكن دونما إحالة على مصادر الترجمة التي كان يزمع تحريرها له، كما أشارا إلى أنهما «لا يعرفان للكوندي ترجمة ولا خبرا فيما اطلعا عليه من كتب التراجم والتاريخ التونسية»، ملفتين الانتباه إلى أنّ مصدرهما الوحيد في التعريف به ما كتبه تلميذه محمد الأندلسي في تقييد البداية من مخطوط «اللؤلؤ والمرجان» للكوندي نفسه، رصيد المكتبة الوطنية بتونس، النسخة رقم 1/9181 ، الورقة الأولى ظهر.

ومؤدّى هذا وجود فراغ بيوغرافي أو سِيري بخصوص الكوندي حيث لم يكن من الشخصيات العالمة التي اهتمت بها كتب التراجم، ربّما لأنه، حسب معايير هذا النوع من المصنفات لم يكن فقيها مرموقا، أو لأنه لم يشغل أية خطة من الخطط التي كانت تعدّ نبيلة بمقاييس عصره كالقضاء والإفتاء، أو لم يكن قريبا من دوائر السلطة، بحيث سكت عنه محبّرو التراجم والإخباريون والمؤرخون المعاصرون له أو القريبون من عصره على غرار الوزير السرّاج(ت1149/ 1736) وحسين خوجة (ت1732/1145) بالأخصّ، والعياضي الباجي(ت بعد1173/ 1760)، ولم يولوه اهتماما يذكر ولا التفتوا إلى كتاباته، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى العديد من مشاهير معاصريه، فلم يتعرض أحد منهم إلى التعريف به ولا عدّه من «علماء العصر» المرموقين.

ومؤدّى هذا أيضا أنّ ترجمة الكوندي تنحصر في مصدر يتيم هو أحد خوارج نصّ مخطوط «اللؤلؤ والمرجان» للكوندي، إلا أنه مصدر في منتهى الأهمية، أولا لأنه بقلم ابن المؤلف وتلميذه في الوقت نفسه، وبالتالي مصدر مباشر ومعاصر لمترجمنا، مما يؤكد قيمته الوثائقية، ولأنّه من جهة أخرى المصدر الوحيد الذي اختص الكوندي بالتعريف وأفرده بأوفى ترجمة له وصلتنا إلى حدّ الآن سيرة ومسيرة.

2. علي الكوندي: السّيرة الدفينة

لئن لم تختصّ مصادر العصر علي الكوندي بترجمة مفردة، وإن انتبه إليه بعضها شذرات، فإنّ ذلك لا يعني أنه بإمكاننا أن نساير الرأي القائل «بأنّ مؤرخي عصره لم يتعرّض منهم أحد إلى التعريف به»، لما في هذا الرأي من تعميم وإطلاق، ذلك أنّ من المصادر الموسومة بالدفينة، وهي مصادر لا تقل قيمة عن المصادر التاريخية والبيوغرافية الكلاسيكية، ما يمكن أن نستقي منه من المعلومات ما من شأنه أن يسمح بإعادة تشكيل سيرة حياة مترجمنا وتأثيثها بالمزيد من العناصر، وهذا ما تفطّن إليه الباحث أصيل الشّابي في مقاله «التنبيه على رحلة علي الكوندي: رحلة الصين وما وراء النهر»، حينما أشار، بعد تنصيصه على أنّ التعريف بالكوندي يظلّ منقوصا، إلى أنّ«إعادة تعريف الكوندي ملحّة لتستعيد قيمتها المعرفية والحضارية».

وهذه المصادر نوعان: مصادر تنتمي إلى «الثقافة العالمة»، ومصادر تنتمي إلى» الثقافة العامة» أو الشعبيّة، نتولى الكشف عنها لأوّل مرّة، بما هي ليست مصادر أرشيفية وإنّما مصادر مخطوطة يمكن أن ننعتها بالنادرة بما أنّها تنتمي إلى رصيد مخطوطات خزائن المكتبات العائلية الخاصة دون رصيد المخطوطات المحفوظة بالمكتبة الوطنية التونسية.

3. سيرة الكوندي في برامج الشيوخ

يرجع الفضل في هذا الصّنف الأول من المصادر الدفينة إلى تلاميذ الكوندي أساسا، إمّا موضوعيا مثلما هو الحال بالنسبة إلى تلميذه محمد العنّابي(ت بعد 1145/ 1732)، وإمّا عضويا، وهذا شأن أحمد السعيدي الدخيلي(ت بعد 1117/ 1706؟) حيث حضر الكوندي ضمن برنامج شيوخ كل منهما، عالما وعارفا على حد سواء:

فقد أشار إليه حسين خوجة في سياق ترجمته لمحمد العنّابي، ليس فقط بوصفه أحد شيوخ الدرس ممن يقصدهم الطلاب من أطراف البلاد، وبالتالي فقيها وعالما، وإنما أيضا بوصفه « شيخا بركة» أي عارفا وبالتالي أحد صلحاء العلماء الذين جمعوا على مستوى واحد بين « الفقه والدّين وعلم التصوّف واليقين»، ولذلك لم يتردد في إيراد إسمه محفوفا بما يدلّ من النعوت والألقاب على ما كان يتمتع به من رأس مال رمزي وقيمة اعتبارية علمية وروحية في مجالي « الشريعة» و» الحقيقة»، حيث قال متحدثا عن العالم محمد العنّابي ورحلته العلمية وبرنامج شيوخه إنّه :» انتقل إلى مدينة تونس، وفي طريقه مكث في بلد تستور من عمل تونس، وقرأ على الشيخ البركة سيدي علي الكوندي وحصّل عنه الفقه والنحو».

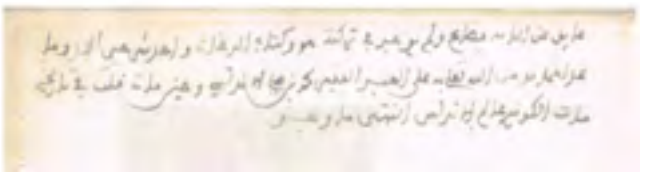

محمد بن علي الأندلسي، ترجمة الحاج علي الكوندي : نص مصدري

وأورد أحمد السّعيدي الدّخيلي، وقد كان معاصرا له، ويبدو أنه كان من تلاميذه ومريديه، إلى جانب نتف من أخبار مناقبه ومناقب أخباره والجانب الكرامي في شخصيته: كشفا وتنبؤا بالغيب ومعرفة استباقية للمستقبل، معطيات مهمّة حول شخصية الكوندي العلمية فقيها مدرّسا وحول الفضاء الذي كان الكوندي قد اتخذه لممارسة التدريس وبث العلم وهو « سقيفة داره»، والمادة التي كان يدرّسها وهي الفقه المالكي وتحديدا «مختصر خليل»، وهي الدروس التي بلغتنا طيّ « قلائد الدرر بشرح المختصر»، وهو مخطوط في عدّة نسخ منها نسخة بخط المؤلف مؤرخة بسنة 1093/ 1684، حيث أفاد أنّه (= أحمد السعيدي) « أتى إلى بلده (أي إلى بلد الشيخ الكوندي يعني تستور)، وسأل عن داره، فوجده يُقرّئ المختصر أي مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، في سقيفة داره».

ومؤدى هذا أنّ مترجمنا قد كان، علاوة على كونه شيخ درس، عالما ومصنّفا، وآية ذلك تدريسه لـ» قلائد الدرر في شرح المختصر»، وربما إجازته لتلاميذه فيه، وأنّ بلدة تستور، وقد كانت لهذا العهد، على حد تعبير الشيخ الحسين الورثيلاني(ت1782/1193) في رحلته « نزهة الأنظار» « قرية عظيمة تقرب من المُدن الصّغار»، قد كانت منذ الربع الأخير من القرن XVII على الأقل مركزا من مراكز الحركة العلمية بالبلاد، بالأدنى من الدرجة الوسطى، كان يشعّ لا على كامل المنطقة/ «الوطن» فحسب وإنّما، والعبارة لحسين خوجة على «أُناس كثيرة من كل مكان» بدليل ارتباط إسمها لهذا العهد، علاوة على الكوندي باسم الشيخ محمد التواتي المحدّث، سليل إحدى عائلات باجة العلمية العريقة، الذي استقر بتستور، بعد أن «استفاد منه ببلده باجة وأخذ عنه خلق كثير،، برهة من الزمان» لـ» يجتمع عليه لأخذ العلم بها (= تستور) أناس كثيرة من كل مكان»، بما يؤكّد اتساع دائرة إشعاعها العلمي وذيوع صيت علمائها، وبدليل حضورها، كما هو الشأن لدى أحمد بن قاسم البوني(ت1726/1130)، في «الدرّة المصونة»، ضمن أهم المراكز العلمية التي تردد عليها البوني بالبلاد، إلى جانب باجة، والكاف وسليمان والقيروان وسوسة وتونس، قبل سنة 1090/1679، وحضور بعض أعلامها، الثابتين منهم على غرار علي العريان(ت1124/ 1712أو1751/1165)، والمحتملين مثل سالم الأندلسي الجيّاني وأحمد التيندو ضمن برنامج شيوخه، والظاهر أنّه، وإن أدرك الكوندي الذي كان مقيما بتستور في تاريخ قريب من مرور البوني بها، وهو ما يستفاد من تاريخ فراغ الشيخ الكوندي من شرحه للبُردة الموسوم بـ «مسك الخير والهدى فيما يتعلق ببُرء الدّاء»، وهو سنة 1089/ 1678، فإنّه لم يلتقِ به وبالتالي لم يتلقَّ عنه، لأسباب لا نعلمها، نرجّح أنها تتعلق ربما بكثرة تنقلات الكوندي في هذه الفترة وإقباله على الترحال، ومن ثمّة غيابه عن تستور حين اجتياز البوني بها وبالاستتباع تعذّر الالتقاء به والتلقي عنه، ولذلك لم ينصّ عليه في قائمة أساتذته.

4. الكوندي في ثقافة الذاكرة

لئن لم تهتمّ مصادر « الثقافة العالمة» بالكوندي بحيث لم يلتفت إليه أحد من المؤرخين ولا ترجم له مترجم ولا انتبه إليه الإخباريون وكتّاب السّير إلا إشارات خاطفة، ولذلك ظلت الأسئلة بشأنه عالقة سواء تعلق الأمر بشخصه أو بالكثير من جوانب حياته، فإنّ للذاكرة، ومن ثمة لمصادر الثقافة غير الرسمية رأيا آخر بما يرتقي بثقافة المشافهة والسّماع واستيداع المعرفة في الذاكرة، في بعض مظانها على الأقل، إلى مصافّ المصادر الدفينة من مصادر المعطى السّيري/ البيوغرافي، مصدر قد تكون وشائج قرباه مع التاريخ أكثر من المصادر البيوغرافية/ السّيرية الكلاسيكية نفسها.

فلقد عثرنا في رصيد مخطوطات خزائن مدينة باجة

محمد بن علي الأندلسي، ترجمة الحاج علي الكوندي خ. رقم 1/918، د. ك. و بتونس، و: 1 ظ.

على مجموع للحاج ميلاد الجوّاني الشريف(ت1259/ 1843)، بمكتبتنا أكثر من نسخة منه، على ما لا يقل عن قصيدتين أولاهما الموسومة بـ« ناديت أهل الله»، أما الثانية فهي الموسومة بـــ « يا طير، يا ورشان».

1.4 قصيدة « ناديت أهل الله»:

تقع في خمسة وثلاثين بيتا، اختص الشاعر بالمديح الصوفي فيها أربعة وثلاثين شخصية علمية وروحية من «رجالات تستور» أي نخب المجتمع العالمة فيها والعارفة، على حدّ سواء، في مقدمتهم وعلى الترتيب:

1. «بابا عليّة» أي علي العريان (ت1712/1124 أو1751/1165) الملقّب بالبحري، الحامي الرمزي لمدينة تستور، وشيخ الصلحاء بها، وجدّ بناتها الروحي الذي يحتفظ له المتخيل الجمعي بالدور الحمائي المتقدم الذي قد يكون اضطلع به ذودا عن شرف بنات تستور وحرمة أهلها إزاء تعدّيات يونس بن صندل كاتب يوسف داي خلّدها قوله السائر: «بره يا بن صندل، وين حصدت تندّر»، وقوله أيضا» تستور قصعة، وآنا مكبّ عليها، ظالمها هالك، كي يكون منها فيها»، وهو الدور الذي خلده الشيخ إبراهيم الرياحي في قصيدة هائية وردت في ثمانية عشر بيتا من الخفيف جاء فيها قوله:

واسأل الناس ما ليونس ولّى *** مظهرا بالفرار منه خلاصه
حين رام المبيت بالخود غصبا
مكرها أهلهنّ فيما أناصه
فغدا في محلّة له حرب
قد أثار ابتلاءه وقماصه

وخلّدته الثقافة العامة من خلال الأغنية الشعبية الموسومة بـــ:

« يا البحري، يا العريان، يا بابايا
يا قطب الصلاح كون معايا «،

2. القرواشي الملقّب بـ»صاحب الأوراد»، وهو الشيخ نصر بن علي القرواشي(ت 1146/ 1733)، مؤسس الزاوية – المدرسة التي اقترنت تاريخيا بالتصوّف العالم، وتلميذ الشيخ علي العريان، وفقا لثقافة الرواية والمشافهة والسماع، وهي الرواية التي تبناها الشيخ إبراهيم الرياحي وأثبتها في مدحة الوليّ بقوله:

مخطوط « اللؤلؤ والمرجان في معرفة أوقاف القرآن» للشيخ علي بن علي الكوندي

ندوة في مدينة الثقافة سنة 2022

ذا مقام العريان أستاذ نصر
يوم أعطاه لقمة خوّاصه
فتلقى الأسرار منه وأبدى
للشقيّ الشقاء منه مناصه

3. ابن عطيّة، وهو الوليّ سيدي محمد بن عطية الملقّب بالغوث، وإليه يُنسب مسجد كان يتوسط سوق تستور، تهدّم أثناء الحرب العالمية، والزاوية الكائنة في محيط مسجد ابن الأميرة المعروف أيضا باسم جامع الزيتونة.

4. التواتي(ت بعد 1149/ 1737) الملقّب بـ» الشيخ القطب» في المتن المنقبي، وهو محمّد بن محمّد بن محمّد التواتي، الشيخ المحدّث، «كان»، على حد تعبير حسين خوجة « صالحا، له ميل إلى طريق القوم، محبا للفقراء والصالحين».

5. والكوندي (ت1119/ 1708)، كذا بالنسبة دون الإسم، « الشيخ البركة، المعتقد، العالم، الفاضل، الناسك، الأبرّ» بحسب سلسلة الألقاب التكريمية التي أطلقت عليه في الترجمة الأمّ التي وضعها له ابنه محمد الأندلسي، وستستعيد منها المصادر اللاحقة وبالأخص حسين خوجة بعض العناصر، بما يشي بما كانت شخصية الكوندي تتمتع به في ذاكرة المجموعة من تبجيل وإجلال وتعظيم: عالما وعارفا.

6 . والصغيّر صاي(ت 1235/ 1820)، الملقّب في المعجم المنقبي بـ»عزّ الرجال»، في إشارة إلى ما ظلّ يتمتع به في ذاكرة تستور من وجاهة ومكانة وكرم أحدوثة تستمد مشروعيتها من نماذج القدوة القيمية والسلوكية التي كرّستها سيرته الواقعية فضلا عن سيرته الأنموذجية أو المثالية، ولا بدعة في ذلك وهو من أسس مسجد النخلة بسوق العطارين بها، ونسخ عددا من المخطوطات منها صحيح البخاري بكامل أسفاره سنة 1230/ 1815، وأوقفه على جامعه المذكور، و»المجالس السنيّة في الأربعين النووية»، وأشرف على استنساخ نسخة منتسخة من السفر المفقود من صحيح البخاري محفوظة بالمكتبة العتيقة بالجامع الكبير بتستور، أرّخ الشيخ إبراهيم الرياحي وفاته بمرثية هائية في عشرة أبيات من الكامل في نقيشة منفذة بالخط الثلثي الغائر على لوح من الرخام تم تثبيتها بمحل سكناه من بين ما جاء فيها:

يا غافلا في غيّه عن رشده
أنسيت من مثواك غمة لحده
حتى متى لا تستفيق تمسكا
من خطب الدهر الخؤون بوعده
فتزود التقوى فنعمت صاحبا
لا يختشي نكثا لمبرم عهده
واجهد لفعل البر جهدك مثلما
كان الصغير صاي باذل جهده

7. وزُهرة الطبيبة (ت بعد1712/1124 أو1751/1165)، هكذا يلقبها النصّ المنقبي، لقبت بالطبيبة حقيقة أو مجازا، لتعاطيها تطبيب المرضى أي مداواتهم، ولما اشتهرت به من حذق ومهارات في معالجة الأسقام، وبذلك ذاع صيتها حتى غلب لقبها هذا أي الطبيبة، على غرار السيدة محبوبة الحسنية الشريفة تدعى طبّوبة والدة المرابط عقيل بن مسلم الملقب بحوّال الوادي(ت بعد 807/ 1404)، على لقبها الحقيقي وحلّ محلّه فلم تعرف إلاّ به، وهي إحدى كريمات الوليّ علي العريان، وقد كانت بدورها من الصالحات.

8. وإبراهيم الرعّاش، الملقّب بـ «زين النيّة»، وهو صاحب الزاوية- المدرسة الكائنة عند باب تبرسق، شمال غربي مركز تستور التاريخي، ولا تحتفظ له الذاكرة إلا ببعض أخبار الكرامة ذات العلاقة برمزية الماء وطقوس الطهارة، وإليه يرجع المتخيل الجمعي الفضل في بناء حمّام باب تبرسق.

9. وسيدي عمّار الملقّب بـ»ولد الشيخ»، وهو نجل الوليّ الشهير سيدي نصر القرواشي(ت 1146/ 1733) ووارث علمه.

جاء فيها قول الحاج ميلاد الشّريف:

يا ساكنين الوطن والجبّانة
من زاركم نحّوا عليه الهانة
وينو عمر الشريف سيدي المؤّدب
حتّى التواتي قطب شيخ معجّب
ومن التميمي ندهتي
متحضّب والكوند(ي) من ساعتو هناني
يا هل ترى ثماش في الرجّالة
مثل الصغيّر صاي عزّ رجاله
إذا قصدتو ما يقولش لا لا
مفقود من تستور مالو ثاني
زهرة الطبيبة بنت بابا عليّة
وينو المزوغي معاه بن تركية
وإبراهيم الرعّاش زين النيّة
عمّار ولد الشيخ حبيبو داني

4.2 قصيدة « يا طير، يا ورشان»:

– وتقع في سبعة وثلاثين (37) بيتا ، اختص الشاعر الباجي بالإشادة بخصال القدوة القيمية والسلوكية فيها أربعة (4) من رجالات تستور عدّهم «أبطال» الوَلاية والصلاح بها، و»أخيارها» أي مشائخها وبالتالي طليعة شخصياتها الروحية أو الدينية، ليس من»أصحاب الرّسوم» و»علماء الظاهر» فحسب وإنّما أيضا وبالأساس من «علماء الباطن» و»أصحاب الحال المعلوم»، هم حصريا وبالترتيب:علي العريان(ت1712/1124أو1751/1165)، الملقّب بالبحري أو السيّد، والمشكور، ونصر القرواشي(ت 1146/ 1733)، شيخ الصلحاء، والكوندي(ت1119/ 1708)، الملقب بالشيخ البركة، وابن عطيّة أو»ولد عطيّة»، وهو الوليّ محمد بن عطية البنبلي، الملقّب بـ»لابس المحصور»، وجاء فيها قول الحاج ميلاد الشريف:

يا طير يا ورشان لا تبطاشي
سلّم على العريان والقرواشي

علي الكوندي،اللؤلؤ والمرجان في معرفة أوقاف القرآن، تح. محمد كحيلة، 2019.

يا طير يا ورشان، طير وعلّي
سلّم على أهل البلاد الكلّي
ناري على الأبطال مثل الكندِ(ي)
والسيّد العريان والقرواشي
تستور فيها رجال لا تتخيّر
وأسرارهم في الناس لا تتغيّر
ارمي عليهم حِملك واتفخّر
يعطوك من فضل الكريم بلاشي
يا طير يا صبّار حضّب غادي
وانزل على الأخيار ليهم نادي
يا طير يا ورشان طير وغرّد
وقت الصلاة خليتني متنكد
وينو علي العريان أبيْ السيّد
مع لابس المحصور ولد عطية
يا نصر المشهور باهي الجيّة
راهو التحيّر ينعاد ما يخفاشي

5. سيرة الكوندي: بين الواقع والعجائبي

الملاحظ أنّنا مع هذين النصّين إزاء نمط من الكتابة لا ينتمي إلى أدب التراجم والسِّيَر الواقعية أو البيوغرافيا Biographie قدر انتمائه، بما هو كتابة تمجيدية تندرج ضمن أدب المفاخرات، إلى صنف مختلف يكتسب مادته من الرواية الشفوية ومن الذاكرة الشعبية أي من المخيال الجمعي هو أدب المناقب أي أدب السّير الأنموذجية أو المثالية Hagiographie التي عادة ما تستدعي نماذج جديدة، هي بالأساس تلك النماذج المغيّبة في كتب التراجم وهي فئة الزهّاد والنسّاك والصلحاء والعُبّاد، لا بغاية التوثيق التاريخي وإنّما بغايات أخلاقية حجر الزاوية فيها إشهار نماذج القدوة القيمية والسلوكية التي يسعى الإنسان إلى التأسي بها وحمل المتقبّل عليها.

1.5 الكوندي وأصحاب المكانة

يجدر بنا أن نتساءل ابتداءً عن هذا التداخل في استدعاء مفاخر نخب المجتمع المحلّي بين الصّلحاء الصّرحاء، على غرار علي العريان(ت1712/1124أو1751/1165) ونصر القرواشي(ت1146/ 1733) وإبراهيم الرعّاش، وابن عطيّة، وزهرة الطبيبة، وهم من «أصحاب الأحوال» و«أهل الحقيقة واليقين»، وبين الفقهاء الخلّص وتحديدا الشيخ الكوندي(ت1708/1119)، والشيخ التواتي(ت بعد 1149/ 1737) والصغيّر صاي(ت 1235/ 1820)، وهم من علماء

تحبيس أحمد باي للجزء الأوّل من «الكوندي على المختصر» على جامع الزيتونة، 1256/ 1840

الشريعة أي من أصحاب « الفقه والدين»؟

هل نستنتج من ذلك فقط المكانة المتقدمة التي ظلّ الكوندي يحظى بها في المخيال الجمعي بمنطق العقل التقديسي، إلى حد احتلاله، بمعيّة التواتي، مساحة من الإجلال والتوقير والتبجيل والتعظيم في فضاء الذاكرة تضاهي تلك المساحة التي احتلها فيها كبار الصّلحاء أو تتفوق عليها حتى وإن لم يكن « وليًا» بالمعنى الاصطلاحي للكلمة؟ أم أنّ ذلك لا يتعدى التعبير عن الاندماج الديني والروحي للتصوّف في المنظومة الإسلامية بعد أن انتهى «علما من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة» على حد تعبير ابن خلدون، بحيث «لم تعد بين علماء الظاهر، أي الفقهاء، والصّلحاء، والعبارة لأبي علي سالم القديدي(ت699/ 1300)،» أيّة مباينة إذ كل واحد منهم على طريقة»، ولا سيما في إطار التصوّف السنّي، بحيث لم يعد لفظ الوليّ هنا بالمعنى الذي يكافئ مصطلح القديس Le Saint بالفرنسية وإنما بمعنى الشخص القريب من الله.

2.5 «عالم الأندلس»: جلال العلماء وبركة الصلحاء

من جهة أخرى هل أنّ صفة « البركة» التي أطلقها عليه حسين خوجة، في تاريخ لاحق لوفاته، وهي ذات الصفة التي حضرت ابتداء في نصّ الترجمة التي وضعها له ابنه محمد الأندلسي،

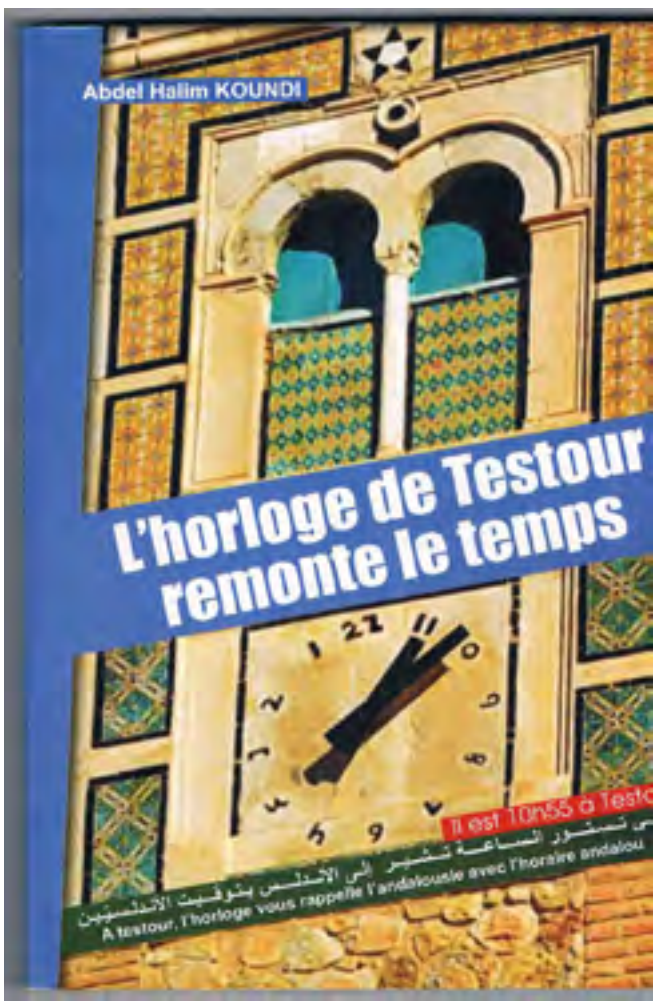

– هي البركة بالمعنى الديني المتداول أي بمعنى المبارك، النفّاع، والمعلّم للخير وبالتالي صاحب المكانة الروحية وأنموذج القدوة الدينية قيميا وسلوكيا؟

أم أنّها بمعنى صاحب المكانة العلمية المرموقة لاقترانها بلقب الشيخ، وهو هنا بمعنى الفقيه أو بالأحرى المدرّس أو شيخ الدرس بمصطلح وثائق الأرشيف؟

علما أنّ نصوصنا المصدرية تلحّ وباستمرار على وصف الكوندي بالعالم، إن لم تصفه بالعلاّمة، تبجيلا وإجلالا لعظيم شأنه، بما هو ليس فقط غزير العلم واسع المعرفة بالعلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وكلام وأصول وفرائض وقراءات وبعلوم اللغة من نحو وبلاغة، وإنّما هو من العلماء المبرّزين، من أصحاب الفهم العميق، والتمثل الدقيق، والشامل للعلوم العقلية والنقلية وما يتصل بهما، ولا بدعة في ذلك بحسب المتخيّل الجمعي وهو الذي « قد فُتح عليه في جميع العلوم «، بل لعلّه ارتقى في عصره، فعليا أو رمزيّا، إلى مرتبة، توازي في قيمتها الاعتبارية خطّة شيخ الأندلس، هي مرتبة « عالم الأندلس» على معنى عالم الأندلسيين الأكبر بالإيالة التونسية في عصره، أو بالأدنى احد أعيان علماء تونس الأندلسيين، وآية ذلك الصيغة التي أرّخ بها نجله محمد الأندلسي وفاته في قوله « مات الكوندي عالم الأندلس».

3.5 الكرامة وبناء المكانة:

الجانب الكرامي والعجيب في أخبار مناقبه ممثلا في كرامة الرؤى والكلام بالمغيبات بمعنى قدرة الكوندي، صالحا، على المعرفة الاستباقية أو «الكشف» أو التنبؤ بالغيب بمعنى تمتعه بنوع من الحدس القويّ أو الحاسة السّادسة مثل إخباره بتاريخ وفاته، فيما روى ابنه محمد الأندلسي، قبل موته بخمس سنوات، لمّا قال لبعض طلبته: «يا ولدي، هذا جبل من العلم يمشي فوق الأرض، وبعد خمس سنين يدخل الأرض»، أو مكاشفته لأحد مريديه، وهو أحمد السعيدي، استباقيا بهويته قبل أن يدلي بها، وإخباره بمرامي طموحه قبل أن يفصح عنها، هل نحن معه إزاء وقائع حدثت بالفعل أم نحن إزاء قراءة في هذه الوقائع تعبّر عن ذهنية جماعية قادرة على استيعاب العجيب والخلاّب وكل ما هو خارق للعادة وتصديقه؟

وفي السياق نفسه، سياق تكريس الجانب الكرامي في شخصية مترجمنا، يتنزّل، في تقديرنا، ما كرّسه المتخيل الجمعي في برنامج شيوخ الكوندي، زيادة على الشخصيات العلمية الواقعية التاريخية، من تتلمذ لشخصية علمية أسطورية هي شمهروش الجنّي، في كناية واضحة عن علوّ الكعب المعرفي والتفوّق الامتيازي في « العلم الشريف «، حيث « شاع في الآذان، وبالتالي في الأذهان والتمثلات والمتخيّل الجمعي، أنّ الشيخ(= علي الكوندي) قرأ الموطّأ على شمهروش»، وهي الذهنية التي لم تعترض عليها كتب الفقه المتأخرة على غرار»رد المحتار» لمحمد بن عابدين، بل كرّستها وشرعنتها حيث رأت أنّ «تدريس الجنّ كرامة»، أوليست كرامات الأولياء هي الوجه الآخر لمعجزات الأنبياء أي ذهنية تستهدف اللاوعي الشعبي وتعبّر عن التمثلات الاجتماعية، بحيث نكون إزاء هذه الكرامات إزاء صفات تتجسد من خلالها تصورات اجتماعية معيّنة تخلعها المجموعة على الإنسان الصالح حيّا كان أو ميّتا لكي تتخطى الوجود والأزمنة والأمكنة وتنحت من خلالها، على حدّ تعبير الجيلي، صورة الإنسان الكامل الذي تعلّق به مرامي طموحها.

خاتمة

الأرجح في تقديرنا أنّ حضور البعد الصوفي، في سيرة الكوندي، سواء بالمعنى الزُّهدي الذي تشهد عليه صفات من قبيل «الناسك»، بمعنى الزاهد والمتعبّد، ومن قبيل « الأبرّ» بمعنى المتوسع في الإحسان طاعة لله، التي اقترن بها شخصه كلمّا ذكر إسمه، وخاصة بالمعنى الكرامي في سيرة الكوندي الواقعيةBiographie وسيرته المثالية Hagiographie على حد سواء، يعبّر أساسا عن تبني النخب المثقفة في القرنين XVII و XVIII المشروع الصوفي العالم بشكل خاص وانبرائها للدفاع عنه باعتباره مسلكا أمثل للخلاص ممّا جعل التصوّف جزءا من ثقافة العصر ومكوّنا بنائيا ضروريا في شخصية العالم/ الفقيه، وحوّل الوَلاية إلى مصدر ركيزي من مصادر اغتذاء العقلية الدينية السائدة وبالفعل فإنّ المتأمّل في سير أعلام الحياة العلمية التي احتفت بها كتب التراجم بالبلاد التونسية لهذا العهد يلاحظ استهواء المثل الأعلى الولائي لعدد منهم إمّا تعاطفا وإمّا تبنّيا.

«مطبات» كتابة السيرة الذاتية

المنجي السعيداني (روائي وإعلامي)

بقطع النظر عن التصنيف الذي يوضع في إطاره إبداع أي كاتب يروم كتابة سيرة ذاتية أو رواية سير-ذاتية، أو سيرة ذاتية روائية، فان المصاعب والمشاكل والمطبات كثيرة عند التوجه إلى هذا النوع من الكتابة، فلا يذهب إلى ظن من يقرأ أو من ينقد أو ربما ينتقد، أن المسألة بسيطة أو عادية ويكفي الكاتب أن يفتح صفحات الذاكرة ويحبر فيها ما علق بثناياها من أحداث ومن شخصيات ليفلت من مشاكل كتابة السيرة الذاتية واشكالياتها، بل إن الأمر أعمق وأعوص من ذلك بكثير حتى وان كانت السيرة الذاتية في حد ذاتها ثرية أو استثنائية كما يقول الكثير من النقاد...

وندخل البوابة الأولى لتلك المشاكل من اتخاذ قرار فردي بكتابة تلك السيرة وما سيحف بها من خفايا وخبايا، وعندها يكون التساؤل الأعمق ماذا سيظهر الكاتب في تلك السيرة وما الذي سيتكتم عنه أو ربما يضمره ويبقي عليه بينه وبين نفسك؟ وإذا بدأت من أقرب الناس إليك خاصة في أيام الطفولة والشباب، فانك ستجد حواجز نفسية جمة ومحظورات عديدة في تقييم محيطك وما انتشر فوقه من شخصيات ويكون من الصعب الاختيار بين تلك الشخصيات التي تروم الارتكاز عليها في البناء الروائي، وربما يكون الفيصل بينها هي درجة مساهمتها في إظهار الأبعاد الإنسانية والنفسية للشخصية الرئيسية، أو شخصية «السارد العليم» كما يدون النقاد، وهذه الشخصية نفسها محل تساؤل، فهل هي تمثل الكاتب/ المبدع أم هي بمثابة المرآة التي يعتمد عليها لكشف جزء من حياته والعيش في ظلالها في حال اشتبكت عليه السبل...

الفترة الأولى من السيرة الذاتية...حياة عميقة

ولعل كتابة الفترة الأولى من حياة الشخص أو سيرته الذاتية يكون الأقل صعوبة خاصة على مستوى العلاقات إذ أن معظم الذين كتبت عنهم وذكرتهم بالتفصيل في سيرتك الذاتية قد يكون الكثير منهم قد غادر الدنيا فلا تكون محل مساءلة من قبل الكثير منهم، وإذا استشكل عليك الأمر فعليك أن تغير الأسماء حتى لا تكون محل مساءلة عائلية واجتماعية ولا أظن أن الجرأة وما يسميه النقاد «البوح» أو «الصدق» ممكن في ظل الكثير من المحظورات والمقدسات، ومسوف ودعي من يدعى كمال الصدق فيما كتب...ويدرك من يريد كتابة السيرة الذاتية أن سيرته الذاتية هي في نهاية المطاف تتضمن سيرا ذاتية للكثير من حوله فهل يذكرها ويعطي فيها رأيه بصراحة- قد تكون جارحة- أم يتغاضى عنها أو يغض عنها الطرف حماية لها وله؟

وحتى لا يبقى كلامنا نظريا، ففي الجزء الأول من سيرتي الذاتية الروائية وعنوانها «حياة عميقة» الصادرة عن دار «نحن» للإبداع والنشر والتوزيع في نوفمبر2021، اخترعت شخصية «فارس الهلالي» وحملته الكثير مما لا يحتمل، وكان بمثابة الظل الذي أختفي وراءه، فإذا كان هناك موقف فيه إثارة من أي نوع أختفي وراءه وأدفع به إلى الواجهة، وكان يعوضني أحسن تعويض، وإذا كانت

الكتابة سردية وصفية أو أنها تعتمد لغة شعرية غير موجهة لشخص بعينه، فان حضور الكاتب يكون مهما ومؤثرا...

على حافة الصفر

وأغرتني هذه التجربة وواصلت انتهاجها في الجزء الثاني من سيرتي الذاتية الروائية وعنوانها «حياة على حافة الصفر» الصادرة في طبعة أولى في فيفري2023، وفي طبعة ثانية في شهر أفريل من هذه السنة، ومع ذلك كان تساؤلي عميقا حول شخصية «فارس الهلالي» التي بدأت تزاحمني وتخطف مني الأضواء حتى أنني صرت أغار منها وأبحث لها عن مطبات قد تكون خيالية في الجزءين الأولين من هذه السيرة... وقد أتصالح معها في بعض الردهات ولكنني في أعماقي غير راض عنها وهو ما جعلني أتساءل في تقديم الجزء الثاني عن هذا الشخص قائلا: ويبقى السؤال مطروحا...من هو فارس الهلالي؟ هل هو صورة طبقا للأصل مني أم شخصا آخر دخيلا على النص وهو في نهاية الأمر مثل الشماعة التي نعلق عليها ما لا يمكننا تحمل أعبائه، وهل أواصل التعامل معه في الجزء الثالث من سيرتي الذاتية أم أخترع له حيلة وألقي به في اليم أو في النار؟...

وهذا الإشكال لا يشمل الشخصية الرئيسية في السيرة الذاتية الروائية بل متواصل مع بقية الشخصيات حتى أن بعض القراء خاصة ممن عايشوا نفس الحقبة الزمنية قد مارسوا لعبة «الغميضة» مع الكاتب من خلال البحث عن طبيعة الشخصيات الواردة في السيرة الذاتية ومطابقتها مع الواقع، وهناك من سألني عن شخصيات الجزء الأول(حياة عميقة) وكان التساؤل حول شخصية الشيخ الطاهر وهو شخصية حقيقية كانت تزورنا في بيت العائلة وتسكن لدينا وتأكل من خيراتنا لكن خوضها في مسائل الإفطار خلال شهر رمضان واستدعاء شخصية الزعيم الحبيب بورقيبة من خلال إباحتها

للإفطار خلال عقد الستينات من القرن الماضي، جعلت بعض النقاد ومن بينهم الإعلامية وفاء الطرابلسي تربط في برنامج تلفزي بين شخصية الشيخ الطاهر الواردة في الرواية وشخصية الشيخ العلامة الطاهر بن عاشور الذي كان لديه موقف متناقض مع «فتوى بورقيبة» ولعل تشابه الأسماء هو الذي بالنقاد نحو هذه المقارنة. كما تساءل آخرون عن شخصية «النوري» وشخصية صالحة ومحبوبة وعلق بعض القراء عند اطلاعهم على أحداث الجزء الأول من سيرتي الذاتية الروائية بأنها أرجعتهم «إلى زمن بعيد» ...

أسئلة...دون أجوبة

وبعد هذه التجربة ما زال في أعماقي الكثير من التساؤلات الشخصية حول تلك الشخصيات، هل كانت وفية للواقع وأمكن الحديث عنها دون بهارات زائدة أم أن تلك البهارات المتمثلة خاصة في الخيال ومغادرة طوق الواقع لا بد منها، وهي على ما أعتقد موجودة في كل السير الذاتية من «الأيام» لعميد الأدب العربي طه حسين وحكاية ذاك الفتى، إلى «الخبز الحافي» لمحمد شكري، ومقارنة مع تلك السير، فان ما كتبته أظهر وأضمر لأن «طابوهات» الكتابة كثيرة وهي تزداد تعقيدا كلما اقتربت زمنيا من سنوات حياتك ومحيطك الذي تتحرك فيه، فالكثير من القراء سيقولون إن ما كتبته حول الجامعة التونسية خلال عقد الثمانينات من القرن الماضي لا يمثل إلا النزر القليل مما يمكن إظهاره، ولكن الجواب هو أنني اعتمدت طرقا ملتوية للكتابة عن وضع سياسي متوتر وأنا على يقين أن من سيقرأ ممن عايش نفس تلك الفترة سيقول هذه الشخصية على غرار «كعب» أو «عطف» أو «سعد الحديدي» أعرفها جيدا وقد قابلتني في أكثر من رواق جامعي و وأكثر من منعطف من مشرب الجامعة...

ويبقى السؤال مطروحا هل لكاتب تونسي عربي مسلم أن يبوح بكل شيء في حياته ويظهر كل ما عاشه من تفاصيل تتقاطع مع سير ذاتية أخرى؟ هل يحكي مغامراته الحياتية بتفاصيلها المتشعبة ويورد ظنونه وشكوكه تجاه الناس ورأيه الصريح في الكثير من المواقف دون مساحيق، هذا أمر صعب إن لم نقل أنه مستحيل وستجد الكثير من كتاب السيرة الذاتية يعيدون تلك العبارة التي أوردها الكاتب المصري إحسان عبد القدوس حين قال «أنا لا أكذب ولكنني أتجمل» ...

وفي كل الأحوال، لا أظن أن كتابة كل شيء ممكن وإذا أراد الكاتب/ المبدع أن يتصالح بالكامل مع نفسه وأن يكشف للناس كل العواطف والمشاعر الدفينة والأفكار العميقة، فسيقابل بالويل والثبور...وأزعم بل وقد أجزم أن ذلك يتطلب تجردا كاملا للكاتب من مجموعة من القيم والمبادئ الإنسانية وهذا قد يكون على حساب ذاته، وبقية الذوات التي أوردها في سيرته الذاتية... وأعتقد في النهاية أن جل الإبداع الإنساني هو في عمقه سيرة ذاتية سواء مباشرة لحياة الكاتب أو سير بقية الشخصيات الواردة في النصوص الإبداعية سواء أكانت قصة أو رواية أو شعرا أو مسرحا- لذلك لن يفلت أحد من المبدعين من بوتقة السيرة الذاتية ومطباتها المتعددة...

دور الرواية في التوثيق التاريخي :
"حذاء اسباني" أنموذجا

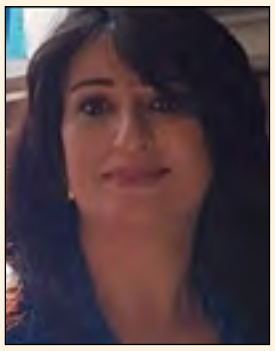

بهيجة بالربيع بنرقية

الكتاب الذي لا يدفعك الى التأمل،الى التفكير ،لا يدغدغ حواسك ولا يوقظ في داخلك مشاعر متناقظة الى حد الارتباك ، الكتاب الذي لا تقتحم أحداثه تفاصيل حياتك ويجعلك تتخيلها وأنت تمارس نشاطك اليومي، وأحيانا تُبعث بعض مقاطعه أمامك من خلال مواقف ،أو أصوات ،أو أشخاص ،فيتراءى لك وكأن المكتوب أفلت من اطار صفحات الرواية ليتجسّد لك واقعا يعايش يومك ويشاركك تخيلاتك فهو كتاب جعلتك مدة قراءته تخسر أياما من عمرك الثمين .

كتاب اليوم تترنح أحداثه بين الواقع والخيال ، بين ما شهدته اسبانيا أيام الحرب الأهلية وما بعدها ،وحياة ضابط هارب من الموت لينتج لنا حياة تخلدها أسطورة كفاح ، كان للحظ فيها النصيب الأوفر ليجعل منها قصة بطولة ونجاح .

رواية "حذاء اسباني " لمحمد عيسى المؤدب " تندرج ضمن نمط معين من الكتابة الروائية ،وهي الرواية التاريخية التي تستخدم أحداث التاريخ وشخصياته كخلفية لها ،وتمزج بين الحقيقي والخيال لتضفي طابعاً من التشويق اللذيذ والمتعة الروحية العذبة .

نشأ هذا النوع من الكتابة قبل القرن التاسع عشر .ولكنه لم يشهد نجاحا كبيرا الا مع ظهور أدباء عمالقة ك"والتر سكوت" من خلال أعماله التي أعطت الزخم لظهور ما يسمّى اليوم أفضل الروايات التاريخية, و "فيكتور هوغو" وروايته" البؤساء "، و"ألكسندر دوماس" و"تولستوي " من خلال مؤلفه " الحرب والسلم " وانتقلت عدوى هذا النوع من الانتاج الى العرب فلمعت أسماء كثيرة منها على سبيل الذكر لا الحصر : جورجي زيدان و" طه حسين" من خلال روايته "الأيام "و "عبد الرحمان منيف" "أرض السواد " و"حسنين بن عمو" من خلال سلسلة من الروايات الشيقة التي تصف فترات معينة من تاريخ تونس في قالب درامي ،سردي شيق ،وها نحن اليوم أمام رواية من نفس الصنف تجرف القارئ بنعومة لتجعله في رحلة ذهاب وإياب لا تنتهي بين اسبانيا وتونس ،رحلة مشحونة بكثير من الألم والأمل. مراوحة بين حضارتين مختلفتين وان بدا لنا منهما بعض التطابق...

تقول الروائية التونسية هند زيادي في أحد حواراتها :

"الرواية كتاب التاريخ الحقيقي، تاريخ المهمشين الذي سكت عنه المنتصرون، تاريخ الجزئيات التي تصنع الصورة الكلية، تاريخ الشخصيات التي شكلت هوية الأمكنة بأفعالها وصنعت بطولاتها بطريقتها الخاصة التي تخرج عن "كتالوج" البطولة الرسمية، تاريخ الأفكار الثائرة التي تختلف عن الحقائق السائدة التي تقرها السلطة الرسمية."

وأتساءل : من يتذكر أو يعرف بناة الأهرام ،و صروح بابل وأقواس النصر ؟ من كتب عن هؤلاء الذين شيدوا الأبراج العملاقة والمدن وعبدوا الطرقات تحت أشعة الشمس الحارقة وبرد الشتاء المميت ؟ التاريخ يذكر فقط أسماء من حكموا، ومن قادوا ،ويهمل ذكر أسماء أصحاب السواعد التي بنت لأنهم في نظره مجرد أدوات لتنفيذ مشاريع . يجردونهم من روحهم ووعيهم ويشيّئونهم ،فهم يدخلون في خانة التفاصيل التي لا جدوى من ذكرها ويغفلون على

أن التفاصيل هي ما يصنع الكل.

هل ظلمهم التاريخ ؟ نعم !! لذلك وجدت الروايات والقصص لتخلد ذكراهم وتحفظ رائحة عرقهم ودموعهم .

محمد عيسى المؤدب

مانويل قريقوري أحد هؤلاء الذين أهملهم التاريخ وأحيتهم الرواية رواية " حذاء اسباني "للكاتب التونسي محمد عيسى المؤدب صادرة عن دار مكسيميلان تتكون من 307 صفحة .

.محمد عيسى المؤدب من (مواليد 10 أكتوبر 1966) هو روائي وقاص وناقد تونسي من بلدة صاحب الجبل التابعة جغرافيا لمدينة الهوارية بالوطن القبلي. فاز بالجائزة الوطنيّة لأدب الشّباب في القصّة القصيرة في تونس عام 1995 عن مجموعته القصصيّة «عرس النّار»، وجائزة الكومار الذهبي للرواية العربية في تونس عام 2017 عن روايته «جهاد ناعم». وعلى جائزة الرواية خلال الدورة 36 ل " حذاء اسباني " . ثلاثية متصلة في مشروع " الأديان والمكان " .كتبت بشغف يمس القارئ من أوّل كلمة الى آخرها .

"حذاء اسباني" لماذا هذا العنوان بالتحديد؟

اختار الكاتب هذا العنوان لما يحمله من رمزية تاريخية في ذهن الشعب الإسباني ، ولدى بطل الرواية على الأخصّ ، فالحذاء كان سبب شقائه وهو أيضا سبب نعيمه ، أو لنقل وسيلة انقاذه في بلاد الغربة ، وطريق فتح أمامه أبواب السعادة رغم ما يكتنفه من محطات حزن وألم .فمانويل تربّى في كارتاخينا مع أخيه سيباستيان الذي كان يعمل صانع أحذية وتعلم عنه فن هذه الحرفة وكانت وسيلته الوحيدة لكسب المال والشهرة وتقدير أصحاب النفوذ حتى أصبح علامة تجارية بارزة جعلت الصحافة الإسبانية تكتب عنه فيما بعد كقصة كفاح ونجاح :«مانويل قريقوري: الحذاء الاسباني الذي غلب وهزم حذاء فرانكو» (274).

والحذاء هو عنوان التعذيب الذي استعمله فرانكو ضد المعارضين . حذاء من حديد مزوّد بحابسٍ أماميّ وحابس خلفيّ وفي داخله أسنان مذبّبة، ويشدّ هذا كلّه بقلاويظ محكمة تحشر فيها قدم السجين فتدخل تلك الأسنان اللحم حتى تنهش العظم.

والحذاء رمز الى العسكر ، رمز الحرب ،وهو حذاء الضابط ان فقده فقد جزءا من سلاحه الحربي . وهو مبعث الرعب والهلع أيضا " أثناء عودتي من فيلا موريس رأيت العساكر في محيط الحي ، ودققت أكثر في الأحذية ذات الرقبة الطويلة وتخيلتها تضغط على رأسي " ص 164 والحذاء في تناقض مدهش مع ما سبق هو أيضا رمز للتعبير عن الحب ومنبع الدهشة . فقد خص به حبيباته ومن سكنّ منه القلب والوجدان ، ونقش أول حرف من أسمائهن عليه " بعد أسبوع عدت الى فرجينيا محتضنا صندوقي الشبيه بصندوق الحلوى ، وكانت الشقراء تنتظرني، وقد أعياها انتظاري، ارتدت الحذاء مطلقة آهات اعجاب : " كما انتظرت يا عزيزي انه أجمل من حذاء السيدة تيريسا " . من خلال أحذية الرجال والنساء قفز اسم مانويل في مدينة الحب وصار به نجما.

جدلية المكان والزمان في الرواية :

تبدو أحداث الرواية في حالة حركة دائمة تصيبك بالدوار والارتباك . هي مراوحة بين الحاضر والماضي ،لا بد أن تكون في حالة تركيز وخلوة تامتين حتى لا تنزلق منك التفاصيل وتضيع في المكان والزمان فبين القلعة وبرج أبويلا في كارتاخينا الى باب بلد والميناء وبرج قليبية .وبين اسبانيا وتونس وحلق الوادي وبنزرت تتعاقب الأحداث وتتنوع الشخصيات.

فتحت الرواية بأحداثها أبوابا ثقافية واجتماعية وسياسية ودينية على بلدين هما إسبانيا بلد النزوح، وتونس بلد المأوى ، حوّل الكاتب المستعمِر القديم الى لاجئ والمستعمَر الى مضيف كريم لطيف.

تبدأ الرواية مع الأستاذ أنور الذي جرفته ظروف العمل الى مدينة قليبية ،وأخذه البحث عن مكان يستقر فيه الى فندق فلوريدا ومنه الى اكتشاف الأمكنة وأصحابها وربط علاقات مع أهلها ومعالمها الى درجة جعلته يحفر في تاريخ بعض شخوصها ومنها شخصية مانويل قريقوري الضابط بالمشاة البحرية الإسبانية في فترة الحرب الأهلية التي بدأت في 1936 وانتهت في 1939م باعتراف الدول بحكومة القوميين بقيادة فرانكو، حيث يهرب من بطشه ومعه عدد كبير من زملائه من الضباط والمدنيين إلى بنزرت، ومنها إلى قليبية،

ويتحول من هارب ملاحق الى رجل اعمال ، وصاحب أول فندق يتم تأسيسه بهاته البلدة الصغيرة جغرافيا الكبيرة تاريخيا ،العميقة جماليا، بلدة فتحت أحضانها للعابرين

وأبناء السبيل ،للهاربين والمحاربين وحتى الغزاة .جمعت بين بحرها وبرها العديد من الأجناس بما يحملون من عقائد واديان وأعطتهم من طيبها ورحيقها . " وان كنت أفهم وجود الفرنسيين بهذه المدينة ،فاني لا أجد تفسيرا لوجود جنسيات أخرى بها ولاسيما الإيطاليين.أي سحر فيها وأي سر ؟ " ص 192 . لعل طيبة أهلها وانفتاحهم على كل الجنسيات مع تمسكهم بأعرافهم الدينية السمحة كاكرام الضيف من الأسباب التي تجعل الزائر مقيما : "ظللت ،أفتح الباب في كلّ مرّة فأجد مثل تلك القفّة ممتلئة بالأكل . من يضع القفّة يتعمّد الاختفاء بسرعة وهو ما حيّرني ... سأعرف بعد ذلك أن هذه عادة في زاوية الخضراء لحفظ القرآن ... وبما أنني وافد جديد على باب بلد فقد أكرموني بهذه العادة ثلاثة أيام ..تساءلت في الأثناء ماذا لو عرفوا أني مسيحيّ ؟" . ص 159

تصل رسالة الى الأستاذ أنور تطلب منه صاحبتها المنتحلة لصفة صحفية أن يساعدها على كشف الستار عن الحياة الحميمية لمانويل،صديقه الإسباني الهارب من براثن حرب أهلية " قرات الرسالة بتركيز شديد ،وأيقنت وأنا أعيد القراءة أن المصالحة عند الشعوب المتحضّرة لا تتم الا عبر الحفر في التاريخ المنسيّ ومعرفة ما وقع بدقّة، أما نحن العرب فإننا نهدر الدماء وبعد ذلك نتقزز من النظر اليها , نحن نخشى النبش في تاريخنا الدامي،حاضرنا حيرة، ومستقبلنا مبني على الهواء،لذلك نحن لا نتقدم ،بل نسير في خط دائري " ص 21

تنطلق رحلة استنطاق الذاكرة والأمكنة ،والأشخاص لنكتشف كيف حول هذا الضابط المنفي الألم والغربة الى ارادة وانتصار ،وكيف خلّد اسمه واسم حبيبته على أرض ليست أرضه من خلال معلم جمع البحارة والفنانين وحتى الرؤساء. " حاولت أن أجعل من المرأة التي سكنتني أعواما مأوى ." ص237. انه نزل فلوريدا القابع على شاطئ قليبية في حضور مزدوج بين التونسي والاسباني يذكرنا دائما بأن " وطن الانسان هو المكان الذي تنتهي فيه كلّ محاولاته للهروب " ولم ولن يكون أبدا تلك النقطة الصغيرة التي صادفت ساعة ولادته. وتؤكد لنا الأحداث التاريخية وحتى الدينية صحة هذه النظرية فحتى الأنبياء والرسل لم تكن أمكنة ولادتهم هي أوطانهم.

مكانة المرأة في "حذاء اسباني "

كل الأدوار التي لعبتها المرأة في هاته الرواية جعلت منها نبعا للحب اللامشروط. هي الأم التي انكبت على آلة الخياطة لتصنع ما يدفئ أجساد صغارها ، وهي الحبيبة الأولى التي كانت تركض بين الورود وتشهق ضاحكة حالمة ،تشبك أصابعها الدافئة ،المتعرقة في أصابع حبيبها وتهمس له " ان كنّا لا نملك بيتا ،فهذا قصرنا يا مانويل ،وان كنا لا نملك وطنا فهذه أرضنا " فلوريدا حبيبة الطفولة والشباب، حبه الأول ، أخرجها من قبر الذاكرة ليحييها من خلال تسمية نزله باسمها . المرأة في الرواية هي أيضا ايزابيلا الإسبانية صاحبة كازينو حلق الوادي..أول امرأة احتضنت جسد مانويل المرتجف ،المبلل ، الوسخ ، الهارب من الموت "في رمزية عفوية بأن كل الأرض هي وطننا وان اختلفت التسميات فاسبانيا التي تركها خلفه سبقته ليجدها أمامه .." تلك الليلة غسلتني من التعب والخوف والألم ورائحة الموت " ص 138

" لم تكن عينا ايزابيلا عيني مومس تفتح ساقيها لرجل عابر في سرير عابر ،انها امرأة بقلب حر وجسد ساخن ، الجسد الساخن يمنحنا الحب بلا توسّل سخيف ، يمنحنا ارتعاشة الباطن ،لا ارتعاشة أنصافنا السفلى ،في حضنها لامس باطني اللذة القصوى والممكنة ، لذة تحمل الروح الى الأقاصي التي تصلنا بروح المسيح ، في عينيها رأيت العالم ينزف ويحتج... " ص151

المرأة فرجينيا كوفنسانو أو فرجينيا الخياطة كما لقبها أهل قليبية ، المرأة الهاربة من ايطاليا, قادتها الصدف الى" مدينة لم يتحرش فيها بها أحد ،ولم بضايقها الجيران ،تغادر المنزل في كل الأوقات فماذا تحتاج أكثر من ذلك ؟؟ ص139 .امرأة مزهرة ،خياطة كأمه ،تكسي أجساد النساء بألوان البحر والسماء .

تتعدد أسماؤهن في الرواية من الأم الى الأخت الى الحبيبة الى العشيقات والصديقات مرورا بالخادمة والموظفة ولم تكن ولا واحدة منهن مصدرا للشر أو التلاعب ،كلهن كن ملاجئ لفرسان هاربين وقلوبهم مرافئ للمعذبين والمنبوذين ،هكذا تكون المرأة عندما يخلو فكر الرجل من لوثة التجريم التي بُني عليها العقل المتطرف. وعلى عكس أنور الذي كانت تشده مؤخرات النساء ويطاردها بنظرات جائعة ، كان مانويل يُشد الى هشاشتهن ورقتهن وأنوثتهن . وفي الوقت الذي يصف فيه مانويل أجساد النساء الدافئة المترعة بالجاذبيّة والجمال دون التركيز على التفاصيل في رقيّ لافت ،كان أحد البحّارة القليبية يشبّه مركز جنس المرأة بقنفد في صياغة بليدة وركيكة وهنا يكمن الفرق .

وأنت تقرأ "حذاء اسباني" سترى من خلال الأسطر بحر قليبية بأمواجه المتلاعبة ، الممتد كهلال على أطرافها ،ستجذبك أنوار المراكب المسافرة فيه ،وتصلك أهازيج البحارة ،سترى برجها وميناءها ،ستشتم رائحة السمك المُعبّئ في سلال العمال وهم عائدين فجرا الى بيوتهم ، ستسمع ضحكاتهم ووشوشاتهم داخل حانة فلوريدا وتشتم رائحة أطباقه المميزة،حتى القطط المنزوية تحت كراسي رواده تنتظر نصيبها من الطعام ستراها من خلال وصف الراوي ورسمه لصور مازالت تتكرر الى اليوم رغم تغيّر بعض تفاصيلها . "حذاء اسباني" ليست مجرد رواية للمتعة ، انها توثيق للذاكرة الجماعية ولأسلوب عيش فئة من التونسيين و تسليط ضوء على قطعة من أرض تونس جمعت كل الحضارات والأديان وتعايش أهلها في وفاق ومحبة وسلام . رفضت الدخول في تجاذبات سياسية رغم أن الظرف كان يدعو الى ذلك ،فبورقيبة تعرض الى محاولة قتله على أرضها وتشتت أهلها بين دستوري وقومي ، ولم يدم ذلك كثيرا فحياة القوم هنا لا يتسع صدرها لأكثر من الفرح . أنور القادم من جبال الكاف النقية تزوج اسبانية وعاش على ساحل قليبية وصادق اجانب وأنجب طفلا هو مزيح من كل هؤلاء ولكنه لم يجد له مكانا على أرض اجداده فهاجر بحثا عن حياة أفضل.

الأرض بكل ذرة فيها هي وطن الانسان مهما تعددت التقسيمات و التسميات. الانسان ليس مسؤولا عن مكان ولادته ولكنه مسؤول عن اختياراته.. المكان الذي يحقق كرامتك هو وطنك.." أيها السادة صحيح أنني عشت في المنفى بشمال افريقيا،وبتونس تحديدا،ومع ذلك استطعت تحويل الآلام الى تجربة كفاح وسلام ،لقد حاولت بكل ما أوتيت من جهد أن أحوّل الحذاء الحديديُ الذي يقعد الانسان الى حذاء من الجلد الناعم يضيء له الطريق ." ص 237

لعل هاته أبرز رسالة تخرج بها بعد قراءة الرواية .

مانويل ولد في اسبانيا وعاش ومات بقليبية ودفن في بورجل مقبرة الأجانب بتونس العاصمة.

صورة تتحدّث

سوق القماش

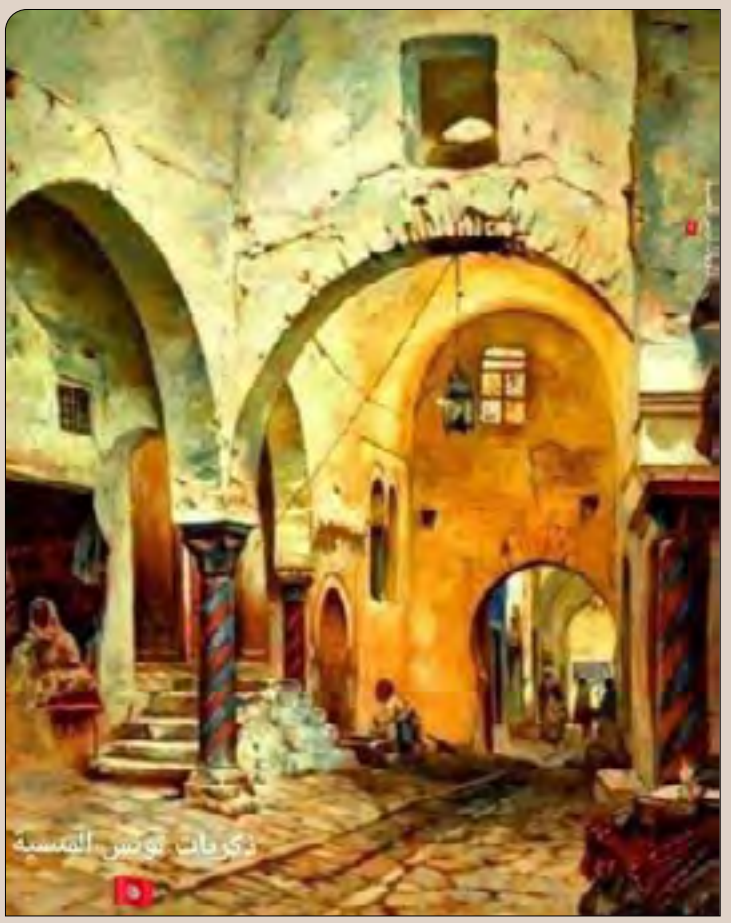

يعود انشاؤه الى العهد الاغلبي في القرن التاسع ميلادي وهو أقدم سوق في مدينة تونس، وأعيد ترميمه وإعادته إلى نشاطه في عهد السلطان الحفصي (أبو عمر عثمان) في القرن الخامس عشر ميلادي، ويوجد سوقان أخران متحاذيان، كانك خارج على سوق الربع في اعلى نهج تربه الباي وكان يوجد مسجد (الرمادين) بالمكان و(الرمادين) هم صناعيون كانو يعالجون الاقمشه الخشنه بالرماد حتى يقع ترطيبها وتصبح سهله الخياطه ثم يقع إعطاء الاقمشه التي وقع ترميدها الي (الكمادين) لاكمال العمل وهو كان بمثابه الكي وهي المرحله الاخيره لتهيئه الاقمشه شديده الخشونه، وكانت هذه الأسواق بمثابة سلسلة من بعض لإكمال المهمة من سوق إلى أخر حسب المراحل، أي سوق (لقماش) ثم سوق (الرمادين) ثم سوق (الكمادين)

وكان هذا السوق مشهور أيضا بتجارة القماش المحلي والمستورد خاصة من الهند كقماش القرماسود والحرير أما اليوم فإنها سوق لتجارة منتوجات الصناعات التقليدية أغطية، زرابي، مرقوم... ،ويتكون السوق من ثلاثة أروقة تفصله مجموعتان من الأعمدة. الرواق الأوسط مخصص للتنقل داخل السوق في حين خصصت الأروقة الجانبية للمتاجر، وتسمح الفتحات في السقف بمرور ضوء الشمس و توفير إنارة طبيعية للسوق وللمحلات قبل استعمال طرق الإنارة الحديثة، ومن بين المعالم الموجودة في السوق كذلك الزاوية التي دفن بها العالم ابن العصفور. ونخليكم مع زوز رسومات لسوق نادرة جدا.

صهيب لطرش
ذكريات تونس المنسية

حوار مع الروائية الفلسطينية أسماء ناصر أبو عيّاش :

الكتابة الإبداعية ليست قراراً أو كبسة زر وإنما هي فعل إبداعي يؤدي رسالة

حاورها : صلاح بوزيّان - أستاذ باحث

إنّ المتأمل في الروايات والقصص الفلسطينية الطّالعة من صميم اليومي في مدائن فلسطين يسمعُ صدى النّضال و الصّمود في سجون العدو والكفاح الثوري، إنّه صوت المقاومة الفلسطينية لعنجهية الغطرسة الصهيونية، اليوم اخترنا الحوار مع الكاتبة أسماء ناصر أبو عيّاش من فلسطين المحتلّة ، لتحكي لنا عن تجربتها الأدبية.

- أسماء ناصر أبو عياش من أنتِ؟

كما تفضلت أنا أسماء ناصر أبو عياش (من مواليد سنة 1953 بالزرقاء/ الأردن)روائية وكاتبة من الأرض المحتلة أكتب في الأدب السياسي. بدأت تجلياتي في مرحلة مبكرة في كتابة خواطر وشذرات نشرت في الزاوية الثقافية في صحيفة الرأي الأردنية في سبعينيات القرن الماضي وربما شكلت تلك المحاولات الصاعق الذي فجر قنبلة الكلام في رأسي!

تعود أصول عائلتي إلى مدينة يافا المحتلة، ولدتُ في مدينة الزرقاء في الأردن بعد أن قام الإحتلال الإسرائيلي بطرد عائلتي والآلاف من شعبي عشية جائحة النكبة عام 1948 من فلسطيننا.

التحقت للدراسة في الجامعة اللبنانية في بيروت ، تحصلت على الإجازة في التاريخ و الصحافة ، عضوة اتحاد الكُتّاب و الأدباء الفلسطينيين ، عملت صحفية في صحف عديدة ، و اشتغلت مترجمة الإعلامي الخارجي لمنظمة التحرير الفلسطينية / ببيروت، هناك حتى اجتياح العدو الصهيوني لعاصمة النور بيروت عام 1982.

أخذتني وعائلتي الصغيرة المنافي من بيروت إلى دمشق وتونس فعمّان ومن ثم إلى عودة منقوصة ومجتزأة إلى بعض فلسطين وأقيم اليوم في رام الله المحتلة.

- ذكرت أنك تكتبين في الأدب السياسي.. ما ذا تعنين بذلك؟ وفي أي الأصناف الأدبية؟

برأيي الكتابة الإبداعية عموماً ليست قراراً أو كما يقال - كبسة زر- بل هي فعل إبداعي يؤدي رسالة بغض النظر عن موضوعها، ربما هي إلهام يحط عليك قدراً. كتبت في المقالة وفي الذاكرة الشفوية كما في روايتي «يافا أم الغريب» وفي السيرة الذاتية والغيرية كما في «فدائي عتيق» وحالياً أُعنى بأدب الأسرى وما يبدعون سواء قراءة أو متابعة إصداراتهم مع دور النشر والمعنيين.

- «يافا أم الغريب» من عنوانها تبدو وكأنك توثقين سيرة مدينتك المحتلة!

هي ذاكرة يافيين طردوا من يافا يافعين ثم عادوا إليها بعد أجلٍ زائرين ولم يتمكنوا من دخول بيوتهم لأنها محتلةً من مستجلبين من يهود العالم، فآثرت تسجيل الصدمة التي اعترت أرواحهم، وكان والدي أحدهم إذ مات كمداً.

- وماذا عن «فدائي عتيق»؟

هي رواية تنتمي للأدب الواقعي سجلتها على لسان فدائي فلسطيني وسيرته كنموذج للفدائي الذي وهب روحه لفلسطين ولم يُغره جاه ولا منصب حتى توفاه الله.

أدب السجون - الأدب المقاوم

- كيف تقيّمين الحالة الثقافية في فلسطين وتأثير الاحتلال على المشهد الثقافي الفلسطيني؟

لا يخفى على العارف تأثير الاحتلالات عموماً على المشهد الثقافي لأي أمة رزحت تحت نير الاحتلال، وبالنسبة لفلسطين فقد عانت الثقافة الفلسطينية من نكبات متلاحقة جراء الاحتلال الاسرائيلي منذ بداية القرن الماضي مما أدى لتدمير المجتمع الفلسطيني وبالتالي تدمير المنجزات الثقافية. فقد تميز المجتمع الثقافي الفلسطيني بأعلام من المتنورين أمثال خليل السكاكيني وروحي الخالدي وغيرهم كثيرين في مجالات الفن والأدب، وقد أدت تداعيات الاحتلال في عامي 1948 و1967 إلى تدمير العديد من معالم الثقافة الوطنية. وبالرغم من هذه التحديات فقد استطاعت الثقافة الفلسطينية الوطنية من النهوض فبرز أعلام في الأدب أمثال إيميل حبيبي وسميح القاسم ومحمود درويش وغيرهم من شعراء وأدباء.

- هنا يحضرني سؤال حول اهتمامك بأدب الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي.. ماذا تقولين في هذا الجانب؟ وكيف يتمكن الأسير من إصدار إبداعه وهو في الأسر؟

لأحرارنا في باستيلات الاحتلال أقول:

«على شرفة الانتظار الجليـــــلْ
تسمّر قلبي وليلي الطويـــــــلْ
يخاتلني طيفُـــــــك الغائـــــبُ
ويهمس في أُذنِ المستحيـــــلْ
بأن الحمائمَ مهمـــــا تنـــاءت
وطال بها دربُـــــــها والمقيـــلْ
تعود بشـــــــوقٍ إلى أيكهـــــا
وتطوي جناح النوى والرحيلْ.

إنهم فتيةٌ آمنوا بهذه الفلسطين.. هم الأحرار في زمن اليباس ووهْمِ القيد.. هم الأحرار والمعنى الجليل في زمن الهوان، الزمن الذي يتسرب من بين أصابعهم وهم على قارعة الانتظار وصليبه. في السجن يُختَزل المعنى وتصبح المفرادات ذات مدلول مختلف عما نعاقر في فسحة الترف والحرية..

ترى هل ثمة علاقة بين الكتابة والزمن؟

الزمن بمفهومه الفيزيائي وليس المجترح. كيف يفسر الكاتب الأسير علاقته مع الزمكان؟ هل ينفصل مجازاً عن واقع السجن مكاناً ويخلق عوالم ذات زمان ومكان مختلفة؟ لهذه الزاوية يأخذنا الكاتب الأسير ليجترح من عالم السجن صومعة للعزلة تتولد فيها الأسئلة ويدخل في تفاصيل البلاد المرفوعة على نصال الوجع ليبتدع حبل غسيل ينشر عليه ثياب الذاكرة قبل الشروع في النوم.

أدب السجون مصطلح يطلق على إبداعات أسرى الحرية من كتابٍ وباحثين وشعراء فيعمد الكاتب داخل السجن إلى تفكيك الزمن ويخلق زمناً خاصاً.. زمناً افتراضياً مرتبطاً بالإبداع والإنجاز في محاولة لتحدي فلسفة الاحتلال في جعل زمنه دون فائدة، فيحوله من زمن عدمي إلى زمن منتج، وبهذا يقول الروائي الأسير منذر مفلح في زمن السجن: «علينا أن نسعى لتحويله إلى زمنٍ مثمر. وفي تحدٍ للسجن أيضاً يقول الروائي الأسير وليد دقة: «نكتب عن السجن لنفْيِه، ليتفوق سائد سلامة بدوره على واقع السجن بالكتابة كما يقول.

- ترى كيف تجلت بدايات هذا الإبداع داخل سجون الإحتلال؟

كانت حيطان السجن هي الوسيلة المثلى بل؛ والأولى التي خط عليها الأسير اختلاجات نفسه وما يعتمل في وجدانه لتعذر أدوات الكتابة بل؛ وحتى حظرها. وفي محاولة لتقشير حيطان الزنزانة يتجلى تاريخ من مروا بها، تاريخ يوثق مواقفهم فكرياً وسياسياً ووجدانياً.

يعتبر الثائر عوض أحد ثوار ثورة 1936 والذي أعدمه الاحتلال البريطاني أول من خط بالفحم قصيدة على جدران زنزانته ليتبعه المفكر خليل بيدس إبن الناصرة والذي اعتقله الاحتلال البريطاني في بداية انتدابه على فلسطين، فيكتب من السجن «حديث السجون».

عموماً لا يعتبر أدب السجون حكراً على الفلسطيني، فقد أبدع كثيرون من معتقلي الرأي ومناضلين من أجل الحرية، أذكر منهم وعلى سبيل المثال لا الحصر المصري الطاهر عبد الحكيم في «الأقدام العارية» و«دفتر السجن» للقائد الفيتنامي هوشي منه و«رسائل السجن» للمفكر الإيطالي غرامشي.

ولأمانة القول أستعير من دراسة في أدب السجن للشاعر الفلسطيني المتوكل طه حيث يقول: « إن الرواية الفلسطينية داخل المعتقلات عامة تنقصها المعرفة الشمولية والخبرة والمراس، كذلك تنقصها الفنية والاطلاع على المدارس والنظريات الأدبية والفكرية والفلسفية» . ولكن برأيي التعميم هنا يجانب الصواب إذ أن الأسرى الأحرار في باستيلات الاحتلال الإسرائيلي أدركوا الكثير من المعارف وتمكنوا من الاطلاع على العديد من المدارس الفكرية في شتى الحقول وأذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر الأسير الحر مؤبد الأحكام كميل أبو حنيش والذي أبدع في مجالات البحث والرواية والشعر.

قراءة في كتاب

غرائبية "مسيح القمر الأزرق" لأشرف القرقني

عبد الله المتقي

عرفت القصة القصيرة التونسية مجموعة من التحولات منذ بداياتها إلى الآن ، وتتمثل هذه التحولات في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة حد المغامرة وتجاوز المألوف ، ولعل المدونة القصصية " مسيح القمر الأزرق " الصادرة مؤخرا عن دار مسكلياني في حلة قشيبة ، للكاتب أشرف القرقني المعروف شاعرا ومترجما ، تحفل بهذه المغامرة موضوعاتيا ورؤيويا وجماليا وغرائبيتها حتى.

تقع هذه المجموعة في 69 صفحة من القطع المتوسط ، تزين غلافها لوحة تشكيلية دالة للفنان السوريالي رونيه ماغريت ، وتشتمل على اثنتي عشرة قصة جاءت عناوينها كما يلي : ضحكة التمثال ، عود ثقاب ، في انتظار السيد الكاتب ، اليد الثانية ، غرفة الإصلاحات الشاملة ، عزيزي القمر ، النوم في الغرفة البيضاء ، في سبيل الجنة ، لا شيء ، قصة قصيرة جدا لحياة أول امرأة مجهولة في الشارع ، أنا وهو ، أكواريوم أزرق .

وبما أن المرحلة التاريخية الحساسة والملغومة والعجيبة التي يعيشها القرقني بمجموعه، فقد تسللت الغرائبية إلى الكثير من نصوصه ، ونعني بالغرائبية "كل شيء غامض وغير مألوف، هو كل أمر عجيب قليل الوقوع، مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة" كما يراها الراغب الأصفهاني ، كما نعني بها تلك " تلك الثقوب الكائنة في حبكة الواقع ، أي هذه الاختراقات التي تحققها الحكاية الغرائبية في الواقع ، لتشكل تلك الثقوب والواقع مرتكزين لبناء الحكاية الغرائبية ولا يمكن ترك أخدهما على الهامش إذا أردنا أن يصحبنا القارئ" 1

أشرف القرقني

تجليات الغرابة

إن المقبل على غلاف هذه المجموعة القصصية، يثير انتباهه لوحة الغلاف التشكيلية للفنان السوريالي البلجيكي " رونيه ماغريت " التي تشكل نصا بصريا ، تحيل على الحساسية الغرائبية والخارجة عن المألوف التي انكتبت بها القصص الاثنتا عشرة ، حيث إسقاط وإخفاء لوجه الرجل ذي القبعة السوداء الذي يملأ الدفة الأولى للغلاف ،وبدله تم انتقاء تفاحة خضراء مورقة ، مما يجعلنا نقف على انتقاء تشكيلي يتحدى المنطق وينتصر للواقع المتخيل واللامنطقي ، وهذا التشكيل السوريالي والغرائبي للوحة من شأنه الافشاء بنية المتن القصصي الغرائبية ، والارتباط "مع بعلاقات مناصصية PARATEXTUELLE،تحقق نوعا من الاستباق ، وتتغيا تصريف عنف رمزي يحوز سلطة لا مرئية".2

وعليه، تتجسد هذه الغرائبية في الكثير من قصص المجموعة ، ففي القصة الأولى " ضجك التثمتال " ، يتعثر المتلقي بعتبة عنوانها الذي يتميز بمعان منحرفة ، إذ لا يمكن أن يضحك التمثال باعتباره جمادا ، وهذا من شأنه برمجته واصطياده لاستقبال صور لا منطقية ، وإدخاله إلى أحداث غير متداولة وعادية ، لتسرد قصة " ضحكة التمثال" سماع السارد لضحكة تمثال المعري والسخرية في وجهه : " داعشي منيوك " ، ليذهب في اتجاه الأمير بعدها ليحكي له ما تفاجأ به من ضحك وشتيمة التمثال ، بل واستهدفت سخرية وسباب التمثال حتى أمير المؤمنين ، الذي يصدر أمره بمحو تلك العبارة أسقل خصر التمثال " شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء " ، ثم بعدها الحكم بقطع رأسه ، والأكثر منه تصويره بالكاميرا ليكون عبرة للعالمين :" لقد قال أمير المؤمنين إنه ماكا ن ينبغي أن تمر ألف سنة تقريبا حتى يقطع رأس هذا الزنديق الحبيث " ص9

وهكذا ، تحكي قصة " ضحك التمثال " غبر لعبتها الغرائبية هاجسا من هواجس الذات الساردة التي مضت إلى أقاصي الغرابة لنقف على ضحك تمثال أبي العلاء المعري :" كنت أول من سمع ضحكة التمثال ، استغفرت في البداية وتعودت من الشيطان ، وفي ظني أنها مجرد أوهام تلقيها الأرواح اللعينة في سمعي ، ولكنني مررت في اليوم التالي سمعت الضحكة نفسها تفرقع من بين شفتي أبي العلاء الحجريتين " ص7.

إنها لعبة الكتابة التي تتغيا تعرية واقع الجماعات السلفية المتزمتة والمغلقة في اغتيالها للعقل حربها ضد كل شيء ، الحياة والإنسان والمدن وصولا إلى التماثيل ، وذلك من خلال التركيز على الضحك وأبي العلاء المعري ، الضحك باعتباره تحولاً غير متوقع للأحداث وسخرية منها ، وأيضا مرآة نرى في انعكاسها صورة لكل ما هو غير سار ومعطوب ، أما استحضار المعري فرمزا للعقل وسخرية من التزمت والانغلاق .

في القصة الأخيرة " أكواريوم أزرق " ، تواجه المتلقي ، بعبارة ، أحداث تقوم على تقنية التحول الماسخ ، ونعني به تحول الأوكواريوم من حجمه الطبيعي إلى حجم كبير ، فقد أمسى :" كبيرا جدا إلى درجة جعلته يهدد بأن يصير الشقة بكاملها ، وفي داخله حدقت في السمكة السمكة الزرقاء التي كبرت بدورها واختفت من وجهها تلك النطرة الحزينة ، التي كانت سببا في تلطفي بها وإشفاقي عليها " ص 66*

أمام سياق سوسيوثقافي وسيكولوجي حساس لظاهرة العالم الافتراضي و" الثورة التقنية في وسائل الاعلام ، وانتشار العالم الالكتروني السريع والانتنترنت والهواتف المحمولة ، التي أصبحت أفيون الشعوب الجديد ، في مشارق الأرض ومغاربها " ،

بعودة الغرائبية الجديدة إلى عمق الانسان ، والى حقيقة دواخله في معاناته وقلقه وتوتره وتعريته وغربة حقيقة وجوده وتغريبته وعزلته في عالم غير آمن " ،

وإ\ا بالرغبة تتحول

أما في قصة " غرفة الإصلاحات الشاملة " ، فلم يعد الفضاء مجرد تأثيث جمالي وجغرافيا تتحرك فيها الشخصيات والأحداث ، كما في القصة الواقعية ، بل أصبح مع تطور القصة وتحولاتها التجريبية ، صورة لنفسية الشخصيات ، وأضحى يتحكم حتى في التبنين الجمالي للقصص.

وعليه ، يجد المتلقي نفسه أمام مستشفى مكانا للمرض والاختناق وتعميقها والمؤدي إلى الموت ، ، كما هو حال العجوز التي تخلصت من جهاز التنفس الاصطناعي رغبة في استنشاق واستنثار نسمة طبيعية قريبا من النافذة لتختنق ، ويسقط جسدها " وقبل أن تلفظ كلمة مرتجفة على شفتيها ، أطلقت نفسها الأخير وماتت " ص27 ، والأكثر منه أنه مكان للاستهتار ولاسترخاص حياة الناس : " كان الطبيب قد غادر الغرفة دون أن يسمع ما قالته الفتاة اليافعة ، ودون أن يرى الجثة الملقاة في الوسط بفمها الفاغر كأنه صفر عميق " ص28.

وبذلك يكون فضاء المستشفى يحيل على دلالتين ، فهو فضاء واقعي أولا : مستشفى من مهامه يعني الاهتمام بصحة المواطن عبر إسعافه وتقديم كل مايؤمن استشفاءه من خدمات ، لكن حين نتأمله في القصة بعين الفاحص نجد نقيضه ، إذ يتحول إلى فضاء دال على الموت واسترخاص لحياة المرضى .

في قصته " عزيزي القمر " ، يبني أشرف القرقني أفقه الغرائبي من خلال استحضار مجموعة من الكتاب الذي سيرفقهم في الرحلة الفضائية السياحية التي أعلنت عليها شركة " سبايس إكس" لمؤانسة السيد " يوساكو مايزاوا " الملياديرالياباني :" تفاجأت على نحو لا يصدق بأن اسمي مدرج فيها ، بل إنه يرافق ثلاثي عظيم مقرب جدا إلى قلبي : هاروكي موراكامي ، وبول أوستر وباولو سورنتينو " .

وخلال هذه الرحلة الفضائية يمكن أن نستشف أن السارد السارد بينكتب كما يكتب ذاته ، ويكشف عن هواجسه وانشغالاته في الكتابة والحياة ، كما أن استدعاءه لهذه الأقنعة من الأدب العالمي من شأنه أن يحفز المحكي القصصي بعوالم قائمة على وسائل تعبيرية جديدة مما يورطنا إيجابيا في العنصر الغرائبي اعتمادا على معاني ومنحرفة .

على سبيل الخاتمة :

وصفوة القول ، قصص " مسيح القمر الأزرق " لأشرف القرقني ، تجربة قصصية تشكلت جماليا وبحرفية ومهارة ، لترتقي بالمحكي القصصي إلى عوالم وأجواء تميزت بقدرة كبيرة على إمتاع القارئ وإثارة ذهنه ودهشته ، بإنتاجها لتيمات ووسائل تعبيرية جديدة ، وبرؤية موغلة في معاناة الإنسان وقلقه وتغريبته في مجتمع غير آمن ، ومن أراد الخبر اليقين على ذلك ، فليفتح باب هذه المجموعة القصصية ويدخل عوالمها الممتعة والمذهلة .

مكتبة الورقة النقدية :

- أشرف القرقني ، مسيح القمر الأزرق ، منشورات ميسكلياني ، تونس ، ط 01، 2022

-1 د ، محمد أقضاض، الغرائبية في الرواية العربية ،دار فضاءات للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 01، 2018

-2 أحمد فرشوخ ، جمالية النص الروائي مقاربة تحليلية لرواية "لعبة النسيان "، دار الأمان ، المغرب،ط01، 1996

مهرجان "نوار الملح" محاولة لتقريب الثقافة من الفئات الشعبية

محمد رضا البقلوطي

أسدل الستار على فعاليات الدورة الأولى من مهرجان "نوّار الملح" التي تواصلت على امتداد أربعة أيام من 23 إلى 27 أوت الفارط جابت ولايات توزر والكاف والقيروان وتونس ، كسرت الطوق عن الأحياء غير المدرجة في خارطة الأنشطة الثقافية وزفت الفرح والفن الى تجمعات سكانية شعبية هذه التظاهرة جاءت ببادرة من وزارة الشؤون الإجتماعيّة لإسعاد منظوريها وأبناء الأحياء الشعبيّة ولكل الفئات والطبقات الإجتماعيّة،

تكريم المبدعين من أبناء مراكز الدفاع الاجتماعي

ومع استقطاب عروض مهرجان نوار الملح الجماهير الغفيرة التي واكبت على امتداد سهراته، تعبيرات مختلفة من الفن البديل بمقاربة أعادت ترتيب الثقافة باعتبارها خدمة عامة تنصهر في منظومة الحقوق والحريات جاءت السهرة الختامية لتكريم المبدعين وتسند جوائز الدورة لثلاثة فائزين بمسابقة المواهب في عدّة مجالات فنية و إبداعيّة من أبناء مراكز الدفاع الاجتماعي، حيث أحرز الرسام الشاب أشرف النمري على جائزة التميّز في الفنون التشكيلية، والجائزة الثانية في فنّ الكتابة لأريج بن حسين من مركز الدفاع بسكرة من ولاية أريانة، عن محاولتها الروائية بعنوان "من الظلمات إلى النور"، فيما تحصل مركز الدفاع الإجتماعي بالفحص من ولاية زغوان على الجائزة الثالثة، بعرض مسرحي عنوانه "محاولات في التمثيل".

هذه التتويجات كانت نتيجة عمل لجنة تحكيم المسابقات برئاسة المسرحي سامي النصري وتألفت من نخبة من المبدعين، البحري الرحالي والفنانة نوال بن صالح ومحمد بوحوش وممثلة عن منظمة اليونيسيف الراعية للمهرجان، بعد اطلاعها على خمسة عشر عرضا مسرحيّا و71 لوحة فنية و5 أفلام سينمائية قصيرة وطويلة و5 محاولات روائية وخواطر .

مسرحية "الملاسين ستوري " قصة شابّ مسكون بموهبة التمثيل

وكان آخر الفعاليات عرض مسرحية "الملاسين ستوري "، بطولة بلال البريكي نص نور الدين الهمامي، إخراج ريان القيرواني، سينوغرافيا نيازي مسعودي ، موسيقى حمزة بوشناق، وتصميم ملابس سهام رزقي ... ملاّسين ستوري هي حكاية شابّ تونسي مسكون بموهبة التمثيل عقب أحداث الثورة التونسيّة سنة 2011 يحول فضاء دار الثقافة في حي الطيران بمنطقة الملاسين من فضاء مهجور وحطام إلى فضاء يعجّ بالمواهب والطاقات المسرحيّة التي نجح في استقطاب احلامها ومساعدتها على تحقيقها الا أن الشاب الحالم يفاجأ بمحاولة افتكاك السلطات لفضاء أحلامه ويقابلها رفض المجموعة المسرحيّة الناشئة، لمصلحة المنطقة وأبنائها المحرومين من الثقافة وعروضها منذ أمد طويل.

إتاحة لمبدعين كبار التزموا طيلة أو مع بداية مسيرة بعضهم بالفن الذي يحاكي الموروث والأصالة:

ولدى إشرافه على فعاليات الدورة التأسيسية للمهرجان الوطني الثقافي الاجتماعي "نوّار الملح" أشار وزير الشؤون الاجتماعية، مالك الزاهي،إلى أن الإقبال على عروض مهرجان نوار الملح فاق التوقعات ، ويعكس الرغبة في نشر الثقافة البديلة ،مؤكدا ، ان الوزارة تتطلع الى ان يكون المهرجان إطارا لتمكين كل المواطنين من الحضور الى العروض الفنية .مستندا الى ان التأسيس الجديد الذي يمكن ان يستوعب كل الإمكانيات والمواهب الابداعية يسير في ركب إدماج كل الحقوق الثقافية والاجتماعية، مضيفا قوله ، " الثقافة والمجتمع كما الروح والجسد"في إشارة الى ارتباط الحقوق بين كلا المجالين الاجتماعي والثقافي. وبين مالك الزاهي، ان الدورة التاسيسية لنوار الملح تأتي في سياق البناء بتونس الجديدة وهي التزام من الوزارة بحق كل الفئات الاجتماعية بما فيها محدودي

عرض ضمن مهرجان "نوار الملح"

الدخل في التمتع بحقوقهم الثقافية ،ملاحظا، ان الدورة أتاحت لمبدعين كبار التزموا طيلة أو مع بداية مسيرة بعضهم بالفن الذي يحاكي الموروث والأصالة..

حفل إفتتاح في مستوى الحدث بالمسرح الأثري بقرطاج

و للإشارة فإن عروض المهرجان تواصلت بعد حفل إفتتاح متميز بالمسرح الأثري بقرطاج، بعرض فني بالقصبة بولاية الكاف يوم 24 أوت 2023 وعرض بدار عزوز بولاية توزر يوم 25 أوت 2023 وعرض بمعتمدية العلا من ولاية القيروان يوم 25 أوت 2023 وعرض بفضاء مسار بباب سعدون بتونس العاصمة يوم 26 أوت 2023، وكان عرض الاختتام يوم 27 أوت 2023 بالملاسين بتونس العاصمة وتتويج الفائزين بمسابقة المواهب بشتى المجالات الفنية والإبداعية من أبناء المنتفعين ببرنامج "الأمان الاجتماعي".

علما وإن سهرة الافتتاح التي نشّطها الممثل بلال البريكي والتي تفاعل معها الجمهور، تضمنت عرضا لكل من الفنانة زهرة لجنف والفنانة نوال بن صالح والفنان صبري مصباح وفنان الراب "سانفارا"، إضافة إلى عرض لمجموعة "رعاة سمّامة" للفنان عدنان الهلالي، كذلك تقديم للأنشطة الفنية بالمراكز الاجتماعية الخاضعة لإشراف الوزارة وبث فيلم "معالي المواطن" من إنتاج ورشة سينما "مسار" بمركز الدفاع والإدماج الاجتماعي بسكرة.كما تولت مديرة المهرجان السّيدة إسمهان الفرجاني بالمناسبة تكريم كل من الممثّل القدير حسين المحنوش والممثّل القدير البحري الرحالي والممثّلة القديرة لطيفة القفصي وذلك تقديرا لما قدموه في المجال الثقافي والإبداعي وخاصة ما يعنى بالمجال الاجتماعي.

مهرجان "نوّار الملح" في ثاني مواعيده الفنيّة صافح جمهور مدينة الكاف

سهرة فنيّة ثانية وثنائيّة، ضمن مهرجان "نوّار الملح" في ثاني مواعيده الفنيّة صافح جمهور مدينة الكاف، وتردّدت موسيقات الفنانين ياسر الجرادي ولينا بن علي بساحة الفضاء الأثري بالقصبة مساء الخميس 24 أوت لتعانق نسمات الكاف أمام جمهور توافد من كلّ الأعمار. افتتحت بمسامرة حكواتيّة أمّنها الفنان المسرحي البحري الرحالي، واختارت فيها هيئة المهرجان تكريم الفنانين المسرحيين الهادي بن صالح المقري وناجية الورغي، لمسة وفاء اختارتها في مستهل العروض الخمسة ...

واستهلّت موسيقى وإيقاعات الفنان الملتزم ياسر الجرادي ثاني مواعيد المهرجان وأوّلها أمام جمهور الجهات بعد سهرة أولى خُصصت لجمهور ولايات تونس الكبرى، فأفرد جمهوره بتشكيلات منتقاة من أبرز أغانيه الملتزمة التي تتغنّى بالضعفاء وبالفئات المهمّشة في المجتمع التونسي وتسرد على الأسماع معاناة الفقراء والعاطلين عن العمل.

وكما عوّد الجرادي عشاق الموسيقى الملتزمة، أدى أغانيه مرفقةً بسرد مختزل للظروف والسياقات الزمنيّة المحرّكة لكتابتها وانتاجها، ومنها "شبيك نسيتيني" و"ما تخافيش" و"عمري ما ننسى الحكاية" و"نهار خريف" إلى جانب أغنية من آخر إنتاجاته الفنيّة بعنوان "خلصني" لامست مطالب العاملين في القطاعات الثقافية والفنية، فضلا عن أغنيته الملتزمة "نسمع فيه يغني" تكريما لروح الشهيد شكري بلعيد.

ووسط تفاعل جماهيري حميمي، صدحت الفنانة لينا بن علي بصوتها في أرجاء الفضاء الأثري بالقصبة، لتبدأ الجزء الثاني للحفل، وتهدي لجمهور "نوّار الملح" باقة منوّعة من أغانيها واخر انتاجاتها الفنيّة باللهجات المغاربيّة وبلغات عدّة منها الانجليزية والإسبانيّة، ومنها أغنية " استا سمبري كومندانتي" على إيقاعات غربيّة وأغنية "وهران" بإيقاعات الراي الجزائري، و أغان أخرى تلاها آداء لعدد من إصداراتها الفنيّة الجديدة، منها أغنية "مالي ومالهم" التي اختارت أداءها حصريّا لأول مرّة أمام جمهور المهرجان.

جانب من حفل توزيع الجوائز

عروض موسيقية فنية ضمت باقة من أغاني التراث التونسي أسعدت متساكني توزر:

فرحة عديد الأطراف المساهمة في عرض الدورة الأولى من مهرجان "نوّار الملح" بأن تكون مدينة توزر إحدى الولايات التي احتضنت هذه السهرات، عرض فني بفضاء القبه الضوئية بوسط مدينة توزر شارك فيه كل من الفنان والحكواتي العروسي الزبيدي ابن جهة توزر والفنان نضال اليحياوي والفنانة نوال بن صالح . ثنائي قدما أفضل ما لديهما من إنتاجهما الخاص في عرض موسيقي فني ضم باقة من أغاني التراث التونسي وبذلك سجلت السهرة إقبالا جماهيريا مكثفا من منظري الجمعيات العاملة في مجال الإعاقة بالجهة والعائلات المنتفعة ببرنامج الأمانة الاجتماعي وعددا من متساكني توزر

عرض مسرحي بفضاء مسار سلطت الضوء على حقائق مجتمعية عديدة

عرض متميز آخر بفضاء مسار بباب سعدون بتونس العاصمة أثرى برنامج مهرجان "نوّار الملح" مسرحيّة "عائشة 13" سلطت الضوء على حقائق مجتمعية عديدة تفيد بأن المرأة بقيت على الهامش، في عدّة مستويات على الرغم من تراكم لنضالات حركة نسويّة مدافعة عن المرأة وعن حقوقها.إذ تدور وقائع المسرحية في مصحّة خاصّة للأمراض النفسيّة، وتعرض تفاصيل قصة عائشة مقيمة بالغرفة رقم 13، بما يحمله الرقم من دلالات رمزيّة وتغوص بأحداثها في واقع ومعاناة المرأة في المجتمع وتُلامس خوالجها النفسيّة والمهنية عبر بسط تساؤلات عميقة حول حدود علاقتها بالرجل، وعلاقتها بالواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والممنوع في المجتمع. نص المسرحية لرياض السمعلي والإخراج لسامي النصري والتمثيل لمحمد شعبان ومهذّب الرميلي وهاجر حمودة وميساء ساسي وفوزية بدر وأصالة نجار ومحمد بوزيد ونور قروي...

جانب من الحضور في مهرجان "نوار الملح"

لماذا يتجاهل الباحثون التونسيون الدراسات السابقة؟

(الجزء الثاني)

شفيع بالزين

2 - "الخطاب التراسلي" لجميل بن علي والسكوت عن أطروحة شفيع بالزين:

رغم أن مقولة "التاريخ يعيد نفسه" مقولة متهافتة لأن الأحداث التاريخية وإن بدت متشابهة فإنها لا يمكن أن تكون متماثلة ومتكررة فإننا بعد اطلاعنا على دراسة جميل بن علي الموسومة بـ"الخطاب التراسلي: مسارات النشأة والتشكل والتقبل" الصادرة حديثا عن دار زينب للنشر (2023) قد وجدنا أنفسها في وضع شبيه بالوضع الذي وجدت فيه جليلة الطريطر نفسها إزاء دراسة شكري المبخوت المذكورة في الجزء الأول من مقالنا هذا، وذلك أننا استغربنا جدا مثلما استغربت جليلة الطريطر بل وأنكرنا مثلما أنكرت ألاّ يذكر الباحث المذكور بحثنا الموسوم ب"الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث" سواء في المتن أو في الهوامش والإحالات أو في قائمة المراجع فيُهمَل "حتى لكأنها كانت نسيا منسيا" (بعبارة الباحث)، مع أنه صادر عن دار زينب التي صدر عنها كتابه نفسه وقبل ثلاث سنوات كاملة. وما يهمنا أساسا من هذه الوضعية هو محاولة الإجابة عن السؤالين المطروحين سابقا: لِـمَ سكوت الباحث جميل بن علي عن كتابنا؟ وما نتائج هذا السكوت أو الإهمال وأثره في بحثه منهجيا ومعرفيا؟

لئن كنا نستغرب سكوت الباحث جميل بن علي عن بحثنا المذكور فإننا لا نذهب إلى ما ذهبت إليه الطريطر في نقدها للمبخوت من الجزم باطلاعه على كتبها وتعمده السكوت عنها وعدم الإحالة عليها رغم الأخذ والاستفادة منها نكرانا لجهود الغير ورغبة في الظهور بمظهر الريادة والإضافة، وإنما سنتعامل مع هذا البحث بحسن النية ونفترض أن الباحث لم يطلع فعلا على عملنا ولم يكن له به علم. غير أن ذلك لا يعفيه من تحمل المسؤولية العلمية والأخلاقية فيما يخص طريقة تعامله مع الدراسات السابقة وفيما اقترفه في حقنا وحق البحث العلمي والدرس النقدي عامة من تقصير وإساءة، كما لا يعفيه من تحمل المسؤولية فيما وقع فيه من هنات وإخلالات نتيجة إغفال بحثنا المذكور أو تجاهله. وأما مسؤوليته العلمية والأخلاقية فيما يخص تعامله مع الدراسات السابقة عامة، ودراستنا المذكورة أعلاه خاصة، فتتمثل في جانبين على الأقل: الأول هو تقصيره بل إخلاله بشرط أساسي من شروط البحث العلمي الرصين وهو ضرورة إنجاز قائمة بيبليوغرافية ثم التطرق إليها في بداية الدراسة ونقدها ببيان قيمتها ووجوه الاستفادة منها من جهة، والوقوف على حدودها التي سيعمل الباحث على تجاوزها من جهة أخرى. غير أن الباحث يبدو أنه تسرع أو استهان بهذه الخطوة المنهجية الضرورية، وذلك لسبب واضح جدا وهو أن بحثنا منجز ومناقش ومودع في الكلية منذ أكثر من عشر سنوات ولو اطلع على دليل الكتب في مكتبة الكلية لوجده في متناوله، وهو فضلا عن ذلك منشور منذ ثلاث سنوات عن دار النشر نفسها التي نشرت له كتابه، هذا إضافة إلى كون الكتاب قد عُرّف وقُدّم في صحف إلكترونية وقنوات تلفزية . ولو تحرى الباحث قليلا لوجد في كتابنا ما وفر عليه جهدا بذله في غير طائل، ولجنّبه إطلاق بعض الأحكام جزافا والوقوع في إخلالات سنبينها. ولو وقف الأمر على السهو عن كتابنا أو تجاهله لهان الأمر، غير أن ما لا يقبل منه أبدا أنه مع هذا التقصير والإخلال الخطيريْن، ما فتئ يجزم في المقدمة والخاتمة والغلاف الخلفي بغياب الدراسات التي عنيت بمراسلات الكتاب العرب في العصر الحديث ويؤكد على ريادة دراسته وسبقها في هذا الموضوع. فمما ورد في المقدمة قوله: "نجزم بهذا الإهمال النقدي للكتابة التراسلية ونقر به [...] وما اصطدمنا به منذ الوهلة الأولى هو أننا لا نكاد نعثر على كتاب ينصرف إلى دراسة الرسائل العربية الحديثة بل إننا لا نكاد نعثر على مقال مستقل يوجه فيه كاتبه العناية إلى هذه المراسلات يقرؤها ويتدبر شأنها وجل ما نظفر به ملاحظات واردة في إطار المقدمات التي وضعها المؤلفون لرسائل أحد الكتاب" ويضيف في سياق آخر من المقدمة قوله: "لما كانت أرض البحث في الرسائل الحديثة والمعاصرة بكرا غير ممهدة لم يكد يطأها [كذا] أحد فإننا اضطررنا إلى صناعة شبكة من المصطلحات نتوسل بها لقراءة المدونة وتدبر أمرها" . وينتهي إلى تأكيد هذا الحكم في الخاتمة فيقول: "ما لاحظناه من غياب يكاد يكون مطلقا لبحوث ودراسات اهتمت بالمدونة التراسلية العربية الحديثة ولئن وهَبَنا هذا الغياب فضل السبق والريادة في طرح هذا الموضوع، وقراءة تلك المدونة الواسعة الممتدة، والسياحة في متونها وعتباتها، فإنه جعلنا نخوض غمار هذا البحث بلا هدى أو دليل فكان مثلنا كمثل من يسلك طريقا في مفازة لم تطأها قدم" ويقول: "لم يكن هذا البحث على جدة موضوعه وتعدد روافده المنهجية والنظرية إلا مشروعا، مجرد مشروع لقراءة الخطاب التراسلي العربي الحديث [...] وإذا كنا نزعم بكل تواضع أن عملنا هذا يقطع صمتا نقديا طويلا خيم على المدونة التراسلية العربية الحديثة وألقى بها في غياهب النسيان فإننا نعتقد اعتقادا راسخا أنه ليس إلا لبنة من لبنات مشروع أكبر" . وكأن ما ذكره الباحث في المقدمة والخاتمة عن غياب دراسات سابقة وريادته في هذا المجال البحثي غير كاف أو مطمئن لقلبه، لذلك اختار أن يوجه على الغلاف الخلفي رسالة بخط يده إلى القارئ مما جاء فيها قوله: "ولم أصبر على مضنياته (أي البحث) إلا لاعتقادي أني أؤدي أمانة التصدي لقراءة مدونة تراسلية عربية حديثة اتسعت مدونتها وتعددت أبعادها لكن الدارسين أهملوها حتى لكأنها كانت نسيا منسيا. وحسبي أيها القارئ الكريم أنني سعيت جاهدا إلى أن أؤلف شتات هذه الرسائل". ويختم رسالته إلى عزيزه القارئ بنوع من التواضع الزائف والتودد وطلب الغفران: "عزيزي القارئ أرجو أن تجد ضالتك في هذا الكتاب وأن تنظر إليه بعين الود والتقدير وأن تغفر لصاحبه ما صدر عنه من إخلال وتقصير". وقد يجد الكاتب قراء طيبين ينظرون إليه بعين الود والتقدير والغفران، غير أننا لسنا من هؤلاء القراء الطيبين، إذ كيف يمكن أن نغفر له "ما صدر عنه من إخلال وتقصير" بعد أن وقفنا على هذا التناقض الخطير بين إهمال أو تجاهل غريبين لكتابنا ودراسات أخرى عديدة سابقة في الموضوع، وادعاء أو توهم غريبين للريادة والسبق والمغامرة واكتشاف "أرض بكر لم يطأها أحد قبله". وسنبدأ أولا بتفنيد هذا الوهم الراسخ في ذهنه أو المغالطة الكبرى في بحثه وهي غياب الدراسات السابقة وشرف الريادة والسبق والتأسيس لمشروع، ثم نبين بعد ذلك بعض النتائج أو الإخلالات المنجرة عن هذا السكوت عن الدراسات السابقة.

أما الجزم بغياب الدراسات السابقة فلا نعرف كيف يمكنه أن يتغافل عما أنجز من دراسات في مجال الرسائل الحديثة، سواء تمثلت في بحوث جامعية أو دراسات نقدية أو مقالات، وكيف غابت عن مجال اطلاعه على تعددها وقيمتها ولم يكن لها أثر في قائمة مراجعه ولا في متن بحثه. أما البحوث الجامعية فيكفي أن نحيل على بحثنا المذكور أعلاه والموسوم ب"الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث" ولئن كان من الجائز الحديث عن الريادة والسبق والتأسيس فإن بحثنا المذكور أحق بهذا الوصف سواء بالنظر إلى السبق التاريخي أو بالنظر إلى كونه أول رسالة دكتوراه في مجالها شاملة للموضوع وجامعة لشتات المدونة الرسائلية، أو لريادتها في اعتماد المقاربة التداولية وهي المقاربة التي يدعي صاحب البحث اعتمادها والريادة فيها، ولذلك فإن بحثنا أولى بأن يعد مشروعا مؤسِّسا وإن بحثه أولى بأن يعد مواصلة لهذا المشروع لا العكس كما يدعي. وإضافة إلى هذا العمل نذكر كذلك عملين مهمين صدرا بعده للباحث السعودي فهد إبراهيم البكر هما "العلاقات الرسائلية في الرواية العربية: مشروع قراءة شعرية حوارية" وهي أطروحة دكتوراه و"الشعر الرسائلي في العصر الحديث" ، هذا إضافة إلى دراسة سعد أمل داعوق المعروفة عن رسائل مي زيادة . وإضافة إلى هذه الدراسات المنشورة، هناك بحوث جامعية أخرى مرقونة وموجودة في مكتبات الجامعة التونسية نذكر منها "رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان: الجنس الأدبي وتجليات الحداثة" لهدى عطية ، و"خصوصية فن الترسل في مجموعة "الرسائل" لمحمود درويش وسميح القاسم" لفادية البغدادي ، و"زهرة العمر لتوفيق الحكيم: دراسة تحليلية نقدية" لمفيدة الجلاصي . وأما المقالات والفصول فنذكر منها "ملامح من آراء جبران النقدية في الأدب والفن من خلال "الشعلة الزرقاء" لسعاد نبيغ ، و"الشاعر في عزلته: تأملات في رسائل الشابي" لمحمد آيت ميهوب و"رسائل الشابي" للمنجي الشملي ؛، و"الضمنيات ودورها في استراتيجيات الخطاب من خلال نماذج من مراسلات الأدباء العرب المعاصرين" لشفيع بالزين. هذا فضلا عن المداخلات العديدة التي قدمناها ضمن ندوات علمية دولية وكان موضوعها يدور حول الرسائل الحديثة .

ولئن كان سكوت الباحث عن دراسات سابقة أساسية وضرورية لبحثه سواء كان عن قصد أو عن غير قصد يعد في ذاته إخلالا كبيرا بشرط منهجي مهم من شروط البحث العلمي فإن له إضافة إلى ذلك انعكاسات سلبية على جوانب عديدة من البحث ونتائجه ويمكن الاقتصار على ثلاثة أنواع من الإخلالات: مصطلحي ومنهجي ومعرفي.

يظهر الإخلال في المصطلحات مثلا عند قوله: "لما كانت أرض البحث في الرسائل الحديثة والمعاصرة بكرا غير ممهدة لم يكد يطأها [كذا] أحد فإننا اضطررنا إلى صناعة شبكة من المصطلحات نتوسل بها إلى قراءة المدونة وتدبر أمرها" . وانطلاقا من القاعدة المنهجية العلمية المعروفة وهي أن الانطلاق من مقدمات خاطئة يؤدي حتما إلى نتائج خاطئة، فإنه من الطبيعي أن يؤدي انطلاق هذا الباحث من مصادرة خاطئة أو قناعة واهمة (السبق والريادة وغياب دراسات سابقة) إلى إخلالات منهجية تتعلق بالشبكة المصطلحية، منها اعتقاده الواهم أنه "صانع" مصطلحات البحث، والواقع أن مصطلحات مثل "التراسل" أو "المتراسل- الكاتب" أو المتراسل- القارئ" أو التلفظ التراسلي" أو "الرسالة الأصل" و"الرسالة الجواب" و"القارئ الصريح" و"القارئ الضمني"...الخ هي مصطلحات لم يصنعها وإنما هي مصطلحات موجودة أو مصنوعة قبله ذكرها صالح بن رمضان في أطروحته ثم ذكرناها وطورناها نحن وفهد البكر في أطروحتينا تماشيا مع طبيعة المقاربة (إنشائية/تداولية) هذا فضلا عن كونها معروفة في الدراسات الرسائلية الغربية. وإذا كان يعتبر تغيير إبدال

صيغة المصطلح الصرفية من "الرسائل" أو "الترسل" إلى "التراسل" صناعة وتأسيسا فإن في ذلك مبالغة وغرورا وذلك لأنه لو رجع إلى تلك البحوث المذكورة لوجد تفسيرا وتبريرا لهذه المصطلحات. أما مصطلحاته "المصنوعة" توهما فتفتقد إلى الدقة في الترجمة والدلالة. فإذا كان الباحث يرفض مصطلح "الترسل" لعدم دلالته على التبادل والمشاركة وفضل عليه مصطلح "التراسل" فإنه كان من الأجدر أن يختار مصطلح "المراسلات" لأنه مصطلح متداول ودال في آن واحد على التبادل والمشاركة وعلى "الجنس باعتباره مقولة نظرية مجردة تتحقق بدرجات مختلفة في الرسائل" . وأما تعريبه مصطلح Epistolaire بمصطلح "التراسل" ففيه كثير من التسرع والخلط وذلك أن هذا المصطلح الفرنسي يقابل مصطلح "الترسل" العربي (كما عربه صالح بن رمضان وغيره) وأما مصطل التراسل الذي "صنعه" الباحث ونفضل عليه "المراسلات" فيقابل المصطلح الفرنسي Correspondances كما عربه صالح بن رمضان ونجده متداولا في أغلب القواميس والمعاجم المختصة. ثم إن مصطلح التراسل لا يحيل على الجنس بقدر ما يحيل على حركة تبادل الرسائل نفسها والجنس لا يتحقق في حركة التبادل نفسها بل في مقام الكتابة التراسلية وفي المقومات الخطابية والنصية المميزة لجنس المراسلات عن غيرها من أجناس الرسائل، وكتابات الذات عامة. وإذا كان مصطلح "المتراسل- الكاتب" يمكن أن يكون مقبولا للدلالة على وضعية المرسل- الكاتب في مقام الكتابة التراسلية أي وهو ينشئ رسالته بدءا لمراسلة جديدة أو ردا على رسالة سابقة وتوقعا لرسالة قادمة جوابا عليها أو استئنافا لمراسلة سابقة منقطعة، فإن مصطلح "المتراسل-القارئ" الذي قصد به المتراسلَ في مقام استقبال وقراءة، يطرح إشكالا يتمثل في أن هذا الوضع أو المقام موجود خارج عملية الكتابة ولا يمكن دراسته إلا من خلال وضعية أو مقام المتراسل الكاتب، وهو يتحدث عن نفسه قارئا سابقا للرسالة أو يتحدث عن المرسل إليه قارئا منتظرا لرسالته، وفي الحالتين نحن هنا نتحدث عن المتراسل- الكاتب لا المتراسل-القارئ، ولذلك فإن الفصل الرابع الذي أفرده الباحث لهذا القارئ لم يكن في الواقع متعلقا بالقارئ بل بالكاتب وهو يتحدث عن نفسه قارئا أو يتحدث عن المرسل إليه قارئا، وبالتالي فإن مقام القراءة أو "المتراسل-القارئ" لا وجود له داخل المراسلات إلا ضمنيا أو مقاما غائبا سواء كان سابقا أو لاحقا.

وفضلا عن هذه الإخلالات المصطلحية، وقفنا كذلك على بعض الإخلالات التي تتعلق بالمدونة نتيجة السهو عن بحثنا والبحوث الأخرى السابقة له. فحديثه مثلا عن تشتت المدونة وما بذله من جهد لجمعها ولمّ شتاتها والتأليف بينها كان يمكن تجنبه وتوفير الجهد لو لم ينكر جهود غيره. فلو اطلع على بحثنا فقط لوجد المدونة مجموعة ومرتبة ومدققة ضمن قائمة المصادر، إضافة إلى تقديمها وتعريفها ضمن القسم الأول من البحث. ومن الإخلالات المترتبة عن هذا الإهمال كذلك سهوه أو إهماله للعديد من النصوص الرسائلية المهمة. صحيح أنه أضاف إلى مدونتنا نصوصا أخرى لم نطلع عليها مثل رسائل خليل حاوي والرصافي والعقاد، غير أنه أهمل رسائل أخرى لا تقل أهمية مثل رسائل توفيق الحكيم وجبرا إبراهيم جبرا وطه حسين وأحمد تيمور وإبراهيم اليازجي ومصطفى صادق الرافعي وأنور المعداوي. هذا فضلا عن رسائل لم نتناولها بالدرس كلنا مثل رسائل أنسي الحاج إلى غادة السمان.

ونضيف إلى الإخلالين السابقين إخلالا آخر يتعلق هذه المرة بنوع المقاربة المعتمدة وبعض النتائج المتوصل إليها من هذه القراءة. ومع أنه ذكر في المقدمة جملة من المقاربات والمرجعيات التي قرأ بها الرسائل وهي: التداولية وتحليل الخطاب والفلسفة وعلم النفس، فإن المقاربة الأساسية التي اعتمدها هي التداولية، ولو اطلع على بحثنا المذكور لكان أول ما عرفه أنه مشروع قراءة تداولية للمدونة الرسائلية الحديثة والمعاصرة، ولكان استفاد أولا من العدة النظرية والمنهجية المطروحة في القسم الأول ولاسْتفاد ثانيا من طرق إجرائها وتوظيفها في قراءة المدونة الرسائلية. وقد أدت قراءته للرسائل قراءة تداولية دون الرجوع إلى بحثنا إلى غياب تعميق النظر في العديد من المسائل التي تناولناها في بحثنا بكثير من التعمق والتدقيق منها: القارئ الخاص والقارئ العام، أو القارئ الصريح والقارئ الضمني، والتباعد أو التبعيد وكتابة الغياب، والبنية الحوارية، والبعد الحجاجي، والسرد الرسائلي، والذات في علاقتها بالكتابة، وعلاقة المراسلات بالأجناس القريبة منها. هذا إضافة إلى إمكان تدارك بعض المباحث التي أسقطها من اهتمامه وهي في صميم المقولات التداولية وأدوات التحليل نذكر منها خاصة نظرية الأعمال اللغوية ومفهوم الضمنيات ونظرية التلفظ. كما أنه لو اطلع على بحثنا وخاصة بحث فهد البكر المذكور لاستفاد كثيرا منها وعمق النظر في تناوله لمسألة التخييل الرسائلي عامة والرواية التراسلية خاصة، ولجنبه ذلك أيضا بعض الخلط الذي وقع فيه مثلا في حديثه عن "الكتابة التراسلية والسرد القصصي" . فلا أحد قبله من الدارسين فيما نعلم تحدث عن سرد قصصي في الرسائل- عدا السرد في الرواية التراسلية، وهو إن كان يعتمد الرسائل شكلا سرديا فإن السرد فيها ليس سردا قصصيا في الرسائل وإنما هو سرد قصصي بالرسائل وفي الرواية- فالسرد القصصي لا يوجد إلا في الأجناس القصصية التخييلية مثل الرواية والقصة والأقصوصة وأما السرد الرسائلي فهو سرد مرجعي أو ذاتي، وإن استعار بعض أساليب السرد القصصي، فهو يبقى محدودا وليس مقصودا لذاته أو لبناء حبكة أو عالم قصصي تخييلي. وقد خصصنا في بحثنا قسما مهما لا للتمييز بين السرد الرسائلي والسرد القصصي التخييلي فحسب وإنما للتمييز كذلك بين السرد الرسائلي والسرد في الأجناس السردية الذاتية الأخرى مثل السيرة الذاتية والمذكرات واليوميات. ومع ذلك ورغم تأخر بحثه وحداثته، فإنه من المستغرب أن يقع في الخلط بين السرد الرسائلي والسرد القصصي التخييلي فنجده لا يتحرج من القول إن بعض الرسائل خاصة منها المطولة "تجتمع فيها مقومات النص القصصي من فضاء مكاني وزماني وشخصيات وبنية حدثية واستباق واسترجاع ووجهات النظر وصوت وغيرها من مقومات الكتابة الروائية" ولا يجد أي تناقض أو خلط حين يذهب إلى أن "اجتماع هذه العناصر أشد جلاء ووضوحا كلما انصرف المتراسل إلى سرد أحداث واقعية وتاريخية" . وليس الأمر مجرد سهو منه لأنه يكرر هذا الخلط في الصفحة الموالية في قوله: "لقد بدا الخطاب القصصي بغض النظر عن البعد التاريخي لهذه الحكاية محكم البنية واضح المعالم مستجيبا لما تواضع عليه المختصون في القص من شروط ومقتضيات" (منها الحبكة القصصية وصيغ القص ومكوناته). ويرجع هذا الخلط بين السرد القصصي (الروائي) والسرد التاريخي (الرسائلي)- وهذا الخلط يبلغ أقصاه عندما يعتبر أن الخطاب القصصي يكون أوضح عند انصراف المتراسل إلى سرد الوقائع التاريخية- إلى وقوعه في مغالطتين: الأولى هي اعتقاده أن مجرد توفر النص على عناصر مثل الفضاء المكاني والزماني والشخصيات والأحداث وأساليب مثل الاستباق والاسترجاع ووجهات النظر والصوت يعني بالضرورة توفر النص على "مقومات الكتابة القصصية"، وهذا طبعا ليس صحيحا فهذه العناصر والأساليب توجد في مختلف النصوص السردية ولكن ذلك لا يعني أنها نصوص قصصية، إذ تتطلب الكتابة القصصية شروطا ومقومات أخرى أهم مثل الميثاق القصصي والحبكة والطابع التخييلي. وهي شروط لا يمكن أن تتوفر عليها الرسائل إلا إذا اندرجت ضمن الجنس الروائي ولكنها باندراجها ضمن الجنس الروائي تفقد هويتها الأجناسية المرجعية الأصلية. وأما المغالطة الثانية فهي اعتقاده أن المقومات المذكورة مرتبطة فقط بالكتابة الروائية ووجودها في غيرها من الأجناس يعني أنها تستعير من الرواية مقوماتها. وهذا غير صحيح أيضا لأن هذه المقومات ليست مقصورة على الرواية وإنما هي مقومات مشتركة بين مختلف الأجناس القصصية التخييلية، ولكنْ مهم أن ننبه هنا إلى خلط آخر وهو جمعه بين مقومات تشترك فيها مختلف النصوص السردية بغض النظر عن أجناسها وهي الفضاء المكاني والزماني والشخصيات والأحداث وأساليب الاستباق والاسترجاع ووجهات النظر والصوت، والمقومات الخاصة بالنصوص السردية التي تنتمي إلى الأجناس القصصية التخييلية وهي الحبكة والشخصيات. ولذلك فإن جاز الحديث عن النوع الأول من المقومات في الرسائل فإنه ليس بالجائز الحديث عن النوع الثاني فيها لأنها خاصةٌ بالأجناس القصصية التخييلية وليست الرسائل من أجناسها.

الهوامش:

1 - شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث، زينب للنشر، قليبية، 2020. وهو في الأصل بحث دكتوراه بعنوان: "الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث: مشروع قراءة تداولية"، نوقش في جوان 2011.

2 - قدم الكتابَ أولا محمد الغزي ونشره في بعض المواقع الالكترونية، ثم نشر فيصل الشطي تقديما للكتاب في جريدة الشارع المغاربي الالكترونية بعد أن كان قدمه في المكتبة الجهوية بنابل كما قدمته الإعلامية وفاء الطرابلسي ضمن برنامج "حديث الكتاب" على قناة الإنسان وحاورت مؤلفه وقدمته الإعلامية إيناس العمري في برنامج نسمة صباح على القناة الوطنية وحاورت مؤلفه.

3 - ص 12.

4 - ص 19

5 - ص 293.

6 -ص 296.

7 - فهد إبراهيم البكر: العلاقات الرسائلية في الرواية العربية: مشروع قراءة شعرية حوارية، دار عصور للنشر والتوزيع، عمان، 2020. والغريب في هذا البحث أنه لا يختلف عن بحث جميل بن علي من جهة إلى بحثنا المذكور رغم صلته بالموضوع واطلاعه عليه. ولئن كان الجامع بين البحثين سكوت المؤلفيْن عن عملنا فإن الاختلاف بينهما هو أن جميل بن علي غافل عن بحثنا رغم إمكان الاطلاع عليه ومع ذلك فهو منكر لفضلنا ومدّع للريادة والسبق وبأنه صاحب مشروع، وفهد البكر مطلع على بحثنا ومع ذلك فهو متجاهل له لكنه على الأقل غير مدّع للريادة والسبق وأنه صاحب مشروع. ولعل هذين المثالين يدلان على أن سكوت الباحث عن مراجع سابقة أساسية جهلا أو تجاهلا ليس مقصورا على الباحثين التونسيين وإنما هو ظاهرة موجودة لدى كثير من الباحثين العرب وهي ظاهرة خطيرة ومخلة بشروط البحث العلمي وأخلاقياته.

8 - فهد إبراهيم البكر: الشعر الرسائلي في العصر الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2022.

9 - سعد أمل داعوق: فن المراسلة عند مي زيادة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1982.

10 - مرقون دار المعلمين العليا، تونس، 2001/2002.

11 - مرقون، دار المعلمين العليا، 2006/2007.

12 - مرقون، جامعة تونس الأولى، 1988/1989.

13 - الحوليات، ع 46، 2002، ص 547-517.

14 - الحياة الثقافية، ع 200، 2009، ص 79-70.

15 - الحوليات، ع 3، 1966، ص 282-279.

16 - بحث منشور ضمن: الإضمار والإظهار في الخطاب، وقائع الندوة العلمية الدولية، راجعها الحبيب النصراوي، المعهد العالي للغات بتونس، جامعة قرطاج، تونس، 2014.

17 - قدمنا ضمن ندوات حضورية وافتراضية ما لا يقل عن أربع مداخلات هي كما يلي مرتبة تاريخيا: التجديد في الترسل الأدبي الحديث- استعارة الرسالة في رسائل الكتاب الحديثة بين المنظور التداولي والمنظور العرفان- التجريب في السرد الترسلي - الرسائل الفايسبوكية التفاعلية.

18 - الخطاب التراسلي، ص 19.

19 - المرجع نفسه، ص 19.

20 - المرجع نفسه، ص 252-203.

21 - المرجع نفسه، انظر ص 192 وما بعدها.

22 - المرجع نفسه، ص 192.

23 - المرجع نفسه. ص 192.

24 - المرجع نفسه، ص 193.

المسرح والفلسفة

د.نوفل حنفى (جامعة القيروان)

عندما اعود الى مدينة تبرسق Thibursicum Bure و اعتزم زيارة المسرح الرومانى بدقة اتذكر العلاقة القديمة بين المسرح والفلسفة في الثقافة الرومانية و اليونانية . فقد كان المسرح يقدم قصصًا وأحداثًا معينة من الحياة الإنسانية، وكان يناقش قضايا مثل السلطة والمصير والأخلاق. وهذه القضايا كانت محور اهتمام الفلاسفة ، مما يشير إلى التداخل بين المسرح والفلسفة في تناول القضايا الإنسانية الملحة. (1)

وتشهد على ذلك بعض الأعمال المسرحية اليونانية التي تحمل رسائل فلسفية عميقة مثل محاورات أفلاطون، فنذكر ان محاورة «جورجياس»، ناقشت قضايا فلسفية تتعلق بالعدالة والسلطة رغم ان افلاطون يدين المسرح في محاورة الجمهورية (الكتاب الثالث، 394 و الكتاب العاشر، 6-604).

وقد اثرت مفاهيم الفلسفة على مضمون المسرح اليوناني ومن ذلك ان مفهوم الكائن البشري والنزاع الداخلي في مسرحية «أنتيجون» لسوفوكليس يمكن أن يقارن بمفهوم النزاع الأخلاقي والقوانين الإلهية في الفلسفة.

وإذا كان المسرح والفلسفة في اليونان القديمة جزءًا لا يتجزأ من التعبير الإنساني والتفكير الفلسفي حيث تعامل كلاهما مع قضايا عميقة ومعقدة تسهم في تطور العقل الانسانى فالأمر لم يكن كذلك في تونس والعالم العربى على الأقل في مستوى ندرة الأبحاث الفلسفية الاكاديمية التي تبحث في العلاقة بين المسرح والفلسفة. فما الذى يفسر سكوت الباحثين في الفلسفة عن التفكير في المسرح ؟

ما هو المسرح ؟ ما هي صعوبات تفسيره ؟ ما هى الاختلافات بين المدارس المسرحية ؟ ما الذى يميز بين المسرح الكلاسيكى والمسرح الحديث والمسرح المعاصر ؟

كيف تفهم صعوبة التعريف الفلسفى للمسرح ؟

تعود صعوبة تعريف الفلسفة للمسرح من طبيعة المسرح نفسه (2)و صعوبة التحديات التي يثيرها في الجمع بين الفن والفلسفة. و توجد عدة جوانب تفسر هذه الصعوبة:

يجد الباحث نفسه حائرا امام المسرح ، اذ يصعب على الفلسفة ان تعرف المسرح ويعود ذلك لطبيعة المسرح وتحديات الربط بين الفن والفلسفة وإذا حاولنا معرفة المسرح معرفة فلسفية نجد انفسنا ممزقين بين تعدد الابعاد والمتغيرات والتفسير الشخصى والتنوع الثقافي والتاريخى والتأثير الثقافي والاجتماعى واختلاف المدارس المسرحية بحيث ان المعرفة السائدة «حتى عند بعض رجال المسرح والإعلام « التي تدعى انها تعرف المسرح تتوهم المعرفة ولا تدرك حقيقة الصعوبات التي يمكن ان تعترضنا :

1.تعدد الأبعاد: المسرح هو شكل فني متعدد الأبعاد يجمع بين العواطف والروحانيات والتعبير المرئي والسمعي. هذه التعددية تجعل من الصعب تقديم تعريف دقيق للمسرح لأننا سنضيع داخل تعريفات ذاتية وسياقية

2.العناصر المتغيرة: يتضمن المسرح مجموعة متنوعة من العناصر مثل النصوص المكتوبة، والأداء المباشر، والإيقاعات، والحركة، والإضاءة، والزينة، وغيرها. وتشكل هذه العناصر تجربة مركبة يصعب وصفها ببساطة.

3.التفسير الشخصي: يعتمد المسرح على التفسير الشخصي وإحساس الفرد و الجمهور بالأداء. بمعنى آخر، يمكن لكل شخص أن يفهم المسرح بطريقته الخاصة وأن يستوعب معاني مختلفة من العرض.

4.التنوع الثقافي والتاريخي: يتطور المسرح عبر العصور والثقافات المختلفة، مما أدى إلى تشكيل تجارب مسرحية متنوعة وفريدة. وهذا التنوع يجعل من الصعب تقديم تعريف عام يشمل جميع هذه التجارب.

5.التأثير الاجتماعي والثقافي: يتأثر المسرح بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي يظهر فيه، وكذلك يؤثر في هذه العوامل. ويعنى هذا التفاعل المتبادل أن تعريف المسرح سيتغير حسب الزمان والمكان.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن للمسرح أن يكون تعبيرًا فنيًا عن أفكار فلسفية معقدة ومتنوعة، مما يجعل من الصعب إعطاء تعريف دقيق للعلاقة بين الفلسفة والمسرح. وهو ما يعنى انه يجب علينا مراجعة طريقة طرحنا للسؤال اذ ان سؤال ما هو المسرح ؟ يفترض ان المسرح معروف وانه في امكان الفلسفة اليوم ان تتظاهر بقدرتها على تقديم تعريف ما يتجاهل هذه الصعوبات المذكورة . ألا يجدر بنا ان نغير من طبيعة السؤال وعوض ان نقول ما المسرح ؟ يمكننا ان نكتفى بسؤال مغاير : ما مسرح ؟ بحيث نواصل جهدنا الفلسفى لمعرفة المسرح من خلال نقدنا لكل الادعاءات التي تتظاهر بمعرفته متجاهلة الاختلافات العميقة بين المدارس المسرحية على الأقل بين المسرح الكلاسيكى والمسرح الحديث والمسرح المعاصر: (3)

ما الذى يميز بين المسرح الكلاسيكى والمسرح الحديث والمسرح المعاصر ؟

المسرح الكلاسيكي و المسرح الحديث والمسرح المعاصر هم أنماط مختلفة من المسرح وتتميز بخصائص وأساليب فنية مختلفة:

المسرح الكلاسيكي: (مثلا مسرحيات وليام شكسبير مثل «هاملت» و»روميو وجولييت» و»مكبث».

مسرحيات موليير مثل «العائلة السعيدة» و»المدرسة للنساء» و»الأنتربريز»)

1.تصور قديم الزمان والمكان: يستند المسرح الكلاسيكي إلى الثقافات القديمة مثل اليونان والرومان، ويعكس قيمهم وأفكارهم. يجرى العرض في مكان واحد وخلال فترة زمنية قصيرة يلتزم بقواعد درامية تقليدية مثل هيكل الثلاث وحدات : وحدة الزمان والمكان والفعل.

2. التراجيديا والكوميديا: يقوم بتقديم الأعمال التراجيدية والكوميدية وفقًا لقواعد معينة، حيث يركز على الحكمة والتعاليم الأخلاقية. ويستخدم لغة مركزية ورفيعة، ويتناول غالبًا مواضيع تاريخية أو مألوفة من الأدب الكلاسيكي

3.الهيكل الثابت: يتبع هيكلا ثابتًا للأعمال المسرحية يشمل مقدمة ونقطة ذروة وختام.

4.استخدام الكورال: يشمل الكورال (جماعة من المغنين) في العروض لتقديم تعليقات على الأحداث والأفكار.

5.تعليمات منظمة للممثلين: يحتوي على تعليمات منظمة للممثلين بخصوص حركاتهم وأداءهم.

المسرح الحديث: (مثلا مسرحية «موت المنتزه» لأوكتافيو باغ ، مسرحية «انتظار غودو» لصامويل بيكيت ، مسرحية «كات على نخلة ساقية عبد المنعم» لتوفيق الحكيم)

1.تأثير الرومانسية والواقعية: ينطلق المسرح الحديث من القرن التاسع عشر وما بعده، ويسعى لتقديم حياة وشخصيات وأحداث تعبر عن الواقع بشكل أكثر واقعية. يمكن أن يكون أكثر مرونة في استخدام الزمان والمكان، وقد يجمع بين مشاهد من أمكنة وازمنة مختلفة

2.التنوع في الأساليب والمواضيع: يشمل مجموعة متنوعة من الأساليب والمواضيع، وقد تتراوح بين الواقعية والرمزية والتجريبية. يستخدم أساليب لغوية وحوارات أكثر تنوعًا وقد يتضمن استخدام لهجات ولغاتمتنوعة وملامح من الحياة اليومية.

3.استكشاف النفس والعقلانية: يشمل استكشاف النفس البشرية وعواطفها وصراعاتها الداخلية بشكل عميق.

4.تجديد هياكل العروض: هناك اختلاف في هياكل العروض وقد يتضمن تجديدًا للتوزيع المسرحي والسرد.

المسرح المعاصر: (مسرحية «راين مان» لتوماس ستوبارد، مسرحية «وايت رابيت» لكريج لوكهارست ، مسرحية «أون سيلبيروس» لستيفن أدلي)

1.تجاوز التقاليد: يتخطى حدود وتقاليد المسرح السابق وقد يعتمد على الابتكار والتجديد في العروض والأفكار. اى انه يتسم بالتجريبية والابتكار و يستخدم تقنيات جديدة ويتجاوز الهياكل التقليدية

2.التعددية والتنوع: يمزج بين مجموعة متنوعة من الأساليب والعناصر من مختلف الثقافات والأنماط المسرحية. يميل الى استخدام التكنولوجيا المتقدمة مثل الإضاءة المعقدة والتأثيرات الصوتية والبصرية لتحقيق تأثيرات خاصة

3.تسليط الضوء على القضايا المعاصرة: يركز على تسليط الضوء على قضايا ومشكلات معاصرة مثل الهوية، والتكنولوجيا، والسياسة.

4.التفاعل مع الجمهور: يمكن أن يكون تفاعليًا مع الجمهور، وقد يشمل عروضًا مشاركة أو عروضًا موجهة للجمهور ويمكن أن يشمل مشاركة الجمهور في الأداء.

تبين لنا هده الاختلافات بين المدارس الفلسفية انه لا وجود لمسرح واحد يهب لنا مجموعة متجانسة من الممارسات المسرحية التي يتفق حولها كل المسرحيين وهو ما يحيرنا ويدفعنا الى التفكير في العناصر

المشتركة بين هذه المدارس المسرحية لعلنا نقترب من تعريف ما للمسرح من خلال أهدافه... او على الأقل رصد بعض الخصائص العامة التي تجعلنا نقترب من الممارسة المسرحية. فما الذى يجمع بين المسرح الكلاسيكى والمسرح الحديث والمسرح المعاصر ؟ ألا يمكن ان تقربنا هذه النقاط المشتركة من خصوصية الممارسة الفلسفية ؟

تشترك كل المدارس المسرحية في :

1.التعبير الإنساني: تهدف جميع الأنماط المسرحية إلى التعبير عن تجارب وعواطف الإنسان وتقديم رؤى عميقة حول الحياة والمجتمع.

2.التأثير الاجتماعي: على الرغم من الاختلافات في الموضوعات والقضايا المطروحة، فإن جميع هذه الأنماط المسرحية تسعى إلى تحقيق تأثير اجتماعي وتوعية الجمهور بقضايا مهمة.

3.الإبداع والتجديد: سواءً كان المسرح كلاسيكيًا أو حديثًا أو معاصرًا، يسعى دائمًا لاستخدام أساليب إبداعية جديدة وتجديد القوالب القديمة لتقديم قصص جديدة بطرق جديدة.

4.الاعتماد على الأداء الحي: بالرغم من استخدام التكنولوجيا في المسرح الحديث والمعاصر، إلا أن الأداء الحي لا يزال يحتل مكانة مهمة في جميع الأنماط.

5.التعددية الثقافية: يمكن أن تتناول جميع الأنماط مواضيع وقصص من مختلف الثقافات والتجارب البشرية، مما يساهم في التعبير عن التنوع الثقافي.

6.التفاعل مع الجمهور: رغم اختلاف درجة التفاعل، يمكن أن تشجع جميع أنماط المسرح على التفاعل المباشر بين الفنانين والجمهور.

7.البحث عن المعنى: سواء كان المسرح كلاسيكيً أو حديثً أو معاصر فهو يهدف إلى تعزيز التفكير والتساؤل والبحث عن المعنى والغاية وراء الأحداث.

8.التركيز على الإبداع الفني: تمتاز جميع هذه الأنماط بالتركيز على الإبداع الفني في مجموعة متنوعة من الجوانب مثل الكتابة والأداء والتصميم والتقنيات والاضاءة ...

صحيح ان هذه الخصائص المشتركة قد تختلف بشكل بسيط أو كبير استنادًا إلى الإنتاج والمخرج والممثلين والمفاهيم المستخدمة ، ولكنها تقربنا من الممارسة المسرحية الحقيقية التي تبقى عصية عن الفهم من الخارج ذلك انه لا يمكن ان نفهم المسرح كمسرح ما لم نتدرب على الممارسة المسرحية وهو ما يعنى ان المسرح عصى على المقاربة الخارجية وان اعظم الدراسات النظرية لا يمكن لها ان تقدم لنا تعريفا جاهزا للمسرح ما لم نحاول ان نغوص في أعماق التجربة المسرحية حيث ان المسرح ليس سوى تدرب متواصل على المسرح وقد حاولت ان أعيش هذه التجربة خلال سنوات الشباب في مسرح دقة الدولى بتبرسق عندما حضرت العديد من الاعمال المسرحية الفريدة لكبار المسرحيين في تونس والخارج ومع ذلك فنحن نشعر دوما اننا لا نعرف المسرح وأننا في حاجه الى مزيد الغوص في أعماق الممارسة المسرحية لعلنا ندرك المسرح كمسرح من خلال طرح بعض الأسئلة التي تعيننا بصعوبة على التفكير في المسرح مع العلم ان السياق لا يساعدنا على طرح معظم الأسئلة التي تثير حيرتنا في هذا السياق. ان اهم ما يمكن ان نحتفظ به من المسرح هو قدرته على التعبير على اعسر القضايا الإنسانية المعقدة بطرق فنية بسيطة مما يجعله قادرا على التأثير في الجمهور وتحفيز قدراته على التفكير والتمرد على السلطة.

كيف يمكن للمسرح أن يعبر عن المعاني والرموز والمفاهيم المعقدة بوسائل فنية ؟

كيف يؤثر المسرح على الجمهور وعلى الفهم البشري للعالم؟ هل يمكن للمسرح أن يحفز التأمل والتفكير العميق والتمرد على السلطة ؟

ينافس المسرح الفلسفة في التعبير عن اعظم معانى الوجود الانسانى ، فهو وسيلة فنية فريدة تمكننا من التعبير عن المعاني والرموز والمفاهيم المعقدة بطرق متعددة وعميقة. لتحقيق ذلك، يستخدم المسرح مجموعة من الوسائل والأساليب التي تساعد على التفكير فى المفاهيم بطريقة تفاعلية. وفى هذا السياق اشير باختصار الى بعض الطرق التي يستخدمها المسرح للتعبير عن المعاني والرموز والمفاهيم المعقدة:

*الشخصيات والحوارات: يمكن للمسرح تجسيد تباين الآراء والمفاهيم المختلفة من خلال تطوير شخصيات معقدة ومتنوعة وإبراز العلاقات بينها من خلال الحوارات.

*التصميم المسرحي: يقدر المسرح على الاستغناء على الكلمات من خلال استخدام الديكور والإضاءة والملابس لخلق رموز بصرية تعبر عن معاني معقدة قد لا تساعد الكلمات على فهمها وقد يعتمد على طريقة الصمت التي قد تعبر عن تصور مغاير للتواصل.

*الحركة والتمثيل: تساعد تقنيات التمثيل والحركة في تجسيد المفاهيم المعقدة من خلال تصوير العواطف والتجارب بطرق لا تقتصر على اللغة المكتوبة.

*الاستخدام المجازى والرمزي: يمكن للمسرح استخدام رموز ومجازات للتعبير عن معاني عميقة دون الحاجة إلى تفسير مباشر.

*الهيكل السردي والتوقيت: يبدو ان المسرح قادر على تناول القصة بطرق غير تسلسلية أو استخدام توقيت مبتكر يمكنه تعزيز فهم المعاني المعقدة وإبراز تباينها.

*الاستعانة بالصوت والموسيقى والرقص...: الصوت والموسيقى والرقص يمكنهم إضافة أبعاد عاطفية وروحية للعمل المسرحي وتعميق المعاني.

*التفاعل المباشر مع الجمهور: المسرح قادر على إشراك الجمهور بشكل مباشر مما يسمح بنقل المعاني والرموز بشكل تفاعلى ومتبادل.

*الاستخدام اللغوي الابداعي: يمكن للمسرح استخدام لغة مبتكرة وشاعرية تساهم في نقل المفاهيم المعقدة بشكل فنى ومحبب.

بشكل عام، يقوم المسرح بمزج مختلف العناصر الفنية والإبداعية لتجسيد المفاهيم المعقدة بطرق تسمح للجمهور بالتفاعل والتأمل بشكل عميق وشامل و المساهمة في تغيير العالم وإدخال تغييرات هامة على النظام السياسى .

يملك المسرح قدرة عجيبة لتحفيز التأمل و التفكير العميق عن طريق العرض المسرحى لقضايا معقدة ومحفزة للتأمل من خلال الاعتماد على القصص والحوار اللذان يتطلبان العمق في التفكير من اجل فهم مشاعر وأفكار الشخصيات والقضايا المطروحة. كما تطرح الاعمال المسرحية على الجمهور مجموعة من الأسئلة الحساسة والمثيرة للجدل مما يدرب الجمهور على التفكير العميق في قضايا اجتماعية وأخلاقية وثقافية ... بحيث تدرب قدرات الاستفزاز والتحدى من اجل الاحتجاج على السلطة بطريقة سلمية ومدنية منسجمة مع مقتضيات النضال السلمى والديمقراطى . تحتاج الديمقراطية اليوم الى ابداع اشكال نضالية جديدة تساعد على تطويرها وتخليصها من ازمتها التمثيلية وعدم انسجام شرعيتها مع مبادئ العدل والإنصاف وفى هذا السياق يتدخل المسرح من اجل تقديم وجهات نظر متعددة حول السلطة ، مما يشجع على التفكير في دورها وأثرها على الفرد والمجتمع.

لقد بين المسرح انه قادر على تحدى سلطة الظلم من خلال تناول قضايا راهنة وفضح تناقضات الأنظمة السائدة وتحفيز المواطنين على التمرد وبالتالي فهو ليس مجرد وسيلة للتسلية وإثارة العواطف كما عودتنا بذلك اغلب المهرجانات التونسية التي فقدت عراقتها بل هو فسحة جميلة للتأمل والتفكير والتمرد على الظلم . وفى هذا الاطار يمكن التطرق الى أهمية «مسرح الشارع « من حيث هو نمط مسرحى معاصر ومغاير للأنماط الكلاسيكية لأنه يقوم على التفاعل الحر مع الجمهور داخل الشوارع والساحات العمومية بحيث انه ضرب مغاير من الممارسة المسرحية التي تريد ان تحرر المسرح ومن القاعات المغلقة والقوالب الجاهزة. صحيح ان هدا النمط المعرفى يثير العديد من الصعوبات الفنية والمعرفية التي نذكر منها بإيجاز صعوبات : العرض العشوائي ، الضوضاء والتشويش ، تقاطع الأحداث، ردود فعل غير متوقعة للجمهور، صعوبة الالمام بالهموم المحلية والواقعية للجمهور وخطورة غياب السيطرة على محتوى المسرحية... لكنه يبقى نمط مسرحى مجدد يسعى للتحرر من قيود المسرح الكلاسيكى لأنه يستهدف الجمهور بغض النظر عن خلفياته الثقافية أو الاجتماعية او الجهوية او الجندرية. يهدف مسرح الشارع إلى تقديم أعمال مسرحية مبتكرة ومشوقة للجمهور وتحقيق تفاعل مباشر معه. فالجمهور ليس مجرد مشاهد بل يمكنه التفاعل مع الممثلين والأداء وهو ما يخلق تجربة مشاركة فريدة ويعزز التواصل بين الفنانين والجمهور و يشجع على الإبداع والتجديد في بناء العروض المسرحية بسبب الظروف الواقعية المتغيرة وهكذا فإن مسرح الشارع يمكن أن يكون وسيلة لنقل رسائل اجتماعية وسياسية. يمكن للأداء المسرحي في الشارع أن يجذب انتباه الجمهور إلى قضايا معينة ويشجع على التفكير والنقاش في قضايا الشأن العمومي بما في ذلك القوانين والتشريعات وسياسات الحكومة بحيث يمكن ان يساهم هذا النمط المغاير من الممارسة المسرحية في تجديد اشكال النضال وطرق الاضراب التي وقع انهاكها وأصبحت تعانى منذ سنوات من رتابه وسائل الاحتجاج التي لم تعد تلقى القبول من الجمهور وخاصة الشباب المثقف الذي اصبح عازف عن المشاركة السياسية وقد يساهم مسرح الشارع الى جانب غيره من الفنون في تطوير مشاركة المواطنين داخل الفضاء العمومى و تجديد اشكال الاحتجاج المدنى والسلمى الذى تحتاجه الديمقراطية حتى نخلصها من رتابة بعدها الاجرائى وأزمة المشروعية والتمثيلية التي تعيشها من سنوات.

.....

(1) Marc Lacheny , Introduction : Théâtre et philosophie. Théâtres du Monde , 2016, ,26, p 11-22.

(2) Antonin Artaud, Le Théâtre et son double. Gallimard, Paris, 1964.

(3)Hélène GARELLO, Le théâtre de la vérité chez Shakespeare Novembre 2018, Sous la direction de Mme Chantal JAQUET Professeure à l'université Paris 1 Panthéon-Sorbonne.

المؤتمر الصحفي للاعلان عن الدورة

المسرح التونسي في الدورة الرابعة لـ"مهرجان بغداد الدولي للمسرح"

منصف الكريمي

من ضمن 20 عرض مسرحي منها 3 عروض عراقية محلية و 9 عروض عربية و8 عروض أجنبية تم اختيار 2 عروض مسرحية تونسية و 2 عروض مسرحية جزائرية للمشاركة ضمن مسابقة فعاليات الدورة الرابعة لـ"مهرجان بغداد الدولي للمسرح"التي تنظمها بالعاصمة بغداد دائرة السينما والمسرح بوزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية يوم 10 أكتوبر القادم برعاية رئيس الوزراء المهندس محمد شياع السوداني وبإشراف وزير الثقافة والسياحة والآثار الدكتور أحمد فكاك البدراني وبرئاسة مدير الدائرة الدكتور أحمد حسن موسى حيث يشرف على ادارة المهرجان الصحفي مصطفى الطويل وبمساعدة سكرتير المهرجان مجد حميد وتتكون أعضاء لجنة المشاهدة واختيار العروض المشاركة فيه من الفنانة الآء نجم والدكتور فرحان عمران ومدير الفرقة الوطنية للتمثيل منير راضي.

ويسجل هذا المهرجان مشاركات من عدة دول خلال فعالياته منهم من المغرب، تونس، الجزائر، مصر، سوريا، لبنان، الأردن، سلطنة عمان، السعودية، الكويت، البحرين، الامارات العربية المتحدة، السودان، ايطاليا، فرنسا، روسيا، بلجيكا، تركيا، المانيا، البرازيل، انغولا و إيران.

ومن بين العروض الـ20 التي ستدخل في مسابقة المهرجان ستكون المشاركة التونسية من خلال مسرحية "ثورة الخشب" للمخرج فيصل بن محمود والتي ستشارك ايضا في فعاليات مهرجان الاسكندرية المسرحي الدولي في دورته 13 الى جانب مشاركة المسرحية التونسية"خارج عن السيطرة"لآمال العويني

جدر بالذكر ان هذا المهرجان ستتضمن فعالياته تنظيم مجموعة من الورشات الفنية والمؤتمرات والندوات الفكرية وتكريم مجموعة من الفنانين العراقيين والعرب الى جانب تنظيم عدد من المؤتمرات الصحفية ذات الصلة.

صورة تتحدّث

باب لعلوج الاول

ذكريات تونس المنسية

صورة لباب لعلوج الاول و هو من انشاء السلطان الحفصي ابو عمر عثمان وقع بناءه في القرن الخامس عشر ميلادي، و كان يعرف قبل ذلك بباب الرحيبة نسبة للبطحاء الكبيرة التي كانت امامه انا ذاك، اما بالنسبة الى تسمية لعلوج فاهي مفرد علج والعلج هو في اللغة العربية الفصحة الشخص الابيض الاوروبي، لانه اغلبية امهات السلاطين الحفصين من العلوج، ولما جلب السلطان عائلة امه من اوروبا وتحديدا اطاليا اسكنهم قرب الباب ومن ذلك الحين اصبح يعرف بباب لعلوج عوضا عن باب الرحيبة، اما بالنسبة الى مكانه كان يقع في مكان المحول الدائري الحالي في شارع تسعة افريل وقبالة مستشفى شرلنيكول، وغير هذا الباب في بداية دخول الاحتلال الفرنسي وعوض بباب لعلوج الثاني بعد اتفاقية المرسى التي وقعت سنة 1883م وكلاهما هدم.

بقلم: Souhayeb Latrech
ذكريات تونس المنسية

في انتظار التقنين وتحمّل المسؤوليات :

عروض التنشيط الموجهة للطفل فن راق ونبيل تم تغيير وجهته...

يوسف مارس (مخرج مسرحي)

إن التعريف بالعروض التنشيطية يشتمل على جانبين مهمين، أولهما شخصية المهرج (البهلوان) وهي شخصية تهتم بتقديم التنشيط المسرحي وتعتمد في ذلك على أغاني وألعاب والتي تدخل في تصنيف العروض البهلوانية، والساحر الذي يعتمد على ألعاب الخفة والخفة الجسمية في التحرك على الركح، وكليهما يمثل جزءا من الفرجة المسرحية التي تعتمد على إتباع قواعد التنشيط والترفيه للمتفرجين.

يعدّ العرض التنشيطي نوع من صنع الفرجة التي لا تعتمد على القواعد المسرحية بشكل كبير، لذلك هو من الأعمال المسرحية السهلة الممتنعة، خاصة وأن البهلوان من خلالها يتوجّه بما يقدمه إلى الأطفال والعائلات الذين يشاركونه في خلق أجواء ممتعة على المسرح وذلك بهدف إسعاد الأطفال.

ويقدم هذا الفن للمتفرج العديد من القيم التربوية والترفيهية عبر وسائل ورسائل متعدّدة كالأغاني والنصائح والمعلومات العلمية ، كما تتنوع أماكن العروض فيه من فضاءات مغلقة إلى ساحات عامة ولا يستند فن العروض التنشيطية البلهوانية إلى قوانين تضبطه بل يؤسس له بناء على قواعد، كما أنه ليس فنا سهلا إذ يعد من أرقى فنون الفرجة والمسرح التي قصدها جلب الجمهور والأطفال تحديدا، ويمثل أحد فنون العرض التي تعبر عن إبداع شخصي فني ورياضي..

وتعتمد قواعد العرض البهلواني على احترام الجمهور المتابع مهما كان سنه بتقديم أداء جيد ونوعي والتمسك بضرورة التدريب القبلي والابتعاد عن الأداء الارتجالي، وإن كان دور البهلوان يتطلّب بعض الارتجال الإيجابي، إلا أن استخدام أفراد ليس لهم من الخبرة ما يؤهلهم لأداء هذا الدور قد يؤدي إلى حدوث كوارث فوق الركح ، خاصة وأن تعاملهم يكون مع جمهور الطفل الذي يصنّف على أنه جمهور حسّاس جدا ولابد من احترامه واحترام بساطة تفكيره وبراءته.

فواقع فنون العروض البهلوانية في بلادنا التي أضحت ظاهرة، نظرا للانتشار الكبير الذي تعرفه العروض البهلوانية وبشكل واسع وعلى الرغم من إيجابية ذلك، إلا أن الأمر تحوّل إلى التمييع في غالب الأحيان ، نفس المحتوى نفس الافكار نفس المعاناة مع تغيير طفيف في الاسم من "عمي فلتان" الى

عمي رضوان

عمي بشبوش

عمي "تراشكون " وضعف الظاهر في هذه العروض والاستسهال أدى الى إسهال إي أدى إلى تقمص دور البهلوان من قبل أشخاص غير مؤهلين لأداء مثل هذه العروض لأسباب تجارية بحتة، إذ أضحى أي شخص لا يملك أي خبرة في المجال يلبس زي شخصية البهلوان ويصعد على الركح لمواجهة جمهور الأطفال الذي يعد جمهورا لا يجب الاستهانة به مهما كان صغر سنه، وهو الأمر الذي انعكس على مثل هذه العروض التي لم تعد تؤدي أي فائدة أو قيمة تربوية وأخلاقية، كما كان يجب أن تكون عليه، حتى أن الطفل لم يعد بإمكانه التفريق بين الخير والشر من خلالها.

إلزامية مراعاة سنّ الطفل وقدرة تركيزه لدى تقديم العرض...

هنا نؤكد على أن كل فنان يحترم نفسه وجمهوره سيقدم له الأحسن، فالقضية بذلك تتعدى اهتمامات دولة أو وزارة، أن التوجه العام يشجّع الإبداعات الفنية ولا يوجد حجر على أي منها غير أن عقبة الجمهور هي المرجحة.

في الوقت الذي يكون فيه عدد قليل من فرق العرض المسرحي المحترمة جدا والتي تقدّر خصوصية التعامل مع الجمهور بشرائحه المختلفة وتحترم سنّ المتلقي وخصوصية مواضيعه، نجد أن هناك العديد من الفرق أيضا التي لا ترى في العرض البهلواني سوى عملا تجاريا محضا ومعظمها لا تهتم بقدرة الشخص المتقمص لدور البهلوان على التمكّن من السيطرة على تركيز الطفل المتلقي والتأثير فيه باستخدام أساليب إقناعية تراعي سنه وتستوعب مستوى تفكيره الحذر واليقظة مطلوبان لدى التعاقد مع البهلوان بالتونسي "عمي فلتان".

ولتفادي السماح باستمرار عملية التلاعب بعقلية الطفل هنا نوضح أنه لا بد للمسؤولين عن المؤسسات التربوية ورياض الاطفال و المدارس و المعاهد أن يكونوا أكثر وعيا بمسؤولياتهم إزاء الأشخاص الذين يتفقون معهم على أداء العروض أمام الأطفال المتمدرسين، ذلك أن تأثير ضعف النصّ و وعدم قدرة الشخص الذي رشّح من طرف الفرقة لتقديمه على المسرح، خاصة إذا لم تكن له تجارب سابقة أو لضعف مستواه اللغوي قد يؤدي إلى عكس قيم سلبية على الطفل المتلقي...

يجب ان تقنن هذه العروض و تدخل تحت لجان توجيه مختصة و عارفة بأليات هذا الفن...يقول شكسبير على لسان هاملت :

...وانتبهوا للذين يمثلون ادوار المهرجين ألا يقولوا إلا ما دُوِّن لهم للقول، لأن منهم فئة تضحك من تلقاء نفسها ، لكي يضحك لها عدد من النظّارة الاغبياء ، بينما المسرحية فيها أمرٌ غير الضحك يجب الالتفات إليه ! ...

عبد الرحمن سيساكو:

عدسة تلاحق الوجع الموريتاني بشاعرية

محمد عبيدو (ناقد سينمائي سوريا)

عبد الرحمن سيساكو اسم فني له تجارب فنية يحترمها الجميع قدمت به من خلال عدسة صاحبها سيساكو، حيث أنتج حتى الآن أكثر من أربعة عشر فيلما سينمائيا في المجالين الوثائقي والروائي وعبر برؤية سينمائية عن الهم الإفريقي الكبير في حوار الحضارات والشراكة الفاعلة والهجرة والتنمية.. كما أسس دارا للإنتاج في باريس

النشاة والتكوين

عبد الرحمن ولد محمد يحيى الشهير بسيساكو بكيفة سنة 1961 ليرحل بعد ذلك إلى (مالي) قبل أن يعود من جديد إلى موريتانيا سنة 1980، وفي نواكشوط تعرف لأول مرة على أفلام الو سترن الإيطالي (كر انس هيل وبيد سبنسر) لكنه تعرف في نفس الوقت على المركز الثقافي الروسي ليكتشف عمالقة الأدب الروسي كدويستوفسكي، غوغول وتورغينيف مترجمين إلى الفرنسية، وبعد سنة حصل على منحة إلى روسيا ليدرس أولا في روستوف قبل أن يدخل معهد "افكيك"(VGIK) السينمائي وهناك تعرف على أفلام لمخرجين عمالقة ك "فورد" و«فاسبندر"...

انتاجاته السينمائية

بعد سنوات الدراسة أخرج فيلمه الأول "اللعبة" (1989) كمشروع للتخرج تم تصويره في تركمانستان ويحكي قصة الحرب من خلال لعبة أطفال يقضي معهم والدهم عطلته الأسبوعية قبل أن يعود لجبهة الحرب.

وبعد سنتين توج هذا الفيلم في مهرجان كان السينمائي، فيلمه الثاني أكتوبر 1993 يحكي قصة شاب إفريقي، إدريسا، الذي يستعد للرحيل عن موسكو وعن حبيبته (ايرنا) الحامل، الحائر بين الاحتفاظ بالجنين الذي تكرهه عائلتها وبين الإجهاض الذي يمحو علاقة بكاملها، وقد حصل على العديد من الجوائز في مهرجانات (كان) و(قرطاج). الفيلم الثالث هو (الجمل والعصا المترنحة) 1994، وهو عن إحدى قصص (جان لافونتان). الفيلم الرابع (صابريا) 1996، وهو فيلم طويل صور في صحراء تونس ويحكي قصة صديقين يمضيان كل الوقت في "لعبة الطاولة" قبل مجيء إحدى الفتيات التي تغير كل شيء، وقد حصل على جائزة (لا موسترا دوفنيس). الفيلم الخامس (من روستوف إلى لواندا) 1997، ويزاوج بين الوثائقي والخيال، ويحكي قصة سفر المخرج يبحث عن صديقه (باري سانكا) الذي انقطعت عنه أخباره حينما عاد إلى وطنه أنكولا التي مزقتها الحرب، والشريط يبين آثار هذه الحرب دون أن يصورها مباشرة، وقد حصل على جوائز في كل من مهرجان (ميلان) و(لادوكمانتا دوكاسل) و(لافيسير ليدوك) في مرسيليا.

الفيلم قبل الأخير "الحياة على الأرض" 1998، يخلط الشعر بالسياسة من خلال رصد مرور عام 2000 في قرية صغيرة في عمق مالي هي (سوكولو)، وقد حصل على العديد من الجوائز في مهرجان (كان) و (تو ر نتو) و (سا ند ا نس) و نيو يو ر ك وقرطاج وفسباكو في واغاداغو و(فريبورغ) و(ميلان) و(بلفور).

ثم فيلم في "انتظار السعادة"2002، الذي يحكي قصة مراهق في السابعة عشرة من عمره يعود منمالي إلى موريتانيا وطنه ليجد والدته تعيش في غرفة صغيرة في أحد أحياء العاصمة الاقتصادية نواذيبو، في نفس الحوش تسكن مجموعة من الأجانب إضافة إلى فنانة تقطن الغرفة الملاصقة لتلك التي سيعيش فيها عبد الله مع والدته "سكينة". سيرتبط عبد الله بعلاقة عاطفية مع "نانا" الفتاة الغينية التي تكتري الغرفة المقابلة لهم، والتي تتمتع بحماية مواطنها "باري" الذي يدير مغسلة في نفس الدار. شيئا فشيئا سيكتشف عبد الله هذا الفضاء المحيط به والذي هو جزء منه، لتفتح أمامه فضاءات أرحب من التخيل والحلم. باختصار يحاول هذا الشريط أن يحكي قصص هؤلاء ليحكي قصة المنفي سواء على المستوى الداخلي الشعوري أو على مستوى الواقع اليومي الملموس من خلال لغة سينمائية فيها الكثير من البساطة والعمق.. فيلمه "هيرماكونو"(2002)، تم انتقاؤه في عدة مهرجانات عالمية، منها على الخصوص مهرجان "كان" حيث نال جائزة النقد الدولية، كما أحرز حصان ياننيكا بمهرجان فسباكو، بالإضافة إلى الجائزة الكبرى لتظاهرة السينمات العربية بباريس التي تنظم مرة كل سنتين. وأخرج "باماكو"(2006)، فيلم روائي-وثائقي، عرض خارج المسابقة الرسمية بمهرجان "كان" في نفس السنة. كما أحرز الجائزة الكبرى للجمهور بملتقيات باريس السينمائية. يحاول سيساكو من خلال الفيلم، محاكمة البنك الدولي وبرامج الإصلاح التابعة لصندوق النقد الدولي، ووضعهما في قفص الاتهام. يقول عبد الرحمن سيساكو متحدثاً عن الدافع وراء إخراج هذا العمل: "لايوجد محكمة في وقتنا الراهن تستطيع التجرؤ أو التشكيك بأهلية الجهات التي تملك القوة والنفوذ. لا تقتصر المسألة هنا على إلقاء التهم واللوم على الجهات المسيئة، بقدر فضح حقيقة أن الحياة التعيسة التي يعيشها ملايين البشر ما هي إلا نتيجة للسياسات التي يتم اتخاذها بعيداً عن متطلبات حياة هذه الشعوب واحتياجاتهم وعوالمهم الحقيقية". مثل المخرج الموريتاني عبد الرحمن سيساكو القارة الإفريقية بفيلم "تومبكتو"، في الدورة ال67 لمهرجان "كان" السينمائي الدولي. وسبق له الحصول على جائزة المهرجان عام 1993 بفيلمه القصير "تشرين الأول". ويحمل الفيلم عنوانين هما "تومبكتو" و«غضب الطيور" ويتحدث عن مدينة تومبكتو منذ مجدها الغابر في التاريخ إلى أن باتت مسرحا لعمليات جهادية. ، ويعمل سيساكو في القصر الرئاسي في نواكشوط منذ منتصف العام 2011، حيث تم تعيينه مستشارا لرئيس الجمهورية مكلفا بالشؤون الثقافية

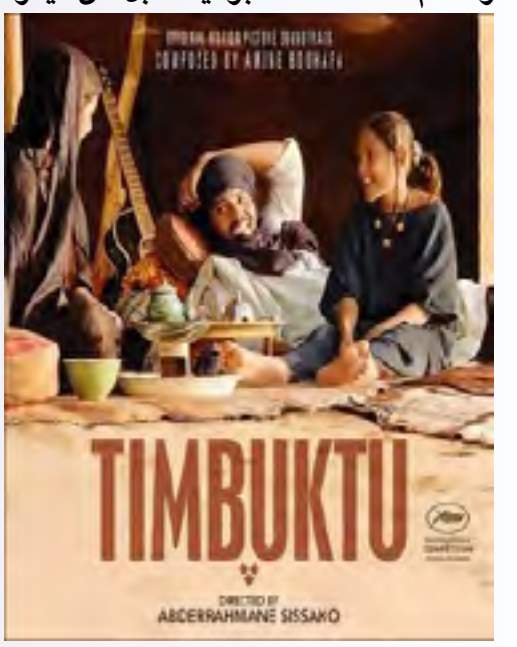

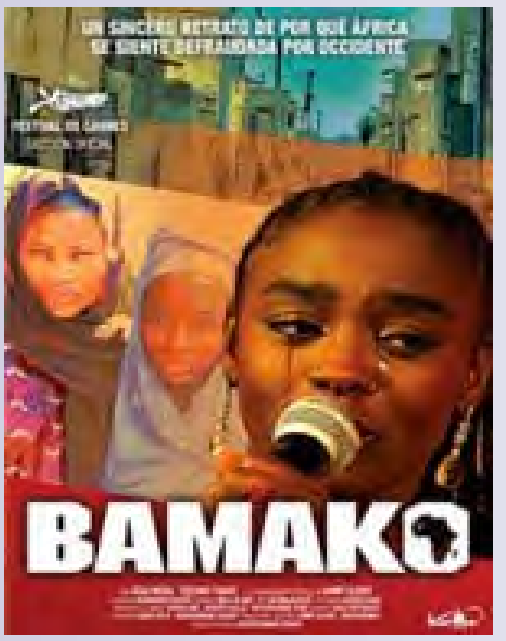

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

بطولة ظافر العابدين للنسخة الجديدة من "انف وثلاث عيون" تستفز الممثلة "شهيرة"

أعربت الفنانة شهيرة، عن ترحيبها بإعادة تقديم الفنان التونسي ظافر العابدين، الشخصية نفسها التي قدمها زوجها الفنان الراحل محمود ياسين، في فيلمه الشهير "أنف وثلاث عيون" في عام 1972، ويعتبر من أبرز أعماله السينمائية التي قدمها خلال مشواره الفني.

المخرج أمير رمسيس أعلن،يوم الأربعاء، عن انطلاق تصوير النسخة الجديدة من الفيلم المستوحاة قصته في الأساس من رواية للكاتب الراحل إحسان عبد القدوس، ومن المفترض أن يلعب بطولته ظافر العابدين، صبا مبارك، سلمى أبو ضيف، وجيهان الشماشرجي.

وفور إعلان تلك التفاصيل، انتشرت التساؤلات حول كيفية إعادة تقديم الفيلم الذي مر على إنتاجه 51 عاماً واشترك في بطولته مجموعة من أبرز نجوم الزمن الجميل، منهم محمود ياسين، ماجدة، ميرفت أمين ونجلاء فتحي.

وأكدت شهيرة، أنها ليست ضد إعادة تقديم الأعمال الروائية في أكثر من عمل فني، مُشيرة إلى أنه من غير المنطقي أن يحتكرها نجم بعينه، لكن من الممكن تناولها بطريقة مختلفة تتناسب مع الوقت الحالي، مؤكدةً حق الشباب في مشاهدتهم مثل هذه الأعمال الروائية بما يتناسب مع ظروف عصرهم.

رفضت شهيرة مُقارنة البعض بين ظافر العابدين والنجم الراحل، قائلةً إن كل فنان له أسلوبه الخاص وطريقته في تقديم أي شخصية، كما أكدت أنها أعادت تقديم الشخصية نفسها التي قدمتها الراحلة شادية، في فيلم "رسالة إلى مجهول"، من خلال فيلمها "وضاع العمر يا ولدي"، ولاقى العمل نجاحاً كبيراً على الرغم من تقديم فكرته من قبل، حيث اقتُبست من رواية أجنبية.

يُذكر أن فيلم "أنف وثلاث عيون" مأخوذ عن قصة للكاتب إحسان عبد القدوس، وأُنتج في عام 1972 وأخرجه حسين كمال، وشارك في بطولته ماجدة، نجلاء فتحي، محمود ياسين، ميرفت أمين، صلاح منصور، حمدي أحمد.

أمّا النسخة الجديدة من الفيلم التي انطلق تصويرها، فهي من بطولة ظافر العابدين، صبا مبارك، سلمى أبو ضيف، بالإضافة إلى عدد من النجوم مثل جيهان الشماشرجي، صدقي صخر، سلوى محمد علي، نبيل ماهر، نور محمود، الطفل سليم مصطفى، وظهور خاص للفنانة دينا الشربيني كضيفة شرف.

التونسيون نجيب الكثيري وأريج السحيري ومريم الفرجاني في مهرجان "روتردام للفيلم العربي"في دورته الـ 23

أعلن مهرجان روتردام للفيلم العربي عن برنامجه السينمائي لدورته الـ23 ، التي ستقام في الفترة من الخامس وحتى العاشر من سبتمبر المقبل، حيث يضم البرنامج 39 فيلمًا، منها 21 فيلم طويل و18 فيلم قصير، من إنتاج 11 دولة عربية، بالإضافة إلى شراكات إنتاجية مع 8 دول غربية.

وتتكون لجنة تحكيم الأفلام الطويلة من المخرج الفلسطيني محمد قبلاوي، والفنانة المصرية داليا البحيري، والمنتج السعودي صالح فوزان، كما تضم لجنة تحكيم الأفلام الوثائقية المنتج السينمائي المصري صفي الدين محمود، والمخرج المغربي سعيد ازر، والمخرجة الهولندية دوفي رييس، وتشكلت لجنة تحكيم الأفلام القصيرة من الفنانة المغربية نسرين الراضي، والسيناريست المصري محمد عبد الخالق، والفنانة التونسية مريم الفرجاني.

ومن بين الأفلام المتنافسة في المهرجان، خمسة أفلام في المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة، ومثلها في المسابقة الوثائقية، بالإضافة إلى خمسة أفلام قصيرة في مسابقتها المخصصة.

وسيتم عرض مجموعة من الأفلام التي تتنافس على جائزة الجمهور، منها "سطار" إخراج عبد الله العراك (السعودية)، "رحلة يوسف" إخراج جود سعيد (سوريا)، "الأخيرة" إخراج: داميان ونوري، عديلة بن ديمراد (الجزائر وفرنسا والسعودية)، "ملكات" إخراج ياسمين بن كيران (المغرب، فرنسا، قطر، بلجيكا، السعودية).

ويشارك بمسابقة الأفلام الطويلة فيلم "19 ب" إخراج أحمد عبد الله السيد (مصر)، "بركة العروس" إخراج باسم بريش (لبنان، قطر)، "علم" إخراج فراس خوري (فلسطين، فرنسا، تونس، السعودية، قطر)، "صيف في بجعد" إخراج عمر مول الدويرة (المغرب، فرنسا، بلجيكا)، "إن شاء الله ولد" إخراج أمجد الرشيد (الأردن).

ويعرض بمسابقة الأفلام الوثائقية فيلم "تحت الشجرة" إخراج أريج السحيري (تونس، فرنسا، سويسرا، ألمانيا، قطر)، "مش زيهم" إخراج نادية فارس (مصر, سويسرا)، "بعيدًا عن النيل" إخراج شريف القشطة (مصر , الويلايات المتحدة الأمريكية)، "مافيا البرجر اللبنانية" إخراج عمر مواليم (كندا)، "طفولة عماد" إخراج زهافي سانجافي (العراق، السويد ، ليتوانيا).

ويتنافس بمسابقة الأفلام القصيرة فيلم "حمزة أطارد شبحًا يطاردني" إخراج ورد كيال (فلسطين)، "عبد" إخراج عبد السلام الحاج (الأردن)، "شريط فيديو تبدل" إخراج مها الساعاتي (السعودية)، "على قبر أبي" إخراج جواهين زنتار (المغرب ,فرنسا)، "ترينو" إخراج نجيب كثيري (تونس,إنجلترا).

وسيكون هناك عرض خاص لافلام قصيرة خارج المسابقة ومنها : "عثمان" إخراج خالد زيدان (السعودية)، "ابن البلد" إخراج طوني الغزال (قطر، الأردن، لبنان، كندا)، "حمص وشيبس" إخراج أحمد مغازي (مصر)، "ثقافة" إخراج فيروز غمام (بلجيكا)، "يلا، يلا بينا!" إخراج محمد حماد (السعودية)، وتختتم فعاليات المهرجان بعرض الفيلم السعودي "طريق الوادي" للمخرج خالد فهد.

وقررت إدارة مهرجان الفيلم العربي بروتردام، تكريم الفنانة ليلي علوي والفنان جمال سليمان، في دورة هذا العام تقديرًا لما قدماه طوال مسيرتهما الفنية المثمرة، ويحتفل بذكرى مرور 100 عام علي وفاة الملحّن المصري سيد درويش (1923-1892) بحفل موسيقي خاص.

كما سيتم أيضاً تكريم الفنان الهولندي مارتن فوندس، وهو الملحّن الأول لعام 2021 في هولندا، وسيقوم بتقديم مقطوعة موسيقية جديدة مستوحاة من أعمال سيد درويش، وفي الجزء الثاني من الحفل، سيقدم الفنان زكرياء غفولي أداءً مميزًا يجمع بين الموسيقى التقليدية وعناصر البوب الحديثة، ليأخذ الجمهور في رحلة عبر المشهد الموسيقي العربي، وذلك خلال هذه الليلة الاستثنائية التي ستشهد تكريمًا لتراث وفنون العالم العربي.

الفيلم التونسي "وراء الجبل" الفيلم العربي الوحيد في المسابقات الرسمية لمهرجان البندقية

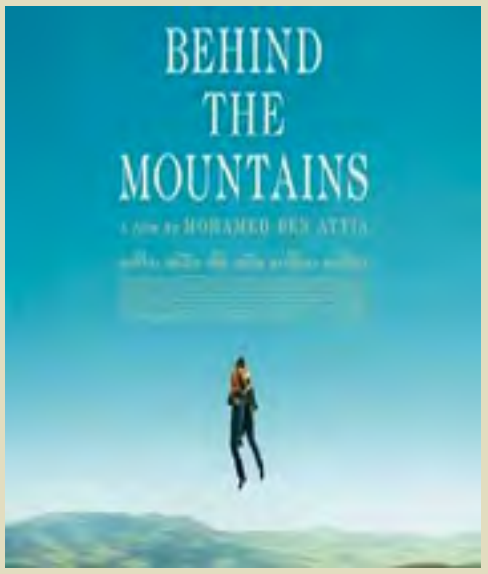

ينافس الفيلم التونسي "وراء الجبل" ضمن فعاليات الدورة الـ80 لمهرجان فينيسيا السينمائي الدولي، ضمن مسابقة "آفاق" يوم 4 سبتمبر بحضور طاقم العمل وفي مقدمتهم مؤلفه ومخرجه محمد بن عطية، انتاج قنوات راديو وتلفزيون العرب ART

تدور أحداث الفيلم حول رحلة رفيق، الذي خرج للتو من السجن بعدما قضى 4 سنوات، ولا توجد أمامه سوى خطة واحدة، وهي أن يصطحب ابنه في رحلة إلى ما وراء الجبال حتى يريه اكتشافه المذهل.

جدير بالذكر أن فيلم وراء الجبل يشارك في بطولته عدد كبير من الفنانين في مقدمتهم مجد مستورة، سامر بشارات، وليد بوشيوة، وسلمى الزغيدي وحلمي الدريدي.

واعتبر محمد بن عطية مخرج الفيلم، أنّ "وجود الفيلم في المهرجان، باعتباره المشاركة العربية الوحيدة للسينما الروائية الطويلة في الدورة ، تأتي نتيجة الجهود الضخمة التي بذلها فريق العمل لمدة عامين تقريباً، بداية من مرحلة الكتابة مروراً بعملية التطوير والبحث عن التمويل وحتى الإنتاج"، لافتاً إلى الدور الكبير للمنتجة درة بوشوشة في وصول أعماله للمهرجانات الدولية والعالمية.

وتابع أنّ "المال جانب ثانوي في شراكتي معها، وعملها على أفلامي يتجاوز الإنتاج، فهي صاحبة رؤية فنية تدعمني كثيراً منذ فيلمي القصير الأول وهي جزء من عائلتي"، معتبراً أنّ "هذا الفيلم تجربة سينمائية مختلفة عن أفلامي السابقة، على مستوى الكتابة والمعالجة والتقنيات المعتمدة خاصة عنصر توظيف المؤثرات البصرية".

وأكد أنّ أفلامه مستوحاة من الواقع التونسي، وتفاصيل الحياة اليومية تمنحه حافزاً للكتابة وصناعة قصة سينمائية"، موضحاً أن "القصة الإنسانية يمكن أن تعاش في أي مكان وزمان".

وأشار إلى استعانته بمجموعة من أصحاب الخبرات في مجال المؤثرات البصرية في تونس وخارجها، خاصة وأنّ "وراء الجبل" يعتمد على تلك التقنية بشكلٍ كبير، موضحاً أنّ "ذلك الأمر استغرق وقتاً طويلاً للانتهاء من تنفيذ الفيلم، علاوة على أنّ التصوير كان في مناطق من تونس تهطل بها الثلوج (عين دراهم)، فكان من الضروري العمل على اختيار التوقيت المناسب لكل مرحلة من مراحل العمل، وتتماشى مع أحداثه ورؤيته الجمالية والتقنية".

وأكد مخرج "وراء الجبل" أن مشروعه السينمائي الأخير مدعوم من صندوق البحر الأحمر، لذلك من المنتظر أن يكون حاضراً في مهرجان البحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية، في عرضه العربي الأول، مُشدداً على أهمية مشاركة الفيلم في المهرجانات السينمائية الأخرى بجانب برمجته في تونس.

يذكر أن المخرج التونسي محمد بن عطية، قدم خلال مشواره السينمائي عدداً من الأفلام القصيرة، قبل أن يطرح فيلمه الروائي الطويل الأول "نحبك هادي"، وفيلم "ولدي" عام 2018، والذي شارك في مهرجان كان السينمائي، في عرضه العالمي الأول في قسم "نصف شهر المخرجين".

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

مهرجان البندقية السينمائي في دورته الثمانين... نجوم أقل وفضائح اكثر

يواجه مهرجان البندقية السينمائي الذي إنطلق يوم الأربعاء بدورته الثمانين خطر التعرض لانتقادات بعد اختيار مخرجين مثيرين للجدل تستهدفهم اتهامات بالاعتداء الجنسي، مثل رومان بولانسكي ووودي ألن، بسبب غياب نجوم هوليوود الذين مُنعوا من المشاركة بسبب إضراب الممثلين.

وهذا المهرجان السينمائي الأعرق عالمياً والمحبب من أوساط هوليوود التي جعلته منصة إطلاق لأفلامها قبل موسم الجوائز، أول حدث كبير في مجال الفن السابع يتأثر مباشرة جراء الإضراب التاريخي الذي يشلّ السينما الأميركية منذ أشهر.

وقد انضم الممثلون الهوليووديون الشهر الماضي إلى كتّاب السيناريو في حركتهم الاجتماعية، مطالبين بتحسين الأجور ووضع ضوابط لاستخدام الذكاء الاصطناعي.

وتمنع نقابتهم القوية "ساغ-أفترا" SAG-AFTRA جميع أعضائها، حتى الأكثر شهرة منهم، من تصوير أي أعمال في أثناء الإضراب، وكذلك المشاركة في الترويج للأفلام.

وبالتالي، إلا إذا حصلت أي مفاجأة، سيغيب نجوم الأفلام الأميركية المشاركة في المهرجان هذه السنة عن السجادة الحمراء، من أمثال جيسيكا تشاستين وبرادلي كوبر ومايكل فاسبندر.

واضطر منظمو المهرجان الإيطالي العريق أيضاً إلى أن يتخلوا عن فيلم الافتتاح "تشالنجرز" Challengers للمخرج لوكا غوادانييتو، من بطولة زندايا وجوش أوكونور ومايك فايست، مستبدلين إياه بفيلم إيطالي أكثر تواضعاً.

وسيكون فيلم "فيراري" Ferrari لمايكل مان (80 عاماً)، أحد أبرز الأعمال المعروضة في المسابقة. ويَستفيد هذا العمل، وهو سيرة ذاتية لمؤسس ماركة السيارات الشهيرة إنزو فيراري، ويحمل توقيع صاحب فيلمي "هيت" Heat و"كولاتيرال" Colliteral، من استثناء منحته النقابة، ما قد يسمح لممثليه آدم درايفر وبينيلوبي كروز بالمجيء إلى البندقية للمناسبة.

ويتنافس أيضاً على جائزة الأسد الذهبي كل من ديفيد فينشر ("سفن"SE7EN و"فايت كلوب" Fight Club) وصوفيا كوبولا ("لوست إن ترانسلايشن" Lost in Translation و"ذا فيرجن سويسايدز" The Virgin Suicides). كذلك إن عرض أحدث أفلام وليام فريدكين خارج المنافسة سيكون بلا شك لحظة عاطفية، بعد أسابيع من وفاة هذا المخرج المعروف خصوصاً بفيلمه "ذا إكزورسيست" The Exorcist.

لكن قائمة الأعمال المشاركة في المسابقة تعكس قبل كل شيء عودة سينمائيين وُجهت إليهم اتهامات في قضايا اعتداء جنسي ينفون صحتها. ومن بين هؤلاء رومان بولانسكي (90 عاماً) الذي يعيش في أوروبا بمأمن من القضاء الأميركي الذي يهرب منه منذ أكثر من 40 عاماً، بعد إدانته بتهمة الاغتصاب.

وبعدما بات شخصاً غير مرغوب فيه في هوليوود، شهد هذا الاسم الكبير في الفن السابع ("روزميريز بابيي" Rosemary's Baby و"ذا بيانيست" The Pianist) تغييراً لوضعه في فرنسا منذ الجدل الدائر حول منحه جائزة سيزار السينمائية الفرنسية عن فيلمه "جاكوز" J'accuse.

ويعتبره جزء كبير من العاملين في المهنة أحد رموز الإفلات من العقاب في ما يتعلق بالعنف الجنسي، وقد ظل بعيداً عن الأنظار.

غير أن مهرجان البندقية السينمائي يعيده إلى الأضواء، إثر اختيار فيلمه "ذا بالاس" The Palace خارج المنافسة، وهو عمل من بطولة فاني أردان وميكي رورك، صُوّرت مشاهده في غشتاد (سويسرا). لكن بولانسكي لا ينوي المجيء إلى البندقية، وفق ما قالت ملحقته الصحافية ومصادر المهرجان لوكالة "فرانس برس".

ويواجه وودي آلن (87 عاماً) بدوره مقاطعة شبه كاملة من قطاع السينما بعد اتهامات بالاعتداء الجنسي على ابنته بالتبني، وهو الأمر الذي ينفيه، ولم ينجح أي تحقيق في جلاء حقيقته.

وسيقدّم آلن فيلمه الخمسين "كو دو شانس" Coup de Chance، الذي صُوّر في باريس باللغة الفرنسية ويضم لو دو لاج وفاليري لوميرسييه وملفيل بوبو ونيلز شنيدر.

وسيشهد مهرجان "موسترا" الذي يترأس لجنة تحكيمه المخرج داميان شازيل ("لا لاند")، عودة المخرج الفرنسي لوك بيسون إلى المنافسة مع فيلم "دوغمان" Dogman.

وشهد مخرج فيلمي "ليون" LEON و"ذا فيفث إيلمنت" The Fifth Element، إغلاق ملفه القانوني في نهاية جويلية، بعدما أسقطت محكمة النقض نهائياً تهم الاغتصاب التي وجهتها إليه الممثلة ساند فان روي.

وبينما بدت قضايا مكافحة التمييز والعنف الجنسي تتقدم في السنوات الأخيرة في عالم السينما، عقب حركة "مي تو"، فإن هذه الاختيارات الرمزية للمهرجان أثارت غضب الناشطات النسويات. وفي هذا الإطار، تستنكر مجموعة 50/50 "الرؤية الكبيرة" المقدّمة إلى هؤلاء الرجال من خلال إشراكهم في مثل هذه المهرجانات البارزة.

ومن ناحية المساواة بين الجنسين، تضمّ المسابقة الرسمية خمس مخرجات سينمائيات مقابل 19 رجلاً يتنافسون على جائزة الأسد الذهبي التي تُمنح في 9 سبتمبر، وهي جائزة فازت بها مخرجات خلال السنوات الثلاث الماضية.

مهرجان البندقية... "القاتل" و"مايسترو' و"بريسيلا_ .. من يفوز بـ"أسد فينيسيا"؟

إنطلقت يوم الأربعاء فعاليات الدورة الـ80 من مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي، أعرق مهرجان في أوروبا، وهناك الكثير من الأفلام المشاركة به والتي تتنوع ما بين المأخوذ عن قصة حقيقية وسيرة ذاتية مفعمة بالعاطفة ووصولاً إلى الخيال العلمي والجريمة والإثارة.

لكن الأكثر إثارة للجدل هذا العام 3 أفلام أمريكية تتنافس على جائزة الأسد الذهبي في المسابقة الرسمية، "القاتل" "The killer"، و"مايسترو" "Maestro"، و"بريسيلا" "Priscilla"، وبحسب تقارير عالمية تكون شهرة صناع تلك الأفلام ربما كافية لجذب الكثير من الاهتمام لـ3 أعمال، وتوقعات بأن يحصل أحد منهم على جائزة أسد فينيسيا.

القاتل

بعد ما يقرب من 25 عامًا منذ آخر مرة ظهر فيها على السجادة الحمراء في مدينة البندقية عن فيلم Fight Club عام 1999، يعود ديفيد فينشر إلى إيطاليا بنسخة جديدة مقتبسة من رواية The Killer، وهي الرواية المصورة الفرنسية الشهيرة من تأليف اليكسيس نولينت.

وقع فينشر لأول مرة على إخراج الفيلم منذ ما يقرب من 15 عامًا، ولكنه يقدمه الآن بنسخة لكاتب السيناريو أندرو كيفين ووكر، ويلعب مايكل فاسبندر الدور الرئيسي مع تيلدا سوينتون التي تشارك في البطولة.

وعلى الرغم من عدم تأكيد ظهور أيا من صناع العمل في المهرجان بسبب "إضراب هوليوود" إلا إن قوة شهرة اسم فينشر والرواية المشهورة عالميًا يجب أن تكون كافية لجذب الكثير من الضجة حول العمل وجعل لجنة التحكيم تنظر إليه بعين جادة.

فيلم "القاتل" مدة عرضه 113 دقيقة وهو فيلم أكشن ومغامرة، تدور أحداثه حول قاتل مأجور يقوم بعدد من عمليات الاغتيال يدخل بالعديد من الصراعات مع عدد من المنظمات الدولية،

مايسترو

من الأفلام الأكثر إثارة للانتباه هو فيلم "مايسترو" وخاصة أن أفلام السير الذاتية عادة ما تحصد الكثير من الجوائز، وهنا يقدم النجم الأمريكي برادلي كوبر فيلماً من إخراجه وتأليفه وبطولته عن حياة الموسيقي ليونارد بيرنشتاين، والذي حظى بردود فعل عنيفة في الصحافة العالمية ووسائل التواصل الاجتماعي المصاحبة لاختيار كوبر، كممثل غير يهودي لأداء الدور، ولكن الكثير من النقاد أشاد بأداء كوبر.

الفيلم مدته 129 دقيقة والذي وضع برادلي كوبر كل شغفه خلاله ليجسد هوس بيرنشتاين بالموسيقى وكيف بلور قصة نجاحه وصعود نجمه في الولايات المتحدة، ويركز الفيلم أيضاً على علاقة بيرنشتاين بزوجته الممثلة فيليسيا مونتيليجري، التي تلعب دورها كاري موليجان.

بريسيلا

بعد العرض المذهل لفيلم Elvis للمخرج باز لورمان العام الماضي، فلا عجب أننا سنرى نظرة مختلفة من خلال عيون زوجته الأكثر شهرة، بريسيلا بريسلي، ومن المرجح أن المخرجة والمؤلفة صوفيا كوبولا، التي صاغت علامتها التجارية كبطلة للسينما الأنثوية، أن تمنح شخصية بريسيلا معاملة خاصة لإبراز دور الفتاة التي فازت بقلب أكثر عازب في أمريكا في فيلم موسيقي استعراضي مدته 110 دقيقة.

استنادًا إلى مذكرات بريسيلا بريسلي التي صدرت تحت عنوان "إلفيس وأنا" عام 1985، سيختلف فيلم بريسيلا بشكل كبير عن فيلم إلفيس الذي عرض العام الماضي، حيث شاركت بريسيلا بريسلي بنفسها بشكل وثيق في هذا الإنتاج، واختارت كوبولا كمخرجة لتنفيذ مذكراتها كفيلم، وتلعب كايلي سباييني دور بريسلي في الفيلم، ويلعب جاكوب إلوردي، دور ملك الروك أند رول إلفيس بريسلي.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

داميان شازيل .. رئيس لجنة التحكيم يساند إضراب هوليوود في مهرجان" فينيسيا السينمائي"

رئيس لجنة التحكيم الدولية في فينيسيا السينمائي الـ 80 داميان شازيل، 38 عامًا، 14 ترشيحًا لجوائز الأوسكار فاز منها ستة، بما في ذلك جائزة أفضل مخرج. يفعل ذلك بأناقة.

في المؤتمر الصحفي الافتتاحي للمهرجان، ارتدى قميصًا أسود مكتوبًا عليه عبارة نقابة الكتاب أو الإضراب باللونين الأحمر والأبيض، وهو شعار الإضراب. وقال: "أردت أن أجد طريقة لتسليط الضوء على هذا الصراع بينما نحن هنا نحتفل بالسينما. أعتقد أن الفكرة وراء هذا الاحتجاج هي أن كل عمل فني له قيمة في حد ذاته وليس مجرد محتوى فقط للعرض، وهي فكرة رائجة الآن في هوليوود. الفن، ومن يصنع الفن وكيف يكون الفن مستدامًا للأشخاص الذين يصنعونه، هي مفاهيم تآكلت إلى حد ما في السنوات الأخيرة، هناك العديد من القضايا المطروحة على الطاولة ولكن هذه القضية تمثل القلب. إن المعركة من أجل الحقوق المتبقية ومن أجل أن يحصل الناس على أجورهم بشكل عادل هي معركة مهمة. إنه وقت عصيب في هوليوود، ليس فقط بالنسبة للزملاء المضربين، ولكن لجميع العاملين الآخرين في الطاقم المتأثرين بالوضع".

وهكذا يحل أصغر رئيس لجنة تحكيم في المهرجان ويصبح وجه الإضراب. إنه قائد النصف الثاني من هذه الثورة السلمية ضد الاستوديوهات وعمالقة البث المباشر.

مهرجان عنابة للفيلم المتوسطي: اختيار 60 فيلما للمنافسة على "الغزالة الذهبية"

أعلنت محافظة مهرجان عنابة للفيلم المتوسطي في بيان لها أن اللجنة الفنية تشرف على اختيار حوالي 60 فيلما للمشاركة في مختلف أقسام المسابقات الرسمية للطبعة الرابعة للمهرجان المزمع تنظيمها من 3 إلى 9 نوفمبر المقبل بالمسرح الجهوي عز الدين مجوبي (عنابة) وذلك للتنافس على الجائزة الكبرى "الغزالة الذهبية.

وفي هذا الإطار أوضح البيان أن "اللجنة الفنية تشرف على اختيار حوالي 60 فيلما تم إصدارها بين 2022-2023، ستشارك في مختلف أقسام المسابقات الرسمية للمهرجان (فيلم روائي طويل وفيلم قصير ووثائقي)، تتنافس على جائزة الغزالة الذهبية وهو الأسم الجديد للجائزة الكبرى.

وأشار ذات البيان أنه "منذ فتح أبواب التسجيل يوم 15 جوان المنصرم وصل عدد الأفلام التي سجلت في الموقع أكثر من 2000 فيلم".

كما أفاد ذات المصدر أن المهرجان سيخصص دورة تدريبية كبيرة من خلال مختلف المحاضرات حول المهن السينمائية لصالح الهواة والمحترفين في الفن السابع وذلك بالشراكة مع المعهد العالي لمهن فنون العرض والسمعي البصري ببرج الكيفان والجمعيات الثقافية".

كما أكد ذات المصدر أن الفريق الجديد للمهرجان "يطمح لإعطاء مظهر جديد ورؤية جديدة يمكنها مواجهة تحديات السينما على نطاق عالمي لا سيما من خلال فتح نقاش مع السينمائيين والمنتجين الدوليين حول الانشغالات الحالية للسينما.

للتذكير، يشكل مهرجان عنابة للفيلم المتوسطي في طبعته الرابعة الذي ينظم بعد غياب دام 5 سنوات حدثا ثقافيا وفنيا مميزا في مجال الفن السابع، حيث تعرض أبرز الأفلام السينمائية الخاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط، كما يعد موعدا فنيا وتكوينيا لعشاق السينما.

سكورسيزي في مراكش بالمغرب

أكد المخرج الأمريكي مارتن سكو ر سيز ي موافقته على أن يكون عرابا للنسخة السادسة لـ"ورشات الأطلس"، التي تنعقد من 27 إلى 30 نوفمبر 2023، على هامش الدورة 20 للمهرجان الدولي للفيلم بمراكش من 24 نوفمبر إلى 2 ديسمبر 2023.

وسيكون سكورسيزي أول شخصية كبيرة تتم دعوتها لرعاية دورة الورشات ومنح اسمه لدفعة الخريجين، باعتباره من كبار المدافعين عن السينما، والداعمين منذ فترة طويلة للمهرجان الدولي للفيلم بمراكش، الذي حضر فعالياته 5 مرات، وسيعود إليه من جديد.

الموت يغيّب رائد السينما الإيرانية إبراهيم غولستان عن 100 عام

غيب الموت عن 100 عام في ساسكس بالمملكة المتحدة الكاتب والمخرج الإيراني إبراهيم غولستان، أحد رواد السينما والأدب الحديثين في إيران، وفق ما أفادت عائلته.

ولد غولستان في 19 أكتوبر 1922 في مدينة شيراز في جنوب إيران، وترك بصمة لا تمحى في المشهدين السينمائي والأدبي الإيرانيين خلال القرن العشرين.

ونشرت ابنته ليلي مساء الأربعاء 23 اوت 2023 صورة له عبر انستغرام، أرفقتها بعبارة "يا والدي، لقد غادرتنا؛ وداعاً!".

في عام 1957، أنشأ غولستان أول استوديو سينمائي في إيران، ثم أنتج بعد سبع سنوات أول فيلم روائي طويل له هو "طين ومرآة" ("خشت وآينه"). وكان هذا العمل الساخر الذي يصوّر المجتمع الإيراني، بمثابة انطلاقة للموجة السينمائية الإيرانية الحديثة.

من أبرز أعمال المخرج الراحل "أسرار كنز وادي جني" (1971)، كما أنتج "خانه سياه" (البيت الأسود/ 1962)، مع المخرجة والشاعرة الإيرانية المعروفة فروغ فروخ زاد (32 عاما)، التي توفيت في حادث مرور عام 1966، وراجت حينها شائعات عن وجود علاقة غرامية بينهما

وأخرج غولستان في عام 1974 فيلم "أسرار كنز وادي جني " ("اسرار گنج دره جنی") الذي يستند إلى رواية له تحمل الاسم نفسه. وفي الفيلم نظرة نقدية على قرار نظام الشاه إضفاء الطابع العصري على الأعمال التجارية في إيران.

وبالإضافة إلى إنجازاته السينمائية، ألف غولستان عددا كبيرا من الروايات والقصص القصيرة، متأثراً في غالبيتها بعمالقة الأدب الأمريكي من أمثال إرنست همنغواي ووليام فولكنر.

وبعد الثورة الإسلامية عام 1979، وضع حدا لمسيرته المهنية وانتقل إلى لندن حيث عاش حياة منعزلة.

وسنة 2022، ظهر غولستان في الفيلم الوثائقي "أ فاندرودي، روبانسون" ("A vendredi, Robinson")، مجريا حوارا مع المخرج الفرنسي السويسري جان لوك غودار.خرجين

كريم عبد العزيز " الفرعون الصغير"

تحدث النجم كريم عبد العزيز عن فيلمه "الفرعون الأخير"، الذي أعلنت الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية وشركة (ميديا هب - سعدي جوهر)، التحضير له مؤخرا، فهو الأول من نوعه فى مصر والشرق الأوسط، ويتناول حياة الفرعون توت غنخ آمون، وقصة اكتشاف الأسرار المذهلة لمقبرته، وذلك باستخدام أحدث الوسائل التكنولوجية فى التصوير والإخراج.

وقال كريم عبد العزيز خلال تصريحات إذاعية إن فيلم "الفرعون الأخير" مؤجل وهو عمل عن الفراعنة، بإنتاج ضخم جدا"

ويعرض لكريم عبد العزيز حاليًا في السينما فيلم "بيت الروبى" وحقق أعلى الإيرادات في السينما مسجلا 125 مليون جنيه حتى الآن، ويشارك في بطولة الفيلم كلا من كريم محمود عبد العزيز، نور اللبنانية، تارا عماد، مصطفى أبو سريع، وعدد كبير من الفنانين، إخراج بيتر ميمى .

وفى سياق آخر يصور حالياً كريم عبد العزيز مسلسله الجديد "الحشاشين" المقرر عرضه في رمضان المقبل، من إنتاج سينرجى، ويشارك في بطولته كلا من فتحى عبد الوهاب، أحمد عيد، إسلام جمال، ميرنا نور الدين، وعدد كبير من الفنانين، إخراج بيتر ميمى ، وتاليف عبد الرحيم كمال .

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

إلهام شاهين رئيسة شرفية للدورة 39 لمهرجان الإسكندرية

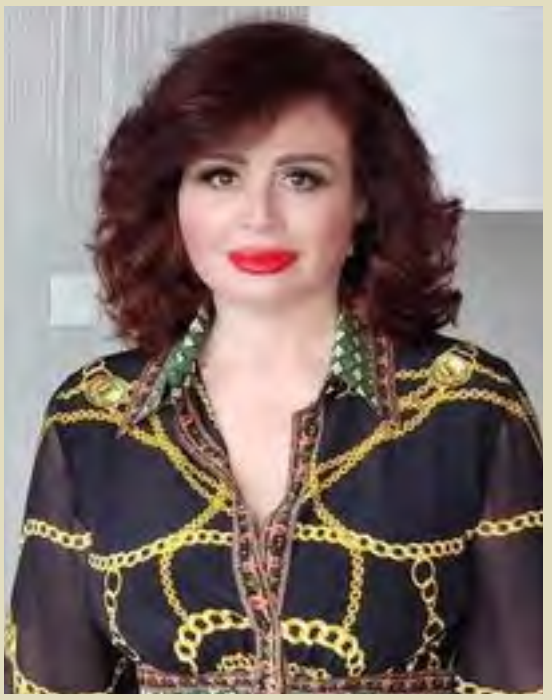

أعلنت إدارة مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط برئاسة الناقد السينمائي الأمير أباظة عن إختيارها للنجمة إلهام شاهين كرئيس شرفي للدورة ال 39 لمهرجان الإسكندرية، والمقرر إقامتها خلال الفترة من 3 الي 8 أكتوبر المقبل.

ومن جانبه صرح الأمير أباظة ان هذا الاختيار جاء تقديراً للمشوار الفني الكبير للنجمة إلهام شاهين فقد حصلت على درجة البكالوريوس من قسم التمثيل في المعهد العالي للفنون المسرحية عام 1982، وبدأت حياتها الفنية عندما قدمها المخرج كمال ياسين في مسرحية حورية من المريخ في نهاية السبعينيات،

وقدمت العديد من المسلسلات منها: (أخو البنات، قال البحر، حتى لا يختنق الحب، ليالي الحلمية، نصف ربيع الآخر، البراري والحامول، الحاوي، سامحوني ما كانش قصدي، مسألة مبدأ، قصة الأمس) وغيرها الكثير من أعمال الدراما الناجحة، كما قدمت العديد من الأفلام السينمائية الناجحة فترة الثمانينيات والتسعينيات .. ولها أكثر من تجربة ناجحة مع النجم عادل إمام في أفلام (أمهات في المنفى، رمضان فوق البركات، الهلفوت)، وكذلك مع النجم محمود عبد العزيز مثل (الجنتل، سوق المتعة) .. حصلت إلهام شاهين على العديد من الجوائز عن أدوارها في أفلام (يا دنيا يا غرامي، الجنتل)، لها تجارب في الإنتاج مؤخراً مثل (أيام في الحب، يوم للستات، هز وسط البلد).

يذكر أن مهرجان الإسكندرية تنظمه الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما التي يرأس مجلس إدارتها الناقد الكبير الأمير أباظة ويشارك به الأفلام الطويلة والقصيرة من دول البحر المتوسط في أفريقيا وأسيا وأوروبا .

"المخرجات الإفريقيات الرائدات" شعار الدورة الثالثة لـ "فاس الدولي للفيلم"

أعلن مهرجان فاس الدولي للفيلم عن تنظيم دورته الثالثة تحت شعار "المخرجات الإفريقيات الرائدات" اللاتي يحتفي بهن خلال الدورة المزمع عقدها في المغرب من 21 وحتي 26 فيفري 2024.

وأكد الإعلامي محمد بلغريب رئيس المهرجان بأن هذه التظاهرة السينمائية تعد فرصة مواتية للمخرجين والمنتجين من جميع انحاء العالم لإكتشاف مدينة فاس التي تزخر بالمعالم التاريخية والثقافية والسياحية لتصوير أفلامهم بها وتشجيع شركات الإنتاج العالمية للإنفتاح على السينما المغربية.

مشيراً إلي أن المهرجان يقام بالتعاون بين المركز السينمائي المغربي ومجلس فاس مكناس.

فيما أكدت إدارة المهرجان أن فاس الدولي للفيلم يعد متنفساً فنياً وثقافياً لأهل مدينة فاس، وأنه يعلي من قيم الإنفتاح والحداثة ويمنح أولوية إشراك الشباب في فعالياته.

وتشهد الدورة الثالثة مشاركة 12 فيلماً روائياً طويلاً كما يقيم مسابقة أخري تختص بالأفلام الروائية القصيرة، ويمنح المهرجان جائزة كبرى مالية إلي جانب جائزة باسم الراحل نور الدين الصايل وجوائز لجنة التحكيم، السيناريو، التمثيل (رجال ونساء)

وكانت الدورة الثانية للمهرجان قد شهدت تكريم الفنانة المصرية إلهام شاهين، والمغربية آمال عيوش والممثل المغربي محمد الشوبي والتونسي رؤوف بن عمر.

يوم الجمعة القادم ينطلق مهرجان السينما الأمريكية في دوفيل

يُفتَتح مهرجان السينما الأميركية في دوفيل بغرب فرنسا الجمعة القادمة رغم استمرار الإضراب التاريخي الذي يتسبب بشلل في هوليوود ويحول دون مشاركة النجوم في المهرجان وفي مقدّمهم ناتالي بورتمان.

وتستمر الدورة التاسعة والأربعون إلى 10 سبتمبر المقبل، ويُعرض خلالها 80 فيلماً، ويترأس الممثل والمخرج الفرنسي غيّوم كانيه لجنة التحكيم فيها.

وستكون هذه الدورة مختلفة عن سابقاتها إذ سيكون تأثرها كبيراً بالإضراب الذي يشهده القطاع السينمائي في الولايات المتحدة، وفق ما أوردته وكالة الصحافة الفرنسية.

وانضمّ الممثلون في هوليوود قبل شهرين إلى كتّاب السيناريو في هذا الحراك المطلبي الهادف إلى تحسين الأجور وتنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي بحيث لا ينعكس سلباً على العاملين في القطاع.

وتمنع نقابة الممثلين التي تتمتع بنفوذ كبير جميع أعضائها، حتى الأكثر شهرة، من المشاركة في تصوير أي عمل خلال الإضراب، وكذلك من المشاركة في الترويج لأي فيلم.

وستُحرم المدينة الساحلية الفرنسية الواقعة في منطقة نورماندي تالياً من مشاركة عدد من النجوم، أبرزهم ناتالي بورتمان وجود لو وجوزف غوردون ليفيت وبيتر دنكلايج.

باسم السمرة تاجر سلاح

يواصل باسم سمرة في الفترة الحالية تصوير مشاهده في فيلم "علام عام"، وأنه سيظهر بشخصية بدوي وزعيم عصابة يتاجر في الأسحلة والمخدرات خلال الأحداث.

وفيلم "علام عام" يشارك في بطولته عدد كبير من النجوم، أبرزهم محمد إمام، أسماء جلال، بيومي فؤاد، ويزو، باسم سمرة، مصطفى غريب، محمود السيسي، والعمل من تأليف وإخراج شريف عرفة، وإنتاج هشام عبدالخالق وآلاء لاشين.

ويجسد محمد إمام خلال الأحداث شخصية مدرس تاريخ، بينما تظهر أسماء جلال بشخصية فتاة بدوية تجمعها العديد من المواقف بـ إمام.

ومن ناحية أخرى، يعرض حاليًا لـ باسم سمرة، مسلسل سفاح الجيزة، على منصة شاهد، وحقق العمل رواجًا كبيرًا بالرغم من طرح حلقتين فقط حتى الآن، ويجسد باسم خلاله شخصية ضابط.

ومسلسل سفاح الجيزة عبارة عن 8 حلقات فقط، ويشارك في بطولته كل من أحمد فهمي، باسم سمرة، صلاح عبدالله، ركين سعد، ميمي جمال، حنان يوسف، ومن تأليف محمد صلاح العزب وعماد مطر وإنجي أبو السعود وإخراج هادي الباجوري.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

"سلاحف النينجا" يصلون الى قاعاتنا السينمائية

انطلقت قاعات السينما التونسية في عرض الفيلم العالمي الحدث Tortues Ninja في جزئه الجديد الذي تلاقي عروضه العالمية اقبالا جماهريا كبيرا.

بعد سنوات من الحماية من العالم البشري ، شرع الأخوان ترتل في كسب قلوب سكان نيويورك والقبول كمراهقين عاديين من خلال الأعمال البطولية.

يساعدهم صديقهم الجديد April O'Neil في مواجهة عصابة إجرامية غامضة ، لكنهم سرعان ما يتغلبون على رؤوسهم عندما يتم إطلاق جيش من المسوخ عليهم.

عاد صناع الجزء السابع إلى القصة الأصلية لسلاحف النينجا، وكيف كانوا مجرد 4 سلاحف تعيش في أنابيب الصرف الصحي، وتلتقي مصادفة بفأر لا يختلف عنها في ضآلته ونفور البشر منه.

تسقط السلاحف والفأر في مادة هلامية، يتضح فيما بعد أنها مشعة، فيتحولون مع الأيام إلى عمالقة، وتبدأ قصتهم من رغبتهم في الخروج إلى عالم البشر، لكنهم يفاجؤون بالنفور والخوف، ويبدؤون في البحث عن سبل لاكتساب القبول.

"سلاحف النينجا" ليست السلسلة الأولى من الأفلام الأميركية التي تعود للبحث عن أصول أو نشأة أبطالها فيما يبدو تخوفا من الاشتباك مع لحظة غامضة أو غير ملهمة، فقد قام المخرج جيفروي ومعه المؤلف سيث روغان بالتركيز على فترة مراهقة السلاحف، والتي يواجهون فيها مشاعرهم بالرغبة في الالتحاق بمدرسة ومصادقة فتيات والقبول الاجتماعي.

احتفظت السلاحف بملامح شخصياتها المميزة لكل منها، وجاء صوت نجم الحركة ذي الأصول الآسيوية جاكي شان في دور المعلم الفأر ليؤكد على فكرة أساسية في العمل وهي أن الولايات المتحدة الأميركية تشبه في أبسط صورها "نخبة منتخب العالم" التي قررت الاستقرار في العالم الجديد، لتنتصر على أعداء الإنسانية من أمثال "السوبر فلاي"، وهي ذبابة عملاقة متحولة ترغب في قتل البشر وحكم العالم بالمتحولين.

ويرى الناقد السينمائي أسامة صفار أن

الجزء السابع من سلسلة "سلاحف النينجا" الذي يعرض حاليا في الولايات المتحدة، ويحتل ترتيبا جيدا في شباك التذاكر، لكنه يثير العديد من علامات الاستفهام حول التصورات الكامنة وراء السلسلة نفسها، والذي سبقته 6 أفلام تدور أحداثها في فترات زمنية منفصلة تم إصدارها عبر 4 عقود، ومجموعة من القصص المصورة ومسلسلات رسوم متحركة تلفزيونية وألعاب فيديو، كانت جميعها حريصة على إضفاء طابعها الخاص على "سلاحف النينجا"، التي أبدعها كيفن إيستمان وبيتر ليرد في عام 1984.

ولا تقتصر أهمية سلسلة أفلام "سلاحف النينجا" على ذلك النجاح الذي حققته عبر ما يقرب من 4 عقود، تخللتها فترات فتور في العلاقة مع محبيها، ولكن تلك الأهمية تمتد لما يمكن أن نطلق عليه تأريخا اجتماعيا ورصدا للحظات صعود وهبوط نسبي في تاريخ الإمبراطورية الأميركية، وانعكاسه على الخيال السينمائي.

ولعل ذلك التصور حول توثيق لحظات التضخم في الشعور بالذات الحضارية، خاصة في تسعينيات القرن الماضي، يصطدم بلحظة غروب أميركي حاليا على مستويات، ليس أولها الشلل الحادث في صناعة السينما الأميركية نتيجة إضراب هوليود منذ أكثر من مئة يوم، ولا تراجع التصنيف الائتماني لعدد من البنوك، وإنما تلك الشيخوخة التي أصابت السياسة الأميركية في أعلى مستوياتها، ليتنافس على رئاستها شخصان تجاوز أصغرهما الـ75 عاما، في حين تطمح دول أصغر نسبيا لإنشاء تشكيلات اقتصادية تتحدى الهيمنة الاقتصادية للدولار.

وهنا يأتي السؤال حول الجزء السابع من سلسلة بدأت معبرة بامتياز عن شعور أميركي بوراثة الحكمة والقوة وإنتاج ما يمكن تسميته "مجتمع السوبر" نتيجة طفرة حضارية، وما الذي يمكن أن يقدمه في لحظة التراجع؟

هل يعرف فيلم "خمس جولات" نفس الفشل التجاري الذي عرفه في مصر؟

تعرض القاعات السينمائية في تونس الفيلم المصري "خمس نجوم " في نفس فترة عرضه في دور السينما المصرية فهل يلقى النجاح الجماهيري في قاعاتنا ويتجاوز ازمة الفشل التجاري التي يعيشها منذ عروضه الاولى في دور السينما في مصر!؟.

يعتبر فيلم خمس جولات FIVE ROUNDS هو أول فيلم في مصر والشرق الأوسط يناقش رياضة MMA، والراب، حيث تدور أحداث الفيلم حول رحلة تحديات شاب في ملحمة بطولية مليئة بالتحديات الدرامية المشوقة، كما يحكي أيضًا عن مغنيي الراب وتفاصيل "الراب باتلز" والصعوبات التي تواجه هؤلاء الشباب.

ويضم فيلم "5 جولات" عددا من النجوم الشباب أبرزهم أدم الشرقاوي، نور النبوي، ماجد المصري، داليا شوقي، مصطفى درويش، ومطرب الراب آر سينك وآخرين، سيناريو وحوار محمد عبدالمعطي، وإخراج مازن أشرف.

ويتناول الفيلم لأول مرة رياضة الـ MMA، ويجسد آدم الشرقاوي، شخصية تدعى فارس، والذي يحلم باحتراف هذه الرياضة والمشاركة في بطولات عالمية، وتجمعه صداقة بنور النبوي، بينما يظهر ماجد المصري بشخصية والده.

أما داليا شوقي، فتجسد شخصية فوتوغرافر واسمها شهد، كما يناقش العديد من القضايا بجانب الـ MMA منها مشاكل الشباب، وبعض المشاكل الأسرية بين الأباء والأبناء.

وتشارك أيضًا عايدة الأيوبي كممثلة خلال أحداث الفيلم، وذلك بعد مرور 29 عام على أولى تجاربها في التمثيل من خلال فيلم حرب الفراولة، الذي عرض عام 1994.

كما يعد الفيلم من آخر أعمال الراحل مصطفى درويش قبل وفاته، ويجسد خلال الأحداث شخصية كابتن مراهنات في رياضة الـ MMA يدعى زنجر.

ويرى المتابعون ان فشل الفيلم في استقطاب الجمهور الغفير لانه

يقدم تجربة سينمائية محورها الرئيسي الرياضة التي يمارسها البطل، لكن في نفس الوقت لا تمتلك تلك اللعبة شعبية كافية في مصر إلا بين فئات محددة من الشباب والأطفال، وهو ما ساهم في عدم إنجذاب الجمهور لخوض مغامرة بقطع تذكرة ومشاهدة العمل، في وجود أفلام أخرى أكثر جذباً للعائلة والشباب، رغم أن 5 جولات يحمل كذلك ميلودراما جاذبة لفكرة تحدى الأوضاع العائلية والمالية والظروف على طريقة فيلم Rocky وCinderella Man، وفيلم Creed، و The Fighter.

كما أن الأفلام الرياضة بشكل عام في مصر، لم تجد مكانة مهمة لدى جمهور السينما إلا في حال اعتمادها بشكل رئيسي على الكوميديا، كما في كابتن مصر لـ محمد إمام، و424، لـ يونس شلبي وسمير غانم، أو غريب في بيتي، لـ نور الشريف، أو رجل فقد عقله، لـ عادل إمام وفريد شوقي، فكل تلك الأفلام حققت نجاحاً جماهيرياً، بسبب انتمائها لفئة الكوميديا.

الفنانة التونسية سناء هيشري:
مستقبل التشكيل العربي مرهون بما يقدّم الفنانون من إبداع حديث ومواكب لروح العصر

حجاج سلامة (ناقد فني مصر)

سناء هيشري، فنانة تشكيلية ومدرسة فنون جميلة، تونسية الجذور، تحمل الجنسية البلجيكية، وهي خريجة المعهد الملكي للفنون الجميلة بالعاصمة بروكسيل، وقد شاركت عبر مسيرتها الفنية الممتدة لعقدين من الزمان، بالعديد من الملتقيات والمعارض التشكيلية بأوروبا والعالم العربي.

هنا نتعرف من خلال تلك المقابلة السريعة، على عوالمها الفنية ومسيرتها مع الفنون التشكيلية، ورؤيتها لحاضر ومستقبل الحركة التشكيلية العربية.

فنون تنبض بروح الماضي

في البداية قالت الفنانة التشكيلية التونسية سناء هيشري: إن الفنون التشكيلية العربية اليوم تنبض بروح الماضي، ورأت بأنه "إذا كان التاريخ مرجعا للفنان فلا بُدّ أن يُطوّره، ويحيي فيه روح الحداثة"، وأن يوظف الماضي لإيجاد مستقبل فني أفضل.

وأضافت هيشري إن التساؤل حول ما يحمله المستقبل للفنون والثقافة العربية "يجعلنا نفكّر بالحاضر، ونتكهّن للمستقبل الذي بأيدينا رسمه وتخطيطه". وتابعت في إجابتها لسؤال حول رؤيتها لمستقبل الحركة التشكيلية ببلدان العالم العربي: إن المستقبل بحسب رؤيتها مرهون بما يقدّمه الفنان العربي من إبداع حديث، ومواكبته للعصر.

غياب المعارض

وحول رؤيتها لما تواجهه الحركة التشكيلية العربية من معوقات، قالت بأن هناك مشاكل عديدة موجودة على أرض الواقع، وقد تكون عائقا أمام تطور المشهد التشكيلي في الكثير من بلدان العالم العربي، مثل غياب المعارض والفعاليات الدورية، وعدم حصول الفنانين على حقوقهم، وغياب الدعم اللازم لهم للقيام بدورهم في إبداع وابتكار كل جديد في عالم الفنون التشكيلية.

وأكدت سناء هيشري، على أن العالم العربي غني بالفنانين الذين وصلوا للعالمية بأعمالهم، وبثقافتهم وإبداعهم، وبقدرتهم على تطويع خاماتهم وتطوير خبراتهم من أجل إيجاد حالة فنية متفردة وثرية تواكب ما يدور في الساحة التشكيلية العالمية.

وحول سؤال عن مدى معاناة الفنان التشكيلي العربي، ومدى قدرته على أن يعيش من نتاج ممارسته للفن، قالت: إنه من المستحيل أن يُعاني أي فنان تشكيلي سواء كان عربيا أو أجنبيا، لو كانت له قُدرات فنّيّة عالية وإبداع مُميّز.

المزج بين الفنون

وحول مفردات وموضوعات لوحاتها التشكيلية، قالت: إن مشاريعها الفنية تدور حول المرأة، والخيل والفروسية، والخط العربي، وأنها قامت بمخاطرة كان فيها الكثير من الجُرأة الفنية، حين مزجت بين فنّ التشكيل، وفنّ النّحت، وفنّ الخط العربي، الذي أعطى بحسب قولها: "المزيد من الثراء والجمال للوحاتها الفنية".

وتابعت أنها ابتعدت عن القواعد والأصول التي وُضعتْ للخط العربي، لتكتب وتنقش كلمات وآيات قرآنيّة ثلاثية الأبعاد، وتطوّر من استخدامات الخط العربي في اللوحات التشكيلية.

وأوضحت سناء هيشري، أنها رسمت في لوحاتها نضال حواء وقوّتها، وأن الأنوثة بالنسبة لها ليست بمعني الجمال والدلال فقط، وإنما هي الذكاء والمهارة، وهي طاقة إيجابيّة، وذبذبات، وروح الحياة ونبضها.

وحول المدارس الفنية التي تنتمي لها، قالت: إن حُبّها للحرية، وتمردها على القيود الفنية المفروضة على الفنان، جعلتها لا تهتم بالمداس الفنية، وأن يكون لها مدرستها التشكيلية الخاصة بها، واستخدام تقنيات وخامات تبقي واضحة بقوة في لوحاتها.

السّير في الاتجاه المُعاكس

وأكدت على أنها ليست مُجبرة على السّير في نفس طريق الفنّانين، بل أنها على العكس من ذلك، وأنها تُحب السّير في الاتجاه المُعاكس في طريق التّغيير والتّطوّر الفنّي، والابتعاد الكلّي عن الطّرق الكلاسيكيّة واستقلاليتها في تحديد مسرح من التقنيات والخامات تتلاعب على لوحة الكانفاس، بطولتها ألوانها، وسلاحها السّكّين، والفرشاة، والاتحاد بينهما أمر رائع.

واعتبرت هيشري أنها نجحت في أن يكون لها نهج فني خاص، كان بالنسبة لها "بمثابة ثورة على واقع الفنّ، وكسر للقُيود، وللقوانين، وللأساليب المُتعارف عليها في الرّسم، والتي تمّ وضعها في الميدان الفني التشكيلي من مدارس متعددة".

وحول الرسالة الفنية التي تحملها لوحاتها، وعوالمها الفنية الخاصة، وطقوس ممارستها للرسم، قالت بأنها في لوحاتها مولعةٌ بلعبة الغموض والتّعمية.

وقالت: "أسْتدرج النّاس لأُغازلهم وأجْذِبَهم بخيالي الفنّي وأُثير أسألتهم عن تقنياتي ورسالتي، وهذا هو منهجي الفنّي التشكيلي".

وأضافت بأنها حين تقرر رسم لوحة، عادة ما يكون ذلك في ساعات الفجر مُباشرة، حيث تدخل في حالة نفسيّة لا توصف، تنسى خلالها العالم بأسره، وينفجر الإبداع ليُعطي فنّا فريدا ومُميّزا، وأنه بعد الانتهاء من الرسم تكون ولادة جديدة لعمل فني جديد.

الفنان التشكيلي السلوفاكي ألكسندر جازيكوف يتحدث عن مشاركته في تونس وعن دور الفن في السلام بين الشعوب والبلدان :

أصبح لي اعتقاد أن الفن يساهم في مد العلاقات بين المبدعين والشعوب بروسيا وسلوفاكيا وافريقيا وآسيا

شمس الدين العوني

من عوالم الفن الرحبة اكتسب حميمية النظر والتلوين فراح مسافرا يحمل حلمه وبعض طفولة يانعة حيث الرسم والفن التشكيلي عموما من عناوين الترحال لديه وفق ما يعتمل في دواخله وما وسعته شواسع قلبه... بثقافة جمالية وفنية انسانية وكونية وبرسالة الفن العارمة كان تطور الابداع لديه وهو القادم من سيبيريا الروسية ليستقر في سلوفاكيا مكان ابداعه وشغله الفني كطفل حالم في سماء البراءة يقتفي أثر الفراشة...تلك الفراشة المزركشة بأبهى الألوان.

ألكسندر جازيكوف حامل فكرة الرسم والألوان هذا المتجول في الخرائط حيث تعددت مشاركاته في عديد البلدان من الصين....و الى تونس بالمحرس وما بين ذلك من بلاد متعددة ومدن فيها الفن والفنانون ضمن بيانال وسمبوريوم ومعرض و... ورشات وتفاصيل أخرى معنية بما في رغبات الطفل الفنان الكسندر .

قبل أسبوعين كانت زيارته المميزة والحافلة بالتعارف والرسم والمشاريع بالمهرجان الدولي للفنون التشكيلية بالمحرس الدورة (35) بتنسيق مع الفنانة التشكيلية سهيلة عروس وذلك الى جانب مشاريع قادمة ضمن التعاون الفني الابداعي والثقافي بين فنانين من سلوفاكيا وتونس ...

وعن مشاركاته العالمية ومنها بتونس يقول «... بالنسبة الى مشاركاتي في العالم متنوعة حيث أنه في عام 2019، أقيم البينالي العالمي الثامن للفن المعاصر في بكين في المتحف الوطني للفنون في الصين. (8 BIAB. بينالي بكين الدولي الثامن للفنون، الصين 2019.) وقد تم ترشيح فنانين من 117 دولة من جميع أنحاء العالم في هذا المنتدى الفني الفريد. أنا سعيد جدًا باختيار لوحتي لهذا المعرض الكبير ولأنني أستطيع تمثيل سلوفاكيا. انطباعات لا تُنسى من المعرض، لقاء فنانين رائعين وأعمالهم، وكذلك فرصة رؤية الصين !!!! ذكريات رائعة!!!!!...و البوم في مهرجان المحرس الدولي للفنون التشكيلية ضمن الدورة (35) لمست حيزا مهما من شواعل الفن وجماليات عناصره لأتعرف على فنانين من تونس ومن بلدان عربية أخرى على غرار المغرب والجزائر وليبيا وهذا مهم الى جانب اللقاء بالناس الطيبين وسعدت بالاطلاع على تجارب مهمة في الفن وجمال وسحر المحرس وتونس بصفة عامة...».

الكسندر تم تكريمه بالمحرس وفي هذا الاطار كان هذا الحوار معه :

ماذا عن البدايات مع الفن

في البداية لم أكن أنوي أن أصبح فنانا ولكن فيما بعد أحببت علم الحفريات والفن والرسم وبدأت أشعر بالرغبة والهيام تجاه الفن ..دخلت أكاديمية الفنون لأتخرج بمرتبة الشرف ثم صرت أعمل كفنان مستقل فالفن صار يملأ حياتي وتعددت مشاركاتي الفنية في بلدان العالم .

ومشاركتك هذه بمهرجان المحرس الدولي للفنون التشكيلية

لقد كانت جيدة وثرية وسبقها تعرفي غلى فنانة تونسية هي سهيلة عروس التي ساهمت في ربط جسور التواصل مع الساحة الفنية التونسية وبالخصوص مهرجان المحرس وفي سنة 2019 كانت لي مناسبة عرض اعمالي عن طريقها وتعرفت على تونس البلد الجميل بأهله وفنانيه ومدارس الفن واتجاهات الفنانين الجمالية وأعمالهم وأسعدني كل ذلك كفنان باحث ومتعاون وحالم.

الوالدان ينحدران من سيبيريا ومنذ 30 عاما أعيش في سلوفاكيا وأنا عضو باتحاد ابداع سلوفاكيا وعضو في اليونسكو ومع كل هذا وبعده صار لي اعتقاد أن الفن يساهم في مد العلاقات بين المبدعين والشعوب بروسيا وسلوفاكيا وافريقيا وآسيا وغيرها من جغرافيا العالم ..الفن هو السلام والحب والانسجام والعالم اليوم في حاجة الى كل هذا بعيدا عن الحروب والصراعات والتفرقة... الفن يوحد ويجمع.

و ماذا عن عملك الفني وتقنياته

أعمل بتقنية الزيتي والأكريليك وهذا يبدو في أعمالي حيث أحرص على التوغل في التجربة وابتكار أسلوب جديد ..الرسم عندي بمثابة مشروع يتوافق مع ما أفكر فيه ففي أعمالي جوانب كبيرة من الروحانيات والمشاهد والورتريهات.

وكان ضمن هذا عملي المشارك في بيانال الصين بمناسبة دورة الالعاب الشتوية بمشاركة واسعة لفنانين من العالم وبعنوان « الصين في عيون فنانين من العالم « سنة 2022 وهي مناسبة للرياضيين للاطلاع على أعمال فنية لفنانين من العالم وما تضمه من جماليات وابداعات عالمية. كما تم اختياري كفنان وحيد من سلوفاكيا للمشاركة في بنغلاديش ضمن المهرجان الفني .

و أخيرا ما ذا تقول أيها الفنان

أود أن أشكر تونس وشعبها على الضيافة والمشاركة ..لمست عمقا ثقافيا لتونس وحبا للفنون ووعيا بما للابداع من دور في تقريب الثقافات والأفكار والشعوب ..المحرس بها مهرجان مهم وأشكر بالمناسبة القائمين عليه وقد استمتعنا بمختلف الفقرات من المعارض والشعر والفكر والنقد والورشات والهامش المهم الذي به أصوات الناس وحياتهم وأحلامهم..شكرا لتونس الفن والابداع والمحبة.

جهات

ماطر

تحتضن دار الثقافة بماطر يومي 5 و6 سبتمبر الجاري فعاليات الدورة الثالثة للصالون الجهوي لنوادي الفنون التشكيلية بدور الثقافة الذي يخصص لتكريم ابن الجهة الفنان الراحل نور الدين الصحراوي

ويفتتح هذا الصالون بمجموعة من ورشات الفنون وهي ورشة الرسم على كل المحامل باشراف المنشطة شيراز العياري وورشة الرسكلة الفنية بااشراف المنشط فتحي السعيداني وورشة الخط العربي باشراف المنشط سامي الغانمي وورشة في الفن التشكيلي باشراف الأستاذ بسام المبروكي لتحتضن إثر ذلك ساحة الفنون بمدينة ماطر عرضا جماهيريا بعنوان" ألوان الماجورات"ومن خلال فقرة تنشيطية لماجورات الأمير بماطر ثم يقدّم عرض أجساد و لوحات فنية لمجموعة تياتري لوائل الكراي

وخلال الفترة المسائية من اليوم الاول وبدار الثقافة ماطر يتم تدشين رواق "نورالدين الصحراوي " للفنون التشكيلية ثم افتتاح معرض مسابقات الدورة الثالثة للصالون الجهوي للفنون التشكيلية بدور الثقافة

وصباح يوم 6 سبتمبر الجاري تتواصل بدار الثقافة ماطر أنشطة ورشات الفنون ثم ينتظم منابر" حوارات الصالون" حيث يكون الحوار الأول تحت عنوان" ماطر ... وطن

الفن "ومن خلال تقديم شهادات عن تجربة الفنان الراحل نورالدين الصحراوي وتكريم لعائلته و يدير الحوار الفنان حافظ البكوري ويكون الحوار الثاني بعنوان" في صميم العمل التنشيطي: نوادينا الفنية ...كيف نطور انشطتها و نحافظ على ابداعاتها ونثمنها" ليحتضن رواق نورالدين الصحراوي للفنون التشكيلية حفل اختتام هذه التظاهرة ومن خلال تقديم نتائج هذه الورشات

منصف كريمي

بيت الرواية بتونس العاصمة

يُطلِق بيت الرواية مع بداية الموسم الثقافي الجديد صالون "فلوبير" للرواية التونسية المكتوبة بالفرنسية. وهو صالون شهريّ يعنى بتقديم روايات أو تجارب كاملة لروائيّين تونسيّين مقيمين في تونس أو في المهجر، وذلك تثمينا لما قدّمته الرواية النّاطقة بالفرنسية للرواية التونسية لاسيّما وأنّ العديد من كتّابِها قد حقّقوا نجاحات وإنجازات هامّة تونسيّا وعالميّا.

وينفتح الصالون أيضا على التجارب الروائية الفرنسية العالمية في علاقة بالنقاد والباحثين والمتخصّصين التونسيّين الذين اشتغلوا عليها لتقديمها والتعريف بها لقرّاء الرّواية في تونس.

ويتمّ الإعلان عن موعد كلّ لقاء شهري من صالون "فلوبير" مُسبقا على صفحة بيت الرواية.

تينجة

عاشت مدينة تينجة عامة وعشاق الفن والسهر خاصة على إيقاع فعاليات الدورة الأولى لمهرجان الأيام الثقافية الصيفية ، التي امتد من 29 أوت إلى 2 سبتمبر ، بساحة المحطة بتينجة.

وتابع عشاق الفن الطربي في سهرة الإفتتاح حفل الدبكة السورية لفرقة الفنان خالد الدريدي بمنزل بورقيبة .

و في يوم الغد كان الموعد مع عرض مسرحي L.A.C.H sur scène ، لأحمد الحنشي وهي من نوع "الوان مان شو" .

وتجدد موعد الجمهور مع الغناء والطرب في سهرة يوم الخميس 31 أوت مع حفل غنائي للمطربة علياء بلعيد . ثم يوم الجمعة غرة سبتمبر مع حفل "الراب" الشبح الأسود "Black Gohst " .

وكان الاختتام يوم السبت 2 سبتمبر مع عرض شريط سينمائي للأطفال بعنوان "Monster Family" .

وتجدر الإشارة إلى أن جميع العروض مجانية .

جومين

عاشت معتمدية جومين من ولاية بنزرت بدءا من يوم الجمعة وحتى يوم الاثنين 4 سبتمبر على إيقاع فعاليات الدورة السابعة لمهرجان سيدي البشير الذي تنظمه الجمعية الثقافية والاجتماعية بسيدي البشير بدعم من المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية ببنزرت.

وكان الافتتاح بخرجة العادة والعوايد ، تلاها مهرجان الفروسية ثم عرض للفنون الشعبية .

وتضمن برنامج اليوم الثاني عرضا تنشيطيا للأطفال ابتداء من الساعة العاشرة صباحا ، وفي الحصة المسائية كان الموعد مع مداخلة فكرية قدمها رجل الإعلام والثقافة رشيد البكاي بعنوان "الاقتصاد العائلي التضامني" ، تلتها سهرة الفن الشعبي المحلي انطلاقاً من الساعة السابعة مساءً.

واشتملت الفقرة الصباحية ليوم الأحد 3 سبتمبر على خرجة الوادي والجبل في الساعة التاسعة ، بينما كان عشاق الفن الصوفي على موعد مع عرض المجموعة الهمزية لجامع الزيتونة المعمور بدءا من الساعة الرابعة والنصف مساء.

وكان الاختتام يوم الاثنين 4 سبتمبر بعرض فني بعنوان "لخوة" لعبد الوهاب الحناشي وشكري عمر الحناشي وأسدل على إثره الستار على هذه الدورة.

القطار

انتظم بمدينة القطار سمبوزيوم دار الفنون للفن التشكيلي والحِرف يوميْ 01 و 02سبتمبر الحالي واشتمل البرنامج على:

••ورشة الرسم المباشر تحت إشراف : الفنان علي الزنايدي، والفنانة نضال قدري.

•• ورشة الجداريات تأطير الفنان بلال بعيبع

••ورشة الخط العربي والحروفيات تأطير الفنان سمير بعداش والفنان بن عمّار خيثر

••ورشة التشكيل بالنسيج تأطير الفنانة نوال زويدي والفنان سفيان نصر تحت اشراف الفنان لخضر بالطيب

••ورشة الرسم على محامل مختلفة تأطير الفنانة وهيبة بضياف تحت اشراف الفنان سمير البياتي

•• ورشة الرسم المائي بتقنيات مختلفة تأطير الفنانة خولة زكي تحت إشراف الفنان منذر تروني و الفنان سمير عصمان

•• ورشة التطريز على القرقاف تأطير الحِرفية شيراز عيادي أمسية فنية تونسية جزائرية

••جلسة أدبية؛ شِعر ومداخلات بإدارة الأديب عبد الوهاب الملوح

فضاء الإبداع

قصة

بائعة علب السّعادة

بسمة الشوالي

لم تحكم غلق الباب. تركته مواربا لفضوليّ تستدرجه رائحة غيابها أو لصّ ربّما.. قرّرت أنّ كلّ ما في الشقّة صدقة، والدّخولَ إليها متاح كدعوة عامّة لأمسية شاي، فمن شاء أن يأخذ شيئا فليفعل، مرفوعة عنه تهمة الاقتحام أو السّطو. سمعت صوتا هاتفا ينادى من الغيب لكن في العصر، لا في السّحر، عند منحدر السّاعة باتجاه الغرب، إلى حيث غادر الهادي الدّار بلا رجعة.

هي لن تذهب بعيدا، فقط مسافة ما يفصلها عنه. في غيابها، لم تشأ أن تسبّب للجيران حرجا من عفونة وطنين، ولطخة سوداء في سيرة ابنها البيضاء «يدعو النّاس إلى برّ الوالدين ويهمل أمّه العجوز تموت وحيدة في الشقّة..» يتحمّل اضطراب الذّاكرة عنه وزر ما قد يؤول إليه مصيرها.

صعدت إلى الطابق العلويّ. تعدّ البناية عشر طوابق وأزيد بمصعد عجوز. شهقة شهقة يصّاعد المصعد لاهثا متقطّع الحشرجات، مثلها. «عجوزان نحن، وآن للعمر أن ينام.» تربّت على بابه حين تغادره كأنّما تشكره أن أوصلها سالمة إلى الأعلى. وتُسِرّ في نفسها: « ما حاجة الرّوح إلى مصعد كهربائيّ خرِف؟».

على السّطح، الأمر مختلف عمّا هو عليه العالم الذي تركته تحت بما فيه من مساكن ذات طوابقَ ودرجات، وأخرى غائرةٍ كالأقبية، وغرفٍ متجاورةٍ تفشي الأسرار، وبشرٍ وشكاوى ومرتزقةٍ يعتاشون على فيء الرّحمة الإلهيّة.. ينتمي السّطح إلى جميع سكّان البناية، وإلى اللّاأحد في آن. هي حرّة أكثر، في هذا المكان، أخفّ رُكبة وأقرب إلى الله. السّماء تواضعت أكثر. قاب قبضة، أمست، وساكنةً مثلها لا تفعل شيئا سوى أنّها تنتظر جابي الأرواح الطيّب. سيأتي قريبا، لقد هاتفها أن وافني عند أعلى نقطة من البناية فتكبّدت لأجله رُهاب المصاعد.

هي تحبّ السّماءَ إذا تقاربت منها على خبب الحنين. في الواقع لم يسبق لها أن كانت في مكان مرتفع كهذا أو تدانت منها السّماء إلى هذا الحدّ. لطالما عانت من دوار المرتفعات والغثيان النّاجم عن فرط الوحدة المعرّضة إلى الهواء الطّلق. المكان المغلق يليق أكثر بالوحيدين، يقول طبيب نفسها لنفسها. لا تشعر الآن بأيّ دوار. من أين ينبع شعورها بالحنين؟ هل صعدت من قبل إلى السّطح ونسيت أم هل يحنّ أحد ما إلى ما لم يكن؟ نقطة السؤال تربك حركة المرور المنتظمة في مدينة الذّاكرة: هل دعاها الهاتف أن تصعد إلى السّطح أو أن تنزل إلى الحديقة؟

« لا يهمّ، هنا أو هناك، إن هي إلاّ محطّة وقتيّة للعبور» غمغمت. جلست بين أطباق الهوائيات تحكم حول كتفيها لحافا صوفيّا فترتعش أكثر بألق غامض ومضيء، والسّماء التي ككطعة أرض بريّة يغازلها الرّبيع تتهادى متبرّجة باتجاه حرف الغروب النّاريّ. يرتسم على جدار غيمة بيضاء وجه الهادي وردة متوهّجة. تبادله التحيّة فتتورّد الصّفرة على خدّيها وتنتعش الرّوح الذّاوية.

سقط الغروب في الجرف الخلفيّ للجبل المقابل، تلاشت الألوان لونا فآخر، وظلّت الأفق يتسلّى بتقشير قلوب عبّاد الشّمس السّوداء فتتناثر القشر على جسد الأرض كجيش من ذباب. تمض لُمَع النهاية المشتهاة على قسماتها الفاترة. تبتسم لخيال يراود خيالها. لم يعد شيء يسعدها أو يؤذيها. صار وجودها حديرا زلِقا لا يثبت عليه شيء من فواصل الزّمان أو غبار الأمكنة. والذّكريات !؟ تركتها في الشقّة لابنها وأحفادها. وما كان لها منها خاصّا بها وحدها تصدّقت به على عجوز مثلها، على وجه الدقّة أوصت به لجارتها وهيبة.

«لكنّ وهيبة ماتت منذ سنة يا أمّي، غسلت جثمانها بنفسك « أوشك ابنها يقول ثمّ استدرك.

كم السّاعة الآن؟

انتبهت إلى أنّ الليل يطرق باب العالم. تلفتّت حولها فلم تعرف أين هي ولا طريق الرّجوع إلى الشقّة..

الوداع

قصة قصيرة لدنيس جونسون

ترجمة أسماء خديمي

حصلت إلين على هاتف للمطبخ ،هاتف أزرق علق به جهاز خاص أسفل لوحة المفاتيح كقبعة لكشف هوية المتصل . بعد عودتي من زيارة مع مقوم العظام و بينما كنت أعاين هذه الألة فإذا بها تهتز محدثة رنة سريعة مفاجئة و بانت على الشاشة عشرة أرقام غريبة.نظرت بآزدراء كأي شخص ينظر الي شيء غير معروف،كانت تلك المكالمة الأولى ،الرسالة الإفتتاحية ،بمجرد أن لمست جهاز الإستقبال تساءلت عما إذا كنت سأندم على ذلك إذا كنت قد حملت خطأ بين يدي و مررت هذا الخطأ إلى رأسي لأقول "مرحبا". كان المتصل زوجتي الأولى ،فرجينيا أو "جيني"كما كنت أناديها دائما ،تزوجنا منذ زمن بعيد حين كنا في أول العشرينات و آنفصلنا بعد ذلك بثلاث سنوات مجنونة و منذ ذلك الحين لم نتحدث أو لأنه لم يكن لدينا سبب لذلك لكن الأن أصبح لدينا سبب إن جيني تحتضر. جاء صوتها خافتا أخبرتني أنّ الأطبّاء حسموا أمرها وطلبوا منها تسوية أمورها الماديّة والقانونيّة في غضون الفترة الوجيزة المتبقّية من حياتها. كان عدد من أفراد دار المسنّين الخيّرين موجودين هناك إلى جانبها ،قبل أن تنهي هذا العبور الأرضي كما أسمته أرادت جيني أن تتخلص من أي نوع من العذاب تجاه بعض الناس و تحديداً بعض الرجال و خاصة أنا ،أخبرتني عن مدى تعرضها للأذى و كيف أرادت و بشدة أن تسامحني لكنها لم تكن تعرف ما إذا كانت تستطيع ذلك فعلا أم لا ؟ كانت تأمل في ذلك، أكدت و بقلب تملؤه الحسرة أن ذلك أيضا ما كنت أمل فيه دائما و أني كرهت كل ما آقترفت في حقها من خيانات و أكاذيب بخصوص المال و الطريقة التي أبقيت بها سري المل و كل أسراري عامة .تحدثنا أنا و جيني بعد أربعين عاما من الصمت حول طرق عدة كنت قد سرقت فيها حقها في معرفة الحقيقة ، في خضم كل هذا بدأت فعلا أتساءل و بقلق كبير إذا ما كنت قد ارتكبت خطأ ،اذا لم تكن مثلا هذه زوجتي جيني ،لا بل زوجتي الثانية ،جينيفر و بسبب صوتها الخافت و صدمتي بما سمعته من أخبار و أيضاً الوضع إلي حولها و هي تحاول التحدث إلي في هذه المناسبة المهمة .

لم أستطيع تذكر ما إذا كانت قد أخبرتني عن اسمها بالفعل حين رفعت السماعة ،و فجأة لم أعرف أي الجرائم كنت بصدد الندم عليها ،لم أكن متأكدا إذا كان هذا وداع الموت،كنت بجانب طاولة المطبخ جاثيا على ركبتي في حيرة حقيقية هل كانت فرجينيا أو جينيفر ؟

هذا صعب " هل يمكنني ترك الهاتف جانبا دقيقة ؟قلت ذلك و قد سمعتها تقول "حسنا" بدى المنزل فارغا "الين" الين ناديت...لكن لم يكن هناك أحد ،مسحت وجهي بغطاء للرأس ثم خلعت سترتي و علقتها على كرسي و هتفت باسم إيلين مرة أخرى وقد وضعت السماعة لكن لم يكن هناك أحد.

في مكان ما بداخله كان الهاتف قد آحتفظ برقم المتصل ،بالطبع رقم جيني أو جينيفر لكني لم أنظر إليه لقد تحدثنا و كانت إحداهما قد عرفت بنفسها في آعتذار صريح ،و قد كانت راضية لأنه و بعد كل شيء كانت كل الجرائم متماثلة .

كنت متعبا ،ياله من يوم ،آتصلت بإيلين على هاتفها الخلوي ؛كنا قد اتفقنا على أنها قد تقيم أيضاً في "بادجت لام" هناك على الجانب الشرقي ،لقد تطوعت هناك لتعليم الكبار القراءة و من وقت لأخر يتم الإبقاء عليها حتى وقت متأخر ،حسنا يمكنني غلق الباب بالأقفال الثلاثة. نسيت أمر المكالمة السابقة و نمت باكرا ،حلمت بمناظر طبيعية برية ،أفيال و ديناصورات ،كهوف الخفافيش، مواطنين غريبين و ما إلى ذلك... آستيقظت و لم أستطيع العودة إلى النوم ،وضعت رداءا من القماش القطني فوق ملابس النوم ،كان رداءا طويلا يتدلى حيث قدمي وخرجت للمشي.

مباركة

عثمان بالنائلة

لم تنم مباركة ليلتها. كانت تئن بصمت كاتمة فمها بيدها المرتعشة. اِنهمرت الدموع من عينيها بغزارة. نهضت لما تسللت خيوط الضوء الباهتة من فتحة صغيرة بالنافذة. وضعت يدها على جبين اِبنها فتحي. و عندما وجدت أن حرارته قد اِنخفضت تنفست الصعداء و حمدت الله كثيرا. اِنشغلت بإعداد فطور الصباح لزوجها و طفلها الصغير. ثم جلست القرفصاء قبالة كومة ملابسها بإحدى أركان الكوخ. دست يديها تبحث عن مرآتها الصغيرة التي اِشترتها من سوق الخميس. وجدتها. فتأملت آثار الكدمات المتورمة المحمرة. تحسستها أناملها برفق. ثم اِستدارت. و ألقت نظرة تأنيب و لوعة على زوجها المولدي الذي كان يغط في نوم عميق. سمعت صوت صديقتها مريم تناديها. فأخفت المرآة بين أغراضها من جديد. و فتحت الباب بسرعة. فأحدث صريرا مبحوحا. تبادلتا القبلات و تحية الصباح. و تعانقتا. شهقت مريم لما دققت النظر في وجه مباركة. و قالت لها: "تبت يداك يا المولدي. أضربك اِبن تبر كالعادة. ويحه ما أوقحه و أقسى قلبه. ألا يكفيه أنه عاطل عن العمل. لا يسعى إلى لقمة العيش و لا يكدح. فيلطمك كل ليلة. و يلكمك. هذا حال لا يصح السكوت عنه.". اِلتفتت مباركة إلى الباب جزعة. و قالت: "أستحلفك بالله يا مريم أن تخفضي صوتك. فالمولدي المسكين نائم. لقد عاد إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل. و كان ثملا لا يعي و لا يعقل.". لامتها مريم على حماقتها و خنوعها. و هرولتا بِاتجاه الشاحنة التي توقفت في اِنتظار صعودهما إلى صندوقها لتقلهما إلى حقل الزيتون في جملة العاملات. كانت الشاحنة تتهادى في سيرها على الطريق الفلاحي الغير معبد و المملوء بالحفر. فيرتج صندوقها. و تموج صفوف راكباتها و تتدافع و تتشابك. وصلن أخيرا إلى هنشير العبابدة. و شرعن في جني الزيتون بجد و تفان. أحست مباركة فجأة بالدوران. رفعت رأسها بِاتجاه قرص الشمس الذي بدأ في الظهور من خلال الغيوم. أحست بغصة في حلقها. و اِبتلعت لعابها بصعوبة. ترنحت ذات اليمين و ذات اليسار. و أحست بالغثيان. سقطت من أعلى السلم أرضا مغشيا عليها. فهرعت النسوة إليها. و رششن وجهها بالماء حتى تستعيد وعيها. أقبل علي المسؤول عن العاملات عليهن. و شق جمعهن الغفير ملوحا بعصاه شاتما. و لما أبصر مباركة في حالتها تلك قال بغلظة و بصوت جهوري يصم الآذان: "قبح الله وجهك يا وجه السوء. ألم أخبركن أنه لا عمل هنا لعليلة الصحة ضعيفة البدن. ما الذي دهاك يا بغلة؟". فتحت مباركة عيناها بصعوبة. و قالت بصوت مبحوح خافت: "أنا.. حامل..".

أنتريتي نبّار

عبد العزيز فتيريش رجل السينما والسياسة في قابس

اليوم ساخصص بطاقة انتريتي نبار للحديث عن أحد رفاق الدرب السينمائي في حركة نوادي السينما الذي جعل من عروض الأفلام والندوات السينمائية في الجهة نقطة استقطاب لشباب المنطقة والعمل معهم للسمو بالذائقة الفنية ونشر الثقافة السيمائية في قابس والمدن المتاخمة .

عبدالعزيز فتيريش هو أحد مناضلي حركة نوادي السّينما في السّنوات الثمانين بمدينة قابس عرف في البداية بنشاطه السياسي في القطاع التلمذي في بداية السنوات السبعين من القرن الماضي،حيث كان من العناصر البارزة في التحرك التلمذي بقابس في فيفري1972

ويعتبر هذا التحرك هو الأول من نوعه وكذلك أول تحرك جماهيري غير موالي للنظام بمدينة قابس بعد الاستقلال ذلك أن كل التحركات السابقة دعا إليها واطرها الحزب الدستوري مثل المظاهرات المؤيدة لبورقيبة في خلافه مع عبد الناصر والتجمع الجماهيري المندد بالعدوان الصهيوني على الدول العربية تحت إشراف الوالي في جوان 1967 ...

تحرك فيفري 1972كان من تنظيم مجموعة من تلاميذ المعهد الثانوي بقابس من المتبنين للفكر الماركسي والقومي الناصري أو من غير المنتمين فكريا ...وقد كانوا على إتصال بمجموعة ناشطة بمعهد ترشيح المعلمين على رأسها المرحوم عبد العزيز فتيريش...تمهيدا للتحرك التلمذي تم إعداد منشور للتوزيع حرره بالفرنسية فوزي الغنوشي وتضمن مقولة لماوتسي تونغ وتكفل بطبعه التلميذ شاكر بن زينة على الآلة الراقنة لوالده الصيدلي...

وكان من نتائج التحرك ايقاف عدد هام من التلاميذ الذين تعرض بعضهم إلى التعنيف المفرط مثل الطاهر مسعود والمرحوم عبد العزيز فتيريش...

في أواخر السنوات السبعين وبداية السنوات الثمانين اندمج عبد العزيز فتيريش في أجواء نادي السينما وأصبح من العناصر الفاعلة فيه الى جانب عبد الله الحشايشي وعلي حسن وفوزي بن يحيى وغيرهم وأخذت هذه المجموعة المشعل عن أساتذة إجلاء يتقدمهم الراحل يوسف الحمروني.

كان نادي السينما بقابس في تلك الفترة نقطة اشعاع سينمائي على المستوى الوطني والعربي وتميز نشاطه بإقامة النّدوات العلميّة التي كان ينظمها بالتعاون في مع مهرجان قابس الدولي بحضور أساطين النّقد والسّينما اذكر منهم السّينمائي المصري الكبير "صلاح أبو سيف" والنّاقد المصري "سمير فريد" رحمهما الله والنّاقد المغربي" خليل الدّامون والنّاقد السّوري "سعيد مراد" رحمه اللّه والنّاقدة "سلوى نعيمي" والنّاقد الفرنسي من مجلّة الكرّاسات السّينمائيّة "سارج داني" والراحل نجيب عياد وعبدالكريم قابوس والدكتور عبدالمجيد العيادي والنوري بوزيد من تونس...

أول لقاء جمعني بعبد العزيز فتيريش كان في بداية الثمانينات لما شارك معنا في ملتقى نوادي الجنوب من تنظيم المجلس الجهوي للسينما وبحضور نوادي سينما بقفصة والمتلوي وصفاقس ومدنين وتطاوين والمحرس... واذكر انه في اول جلسة لنا علمنا بأن البوليس السّياسي قادم لمقر الملتقى للقبض على عبدالعزيز فتيريش فقمت بتهريبه من نافذة القاعة ليجد نفسه خارج مقر الملتقى ويختفي عن الانظار...

وتواصلت علاقتي به لسنوات وكان دائم الحضور في الجلسات العامة لحركة نوادي السينما وجل الانشطة السينمائية التي كنا ننظمها في تلك الفترة.

وتجدد اللقاء بيننا بعد الثورة لما دعاني صحبة رئيسة نوادي السينما سابقا منيرة يعقوب للمشاركة في مهرجان الفيلم القصير الذي اشرف على تنظيمه سنة 2015 بعد عودته لهيئة نادي سينما قابس الذي أصبح يسمى نادي سينما الطيب الوحيشي على اسم المخرج السينمائي ابن الجهة بعد تعرضه لحادث مرور الزمه الفراش .

ويذكر انه في يوم الاحد 15 فيفري 2015 أشرف السيّدان ياسر جرادي ورمزي العموري باسم المكتب الجامعي لحركة نوادي السينما على جلسة عمل مهّدت لاستئناف نشاط نادي سينما الطيّب الوحيشي بقابس بداية من شهر مارس 2015 مع هيئة مؤقّتة مخضرمة يتقدمهم صديقنا عبد العزيز فتيريش.

فعودته لسدة تسيير النادي بعد اختفاء لسنوات عديدة أريد بها إثراء عمل النادي بتجربته الطويلة وتأطير بقية العناصر الشابة ..

والطّريف في علاقتي به اني كنت أعتقد طوال ما يقارب عن 30 سنة انه غير منتمي لأي تنظيم سياسي وكنت ارجح انه مثلي قريب من اطروحات حزب العمال لكن لما التقيته بعد الثورة في مقهى "الاونيفار" اكتشفت عن طريق الدكتور عبدالسلام البغوري انه من الكوادر التاريخيين لحزب الوطد في مدينة قابس..

توفي صديقي عبدالعزيز فتيريش شيخ أحباء السينما وشيخ مناضلي الجبهة الشعبيّة وحزب الوطد الموحّد بقابس يوم بداية الحملة الانتخابية البلدية وهو يستعدّ لخوضها كمترشّح صحبة رفاقه أعضاء قائمة الجبهة...

عزّوز رغم الغياب يحضر بقوّة في كلّ خطوة وكل تحرّك بتوجيهاته و نصائحه وبرامجه التي زوّد بها رفاقه في فترة الإعداد لهذه الحملة...

طرائف الزّعيم (ج 352)

بورقيبة والرأي الآخر

يقول الاستاذ عبد السلام القلال حول هذا الموضوع في كتابه " الحلم والمنعرج الخطأ" الصادر عن "دار الجنوب" للنشر ، انه على عكس ما يعتقده البعض فإن الرئيس بورقيبة كان يقبل الحوار واذا اقتنع بالرأي المخالف يتراجع عن موقفه ويقول دائما كلمته المشهورة "رايك أصلح".المهم ان تكون الحجة إلى جانبك .

وقد سجل الاستاذ عبد السلام القلال كشاهد عيان كيف كان الرئيس يستمع إلى المسؤولين في أي مستوى كان،وحتى إلى المواطنين،وكيف كان يستجيب لما يعرضونه عليه...

ويذكر أنه في إحدى زيارات الزعيم الى الكاف سنة 1965،وكان هو حديث العهد

بالولاية:" بينما كنا نتمشى في مسالك حديقة بيته المحاذي لجبل المدير، طلب مني ان اقوم بأشغال توسعة للحديقة التي هي على سفح الجبل والاشغال فيها صعبة.فسجلت الطلب واجبته لأني ساسعى لتحقيق ذلك".

ولما رجع إلى الكاف بعد ستة أشهر ،بادر بالتوجه الى المكان الذي طلب مني ان اقوم فيه بأشغال، فوجده على حاله لم يتغير منه شيء،فوقف ونظر الي بحدة،وسالني :" أين ما طلبته منك، أرى انك لم تفعل شيئا.. لو تقدمت بهذا الطلب الى عمر شاشية، لحققه في الحين،" فاجبت:"سيدي الرئيس بينت الدراسة ان التوسعة التي طلبتها باهضة التكاليف،وستثقل ميزانية الولاية والبلدية وان جدواها لا تبرر هذه المصاريف،لذا فإني اجتهدت،وتمسكت بالجدوى التي تدعو إليها" فتبسم وقال " رايك اصلح".

وأضاف الاستاذ عبد السلام القلال في كتابه انه يسوق هذه الامثلة لأنها تحسب لبورقيبة وتفند ما يروج له منتقدوه من انه لا يسمع، ولا يقبل الرأي الأخر...يقول:" للتاريخ أنا الذي عرفت بورقيبة من قريب كرئيس وكإنسان،اؤكد انه كان يستمع لمن يريد ابلاغه الرأي المخالف،على اساس الحجة والمنطق.وقد جربته في عدة مناسبات،ومن ذلك انه اعطاني التعليمات في إحدى الزيارات لهدم زاوية سيدي بومخلوف،وهي إحدى المعالم الاسلامية لمدينة الكاف،لانها كانت متداعية للسقوط،ومحطة لتراكم الاوساخ والفضلات بالخصوص داخل المدرسة المبيت المحاذية لها..فلم انفذ هذه التعليمات،ورممت المعلم. وعند زيارته له بعد ذلك كان ممنونا وراضيا كل الرضا عن الوالي الذي لم ينفذ تعليماته فترحم على والديه،ودعا له بالخير، امام إطارات الكاف المرافقة له،وكان ذلك بحضور عبدالله فرحات والشاذلي القليبي .

فنّ وفنّانون

الشاذلي العرفاوي على ركح مسرح قرطاج الاثري

من المنتظر أن يكون الممثل الشاذلي العرفاوي ضمن عرض "عشاق الدنيا" للمخرج عبد الحميد بوشناق على ركح مسرح قرطاج الاثري يوم الجمعة القادم. العرفاوي يجسّد مثلما هو معلوم شخصية "برينقا" ...

واعتبر العرفاوي أن نجاح عرض ''عشاق الدنيا'' يعود بالأساس إلى النجاح الذي حققه مسلسل "النوبة" في جزئيه الأول والثاني.

وقال إن النجاح ومحبة الجمهور جعلا العرض مطلوبا في الداخل والخارج، مسجلا تفاعلا كبيرا من الجماهير باعتباره عرضا فرجويا غنائيا وتمثيليا متميزا. وأضاف ''الجمهور أحب المشاهد التمثيلية في العرض، لأنه أحب المسلسل وشخصياته لذلك تواصل مع جميع المشاهد، ولم يكن حاضرا من أجل الرقص فقط..'' وسيكون جمهور مسرح قرطاج مع عرض ''عشاق الدنيا'' للمخرج عبد الحميد بوشناق يوم 8 سبتمبر الحالي.

يشار ان الشاذلي العرفاوي ممثل ومخرج تونسي. وهو رئيس مهرجان ، أيام عبد الوهاب جملي للمسرح الحر ، الذي تم إنشاؤه في أعقاب ثورة 2011 تكريما للممثل ورجل المسرح عبد الوهاب جملي الذي توفي في العام نفسه.

اشتهر شاذلي العرفاوي بدور الجغالي في مسلسل الكوميدي التونسي الشهير شوفلي حل و بدور البرينقا في مسلسل النوبة الجزء الاول والثاني.

لأول مرة في تاريخ الدراما التونسية

تستعد الممثلة الشابة احلام الفقيه للوقوف أمام الكامرا لتجسيد دورها في عمل درامي تونسي تقوم باخراجه مروى الزنايدي وسيعرض على قناة الحوار ..

الانباء شحيحة عن هذا العمل وهذا يدخل في إطار سياسة سامي الفهري (صاحب القناة) في الترويج لانتاجاته المعتمدة على مبدأ "شوق وذوق" وكل ما رشح من اخبار ان المخرجة مروى الزنايدي تستعدّ لبداية تصوير مسلسل جديد في الأيام القادمة من إنتاج قناة الحوار التونسي والذي سيتكون من 40 حلقة لأول مرة في تاريخ المسلسلات التونسية وسيتم عرضه خلال الشتوية دون الانتظار لشهر رمضان الكريم.

وحسب الأخبار المتداولة فإن كل من الفنّانتين الشابتين أحلام الفقيه وعزّة سليمان ستشاركان في بطولته في انتظار تفاصيل أخرى عن الأبطال والسيناريو.

يذكر أن المخرجة مروى الزنايدي عملت لسنوات كمساعدة اولى للاخراج في عديد الاعمال الدرامية نذكر منها مسلسل "الفوندو" في جزئيه الأول والثاني بالاضافة الى فيلم "فرططو الذهب"...